

T.C.
YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

**SİMÜLASYON TEORİSİ VE ARAPÇA DİLİ OLUŞUM VE
ZENGİNLEŞMESİNDEKİ ETKİSİ**
(KURAN- İ KERİMDE AKUSTİK VE SEMANTİK ÇALIŞMA)

YÜKSEK LİSANS TEZİ

MURAD KAFİ

VAN- 2017

T.C.
YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

SİMÜLASYON TEORİSİ VE ARAPÇA DİLİ OLUŞUM VE
ZENGİNLEŞMESİNDEKİ ETKİSİ
(KURAN- İ KERİMDE AKUSTİK VE SEMANTİK ÇALIŞMA)

YÜKSEK LİSANS TEZİ

HAZIRLAYAN

MURAD KAFİ

DANIŞMAN

PROF.DR. MEHEMET ŞİRİN ÇIKAR

VAN- 2017

جامعة يوزنجويل
معهدالعلوم الاجتماعية
كليةالعلوم الإسلامية الأساسية

نظرية المحاكاة وأثرها في نشوء اللغة العربية و إغنائها
(دراسة صوتية دلالية في القرآن الكريم)

رسالة ماجستير

إعداد الطالب
مراد حسن كافي

إشراف
أ.د. محمد شيرين تشكار

وان-2017

فهرس المحتويات

المقدمة.....1

1- مدخل: اللغة: الأصل والمنشأ:

1.1. النظريات التي تتناول نشأة اللغة وأصلها.....5

1.1.1. النظرية التوقيفية.....5

2.1.1. النظرية الاصطلاحية.....5

3.1.1. النظرية التوفيقية.....6

4.1.1. النظرية الفطرية.....6

5.1.1. نظرية الربط بين اللغة والغريزة.....7

6.1.1. نظرية المحاكاة.....7

1.6.1.1. المحاكاة بين اللغة العربية واللغات الأخرى.....7

2.6.1.1. الانسان و المحاكاة.....8

3.6.1.1. أثر علمي الترسيس و التأثيل في مرحلة ما بعد المحاكاة (الدور

النطقي).....10

2- الفصل الأول: المحاكاة والدرس اللغوي العربي:

1.2. الثنائية التاريخية وعلاقتها بالمناسبة الطبيعية.....12

2.2. الدرس اللغوي العربي القديم.....12

3.2. الدرس اللغوي العربي الحديث.....18

4.2. من الثنائية التاريخية إلى الثنائية المعجمية.....24

5.2. دراسة تطبيقية في بعض المقاطع الصوتية الحديثة.....28

3- الفصل الثاني: نماذج تطبيقية لنظرية المحاكاة في القرآن الكريم (دراسة صوتية دلالية)

1.3. تمهيد.....34

2.3. الدراسة التطبيقية.....38

1.2.3. المقطع أف.....38

2.2.3. المقطع أس.....40

3.2.3. المقطع أز.....110

4.2.3. المقطع آه.....42

5.2.3. المقطع بت.....43

44.....	6.2.3. المقطع بج.
46.....	7.2.3. المقطع بع.
47.....	8.2.3. المقطع بق.
47.....	9.2.3. المقطع به.
48.....	10.2.3. المقطع تب.
49.....	11.2.3. المقطع تف.
50.....	12.2.3. المقطع جب.
52.....	13.2.3. المقطع جذ.
53.....	14.2.3. المقطع جر.
54.....	15.2.3. المقطع حت.
55.....	16.2.3. المقطع حس.
56.....	17.2.3. المقطع حش.
57.....	18.2.3. المقطع حص.
60.....	19.2.3. المقطع حف.
61.....	20.2.3. المقطع خر.
63.....	21.2.3. المقطع خق.
65.....	22.2.3. المقطع دب.
66.....	23.2.3. المقطع دك.
67.....	24.2.3. المقطع دم.
68.....	25.2.3. المقطع ذب.
69.....	26.2.3. المقطع رج.
71.....	27.2.3. المقطع رع.
71.....	28.2.3. المقطع زل.
72.....	29.2.3. المقطع زم.
73.....	30.2.3. المقطع شق.
74.....	31.2.3. المقطع شه.
76.....	32.2.3. المقطع صر.
78.....	33.2.3. المقطع صل.
78.....	34.2.3. المقطع ضب.
80.....	35.2.3. المقطع طق.

80.....	36.2.3. المقطع عص
81.....	37.2.3. المقطع عض
83.....	38.2.3. المقطع عق
84.....	39.2.3. المقطع غظ
85.....	40.2.3. المقطع غص
86.....	41.2.3. المقطع غض
87.....	42.2.3. المقطع غق
88.....	43.2.3. المقطع فج
90.....	44.2.3. المقطع قب
93.....	45.2.3. المقطع قد
95.....	46.2.3. المقطع قط
96.....	47.2.3. المقطع قص
98.....	48.2.3. المقطع قض
99.....	49.2.3. المقطع قر
100.....	50.2.3. المقطع كب
101.....	51.2.3. المقطع كد
102.....	52.2.3. المقطع كس
103.....	53.2.3. المقطع لغ
105.....	54.2.3. المقطع نف
107.....	55.2.3. المقطع ها
110.....	56.2.3. المقاطع هم، هس، أز
113.....	57.2.3. المقطع هد
114.....	58.2.3. المقطع هش
115.....	59.2.3. المقطع وس
116.....	60.2.3. المقطع وي
118.....	3.3. خلاصة الدراسة التطبيقية
121.....	4-الخاتمة
123.....	5-المصادر والمراجع
192.....	6-الملخص

إهداء

أهدي عملي المتواضع هذا إلى روح والدتي الحبيبة، إلى والدي الغالي أطل الله بعمره، إلى إخوتي وأهلي في سوريا، و إلى كل طالب علم قد تقع عينه على بحثي هذا.
و إهداء خاص إلى زوجتي الغالية.



مراد حسن كافي

وان / مارس / 2017

المقدمة

يشوب مسألة تطور بنية الكلمة في اللغات عموماً، غموض واضطراب ينسحبان على صعيدي المادة والمنهج، ولا يخفي الباحثون في مسألة التطور اللغوي صعوبة تحديد بداية تأريخية، تستحق أن تكون المنطلق السليم الذي يتجهون منه إلى دراسة اللغة نشأتها ومولدها؛ ولأجل ذلك تعددت النظريات التي تناولت نشوء اللغة وتطورها عبر الزمان، ومن الملاحظ أن المنهج الارتسامي قد غلب على هذه النظريات، ومما يؤخذ عليه - المنهج الارتسامي - اعتماده على الحدس والتخمين.

تهدف هذه الدراسة إلى تناول واحدة من تلك النظريات، وهي نظرية المحاكاة، إذ إن الباحث ليجد فراغاً ملحوظاً في سير الخط العلمي فيما يخص هذا النوع من الدراسات اللغوية، والتي يستحوذ فيها عامل الزمن على أهمية كبيرة، فظاهرة المحاكاة في ألفاظ اللغة العربية الفصحى لم تُعالج إلا من جوانب سطحية عامة، وهي بعد لم تأخذ حقها من الدرس اللغوي، والاستقصاء الدلالي، فالباحثون الذين تطرقوا إلى فكرة الثنائية المعجمية إنما اكتفوا في التدليل على مذهبهم، و الاحتجاج لنتائجهم بضرب أمثلة قليلة لم تصل إلى مستوى الاطمئنان و الاعتماد، إذ إنهم انتقوها من بين مواد المعجم العربي مما لاحظوا فيه اتفاقاً وانسجاماً - يُطمأن لهما - مع نظرياتهم، في حين لم يقيم أحدهم بإجراء دراسة جمعوية استقصائية شاملة لمواد المعجم العربي، الأمر الذي أوقع آراءهم في مظنة التحكم و الاختيار، فرأيت أن أضيف بعضاً من النقاط المهمة بحيث أبتعد عن هذه المزاجية والذاتية التي لا تتفق والبحث العلمي؛ وذلك من خلال هذه الدراسة التي تقوم على فكرتين: المحاكاة والثنائية، مبتعداً عن عملية اختيار العينة التي تتفق والرؤية التي أنطلق منها، هذا الاختيار الذي قد ينأى بصاحبه عن روح العلم، و التي تفرض على الباحث أن يكون موضوعياً في دراسته واستقرائه. كما أنني لمست في المحاكاة سبيلاً مقنعاً إلى تصوير لغة الإنسان الأول في أول وجوده البسيط.

وتتركز أهمية هذه الدراسة في محاولة البحث عن إجابات مجموعة من الأسئلة، والتي قد تخطر في ذهن أيّ منّا عن طبيعة اللغة التي استخدمها الإنسان البدائي في التعبير عن أصوات محيطه الخارجي، أو عن مشاعره الداخلية من أمل وحزن وخوف.... إلخ.

إن فكرة نشوء اللغة عامة - والعربية خاصة- من أصول قليلة ثنائية الأحرف، مأخوذة في أغلب الظن عن محاكاة أصوات الطبيعة و النفس، يمكن أن تعد مسلكاً يكاد يكون مقنعاً للقول: إن أصول لغتنا العربية مؤلفة من جذور ثنائية مكونة من متحرك فساكن، تعبّر بعفوية وبساطة شديديتين عما يحيط بالإنسان أو يحسه أو يريده.

إن هذه الدراسة تسعى إلى عرض هذه النظرية على اللغة العربية؛ لما يظهر في حروف العربية من سمات أهمها: الخصائص الهيجانية و الإيحائية بأصواتها.

ارتأيت أن أجعل دراستي في مقدمة ومدخولفصلين اثنين وخاتمة، أما المدخل فسيتناول النظريات التي تحدثت عن موضوع نشأة اللغة، مع تخصيص الجزء الأكبر منه لنظرية المحاكاة، و التعريف بها، و توضيح منحائها وأهدافها، مستعرضاً آراء اللغويين القدامى فيها، لينتقل الكلام بعد ذلك إلى اتفاق مفاهيم هذه النظرية مع حياة الإنسان البدائية، و ذلك عبر دورين مرّ بهما، عُرف الأول بالدور التقليدي، و الثاني هو الدور النطقي، و الذي يمثل فترة ما بعد المحاكاة.

والفصل الأول سيتحدث عن نظرية الثنائية التاريخية وعلاقتها بالمناسبة الطبيعية، ومن أهم ما سيُدرس في هذا الفصل فكرة ملازمة الثنائية التاريخية في المقطع الأحادي البسيط، ومن ثم انتقالها إلى ما يُعرف بالثنائية المعجمية، حيث سأحاول رصد الرابط المنطقي الذي يمكن أن يُلاحظ بين الصيغ المزیدة و أصولها الثنائية؛ جرياً على ناموس الارتقاء العام للغة. وسأستأنس في هذا الفصل بآراء اللغويين العرب قدامى ومحدثين فيما يخص هذه النظرية. ويوقف هذا الفصل في نهايته عند دراسة تطبيقية لبعض المقاطع الصوتية التي تحاكي حروفها معانيها، والتي من شأنها أن تدعم ما جاء في متن البحث.

أمّا الفصل الثاني فسيتناول نموذجاً تطبيقياً لنظرية المحاكاة في القرآن الكريم، يُعتمد فيه على الدراسة الاستقرائية الدلالية للمقاطع الصوتية، التي ستُعرض عليها هذه النظرية، بعملية أقرب ما تكون إلى الإحصاء. وسيُحاول هذا الفصل استقصاء الألفاظ التي تبدو فيها ظاهرة المحاكاة الصوتية واضحة، إضافة إلى محاولة تصنيف ما يستجيب منها إلى فكرة المحاكاة في أسر لغوية، حيث تتضمن الأسرة الواحدة مجموعة من الألفاظ المتقاربة المعاني، ترجع أصولها إلى تراكيب صوتية متجانسة، يجمعها جذر ثنائي واحد، يمكن تسميته بالجذر الأم. وسيُبحث عن معاني المواد المتولدة عن المقطع الأحادي البسيط (الجذرالثنائي) في معجم لسان العرب، ومن ثم تُدرس جمالية كل مادة في سياقها القرآني اعتماداً على مجموعة من كتب تفسير القرآن؛ للوقوف عند تأويلات جمهور المفسرين. حيث ستتقاطع مجموعة منظومات وتتعاون فيما بينها، كالصوت، والمعنى، والدلالة، والسياق؛ بهدف استحضار القيمة الفنية للمادة القرآنية المدروسة، والوقوف على دلالتها الحقيقية الحسية، أو المجازية الذهنية، وأحياناً اشتراكهما سوياً في تأدية الغرض المنشود. و ستتطرق هذه الدراسة التطبيقية إلى مسألتني تعاور الكلمات القرآنية، و الفروق اللغوية بين المواد اللغوية المترادفة. وهذا الفصل يُعدّ انتصاراً لنظرية المحاكاة، حيث لم تُقرّد له دراسات مستقلة، أو أبحاث منفردة.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ ثمة صعوبات واجهت في أثناء عملية جمع المادة العلمية لهذا البحث، منها قلة المصادر والمراجع التي تناولت عنوان البحث بشكل مباشر، فالدراسات المنجزة حول هذا الموضوع، والتي استُطِيع الوصول إليها، ما هي إلا إشارات عابرة، وتنويهات تكاد تكون خجولة في طيّات بحوث عالجت قضايا لغوية متنوعة، ومنها قضية هذا البحث، إذ يُؤمل أن يكون نقطة ضوء تفيد في تنبيه الباحثين إلى ضرورة الالتفات إلى مثل هذه البحوث، بحيث يتدارك الطرف منها ما فات الفارط؛ بسبب نقص الاستقراء، أو التطور اللغوي الذي أفرز مواد لغوية جديدة دخلت في صلب المعاجم، والتي من شأنها أن تغوص عميقاً في أصول اللغة، وبداية نشوئها وتكوّنها، ويُنتظر أن تُعطى هذه الدراسات حقها كاملاً في أكثر من جانب، كالاستقلالية، والموضوعية، والحيادية، والتفرد، ولا سيّما نظرية المحاكاة التي يتناولها البحث، ويراهم مقنعة إلى درجة كبيرة في اعتمادها سبباً رئيساً من الأسباب العديدة في نشوء اللغات الإنسانية عامة، والعربية خاصة. ويمكن أن تلعب دوراً مهماً وفعالاً في توليد مفردات جديدة، واستقبال مسميات حديثة، ممّا قد تضطرّ العربية إلى استقباله، وإدخاله في معاجمها، سواء كانت من مجتمعها الداخلي أم من مجتمعات خارجية قريبة أو بعيدة.

فالمحاكاة بذلك تشقّ طريقها وسط مصطلحات التعريب والنحت وغيرها، لتغدو طريقة ناجحة من طرق توليد مواد اللغة العربية، وإغناء ثروتها اللفظية، وإثراء مخزونها الدلالي، وهي تناسب في الوقت نفسه أسس التعقيد العربي بأنواعها كلها.

إن دراسة من هذا النوع لا بد لها من أن تدخل في إطار المنهج التاريخي؛ حيث إنها تنظر إلى اللغة كمنظومة من الألفاظ والمفردات هي في تحرك وتطور مستمرين، ولا يُنظر إلى ثباتها في زمان ومكان معيّنين، وإن كان الاعتماد في رسم طريق التطور على الاجتهاد الشخصي المتسلح بالبحث والاستقراء العلميين؛ وذلك في غيبة الوثائق التاريخية التي تساعد في رسم طريق التطور للألفاظ العربية. وسيكون للمنهجين النفسي والوصفي حضور في هذا البحث؛ فالأول سيساعد في الكشف عن الخصائص الهيجانية والإيحائية للحروف، خاصة الحروف العربية، والثاني سيُتَّبَع به التطور الدلالي والمعرفي لبعض المقاطع الصوتية التي تطورت لفظياً ومعنوياً لتصبح فيما بعد كلمات مستقلة في أكثر من لغة.

وقد تحدثت الدراسات اللغوية الصوتية- القديمة والحديثة- عن موضوع المحاكاة، ووردت بشكل واضح في متون مؤلفاتهم، حيث جاءت تحت مسميات مختلفة وعناوين متباينة، من مثل الدراسات التي تناولت أصل اللغة وأهمها كما سنجد عند ابن جني (ت.392هـ)، والذي تحدث- من جملة ما تحدث عنه- عن أسباب نشوء اللغة وتكونها وتطورها، وكذلك هناك الدراسات الصوتية كما عند سيبويه (ت.180هـ)، وأيضاً الشروحات التي تضمنتها بعض من كتب المعاجم مثلما سنجد عند الفراهيدي (ت.175هـ) وابن فارس (ت.395هـ) وغيرهما،

بالإضافة إلى كتب التفسير وبعض من كتب المعاجم؛ إذ أنني استفدت منها في تقديم صورة الفكر الصوتي عند اللغويين القدماء، حيث مهدت لي الطريق نحو توصيف المحاكاة بشكل علمي تجريبي، وساعدتني في تتبع الدلالة الصوتية و المعرفية للكلمات المدروسة. وفي الدرس الحديث بدت فكرة المحاكاة أكثر تطوراً ونضوجاً؛ بسبب التقدم العلمي والتطور الحضاري وغيرها من العوامل التي ساعدت في بلورة مفهوم المحاكاة. وسنجد ذلك بشكل مفصل في دراسات مجموعة من اللغويين المحدثين، كأحمد فارس الشدياق (ت. 1887م) وجرجي زيدان (ت. 1914م) وغيرهما. وستكون هذه الدراسات مصادر أولية للبحث، وقد أفادتني في الجانب التطبيقي للبحث؛ فالمحدثون الذين كتبوا عن المحاكاة دعموا آرائهم بأمثلة تطبيقية؛ مما ساعد في توضيح معطيات نظرية المحاكاة على المستوى النظري و العملي. وكذلك لجأت المؤلفات التي تُعنى بالفروق اللغوية والعلوم الصوتية؛ لأنني امست فيها فائدة مرجوة في إظهار القيمة الفنية للألفاظ المنضوية تحت مفهوم المحاكاة.

وقد لاحظت وجود نقصاً في مسألة توظيف نظرية المحاكاة الصوتية لأهداف توليد الكلمات والمصطلحات؛ لذلك حاولت تقديم المحاكاة كوسيلة مقبولة للنتائج في عملية إنشاء المفردات و استقبال الألفاظ الداخلة على اللغة العربية.

سيراعى في هذا البحث تطبيق دليل الأبحاث لمعهد العلوم الاجتماعية في جامعة يوزونجوبيل، وما يوازيها من قواعد مجمع اللغة العربية.

و أود أن أشكر في نهاية هذه المقدمة كل من كان له أثر طيب ساعدني في كتابة بحثي هذا، سواء من ناحية الدعم التوجيهي والتعريفي أو من ناحية الدعم المعنوي والمادي، والشكر لجامعة (يوزونجوبيل) ولإدارة معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة، والشكر الخاص لمشرف بحثي الأستاذ الدكتور محمد شيرين تشكار، حيث كانت لتوجيهاته واقتراحاته فائدة عظيمة في إنجاز هذا العمل، حيث لم يبخل علي بوافر علمه الغزير، وواسع معرفته، و لطالما منحني كثيراً من وقته؛ لأجل تذليل العقبات و المصاعب التي كانت تواجهني في سير هذا البحث. كما أشكر الكادر التعليمي في القسم؛ ولكل من مد يد العون لي . وأخيراً أتقدم بالشكر إلى زوجتي الغالية التي وقفت إلى جانبي دون كلل أو ملل.

مراد كافي

وان / 2017

1-مدخل: اللغة: الأصل والمنشأ:

1.1. النظريات التي تتناول نشأة اللغة وأصلها:

1.1.1. النظرية التوقيفية: تقول إن أصل اللغة (توقيف)؛ أي هي وحي إلهي لقّنه الخالق سبحانه وتعالى لمخلوقه الإنسان، الذي أوكّل إليه خلافته في الأرض. وممن قال بنظرية التوقيف أحمد بن فارس، و قد أشار إلى ذلك الباحث صالح سليم الفاخري في كتابه (الدلالة الصوتية في اللغة العربية)، حيث دّل على إشارة ابن فارس لهذه النظرية بإتيانه دليلاً نقلياً هو قوله تعالى "وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين" (البقرة: 286/31)¹.

وعلى افتراض أن اللغات تعود في أصلها إلى اللغة السامية الأم التي تشعبت بعد افتراق أولاد نوح؛ فحمل كل واحد منهم لغة من تلك اللغات السامية، حيث تخلّت هذه اللغات عن قدر كبير من دلالاتها ومعانيها بحكم توالي الزمن و البعد الجغرافي عن الموطن الرئيس لها قبل الافتراق، فإن العربية حافظت على صفاتها ومقوماتها وأسسها؛ ولم تتخلّ عن ركيزها وقواعدها؛ فلا عجب بعد ذلك أن تصمد ولا تقنى على الرغم من التحديات التي واجهتها كلغة، بالإضافة إلى التحديات التي واجهت أهلها. ولكن هيهات للغة القرآن أن تقنى أو تزول.

2.1.1. النظرية الاصطلاحية: تقول هذه النظرية إن أصل اللغة هو الاصطلاح وتردّفه بالتواضع؛ وقد عرّف الجرجاني (ت.816هـ) الاصطلاح بقوله: " اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما يُنقل عن موضعه الأول، و إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى معنى آخر، لمناسبة بينهما"².

ويتفق التهانوي (ت.1158هـ) مع الجرجاني في تعريفه مفهوم الاصطلاح عندما حدده بقوله: " الاصطلاح هو المعرّب الخاص، وهو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله عن موضوعه الأول لمناسبة بينهما، أو لمشاركتها في أمر، أو مشابهتهما في وصف أو غيرها"³. فالأسماء ما هي إلا مصطلحات قد تواضع الناس على معانيها، ودأبوا

1 - الفاخري، صالح سليم عبد القادر، *الدلالة الصوتية في اللغة العربية*، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، بدون تاريخ طبع، ص 35.

2 - الشريف الجرجاني، علي بن محمد، *التعريفات*، حققه وقدم له ووضع فهرسه: إبراهيم الإبياري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994 م، ص 44-45.

3 - التهانوي، محمد علي، *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، تقديم وإشراف: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبدالله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زينات، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996 م، 212/1

على استخدامها وفق هذا التواضع. فنظم الحروف وفق هذا التواضع إنما " هو تواليها في النطق فقط ، فليس نظمها لمقتضى من معنى"⁴، وهذا يفضي إلى أن "الكلمة ليست إلا إشارة ، و المعنى الذي تحمله بصوت حروفها اعتباري صرف"⁵وفق ما رآه سوسور .

وتبدو النظرية الاصطلاحية في نشأة اللغة أكثر بساطة ووضوحا في تعريف ابن جني(ت.392هـ)، حيث يقول في (الخصائص) متحدثا عن الاصطلاح والمواضعة في نشأة اللغة: " وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكل واحدة منها سمة ولفظا، إذا دُكر عُرف به مسمّاه، ليمتاز عن غيره، وليغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين فيكون بذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله"⁶، فحدّ الاصطلاح على وضع المسميات عن ابن جني هو اجتماع ثلاثة فأكثر مشترطا الحكمة والعقلانية من خيرة الناس. فتعريفه التزم مسألة نشأة اللغة ضمن مفهوم الاصطلاح والتواضع.

3.1.1. النظرية التوفيقية: وينادي أصحابها بمصطلح التوفيق بين التوقيف و الاصطلاح؛ بمعنى أن الله تعالى وهب الإنسان القدرة على اصطلاح الكلمات، وكرّمه بالآلية المناسبة التي تمكنه من التعبير عن المعاني التي يرومها. قديما وفق أفلاطون(ت.347 ق.م) بين الفكر التوقيفي لهيراقليطس(ت.475 ق.م) وبين الفكر الاصطلاحي لديمقريطس، وهذا في الغرب المسيحي في أثناء فترة العصور الوسطى. أما في الشرق الإسلامي فقد نادى القاضي أبوبكر(543هـ) بنظرية التوفيق؛ و حجته منح الله الإنسان ملكتيه الإلهام و الخلق.⁷

4.1.1. النظرية الفطرية: تقول إن أصل اللغة فطري، ومما قال أصحابه إن اللغة قد اقتبست من الطبيعة عن طريق المحاكاة، وعزوا منشأ ألفاظها إلى العملية الصوتية التي استخدمها الإنسان الأول وهو يقلد الأصوات من حوله في الطبيعة. ولاحظ أصحاب هذه النظرية أن ثمة علاقة ذاتية ملموسة بين الفكر والكلمة، وممن قال بها من العرب- قدامى

4- الجرجاني، الإمام عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، صحح أصله الشيخ محمد عبده، أ. محمد التركي الشميطي، علق حواشيه: محمد رشيد رضا، ط1، منشورات جامعة تشرين، اللاذقية، سورية، بدون تاريخ طبع، ص32 .

5- الوعر، مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث (مدخل)، دار طلاس، مطبعة العجلوني، دمشق، بدون تاريخ طبع، ص60 .

6- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط2، دار الهدى، بيروت، 20/1.

7- الحاج، كمال يوسف، في فلسفة اللغة، ط2، دار النهار، بيروت، 1978، ص22 وما بعدها.

ومحدثين - : الفراهيدي وسيبويه وابن جني والشدياق وغيرهم، وممن قال بها من علماء اللغة الغربيين: أفلاطون وجرغوريوس ديولاند (ت.389م) والقديس أوغسطينوس (ت.430 م).⁸

5.1.1. نظرية الربط بين اللغة والغريزة: تنادي هذه النظرية بوجود غريزة خاصة- هي ملكة - رُود بها جميع أفراد الجنس البشري، وإليها يؤول الفضل في نشأة اللغة عامة؛ حيث كانت تحمل كل فرد علة التعبير عن أي مدرك حسّي، أو معنوي، أو انفعالي عفوي باستخدام أصوات، أو حركات، أو إيماءات خاصة. ولكن بعد نشأة اللغة الإنسانية لم يستخدم الإنسان هذه الغريزة، مما جعلها تسقط - أي لغة الحركة - أمام تمخّص بواذر ظهور اللغة المنطوقة المستقلة، الأمر الذي جعلها تزول شيئاً فشيئاً.⁹

وستقتصر دراسة هذا البحث على النظرية القائلة بالربط بين اللغة والمحاكاة الصوتية، والتي جعلت من الأصوات الطبيعية بداية مطمئنة لنشأة اللغة الإنسانية. والمقصود بالأصوات الطبيعية: التعبير العفوي عن الانفعالات التي كانت تحيط بالإنسان في بيئته الأم كأصوات الحيوان، وأصوات مظاهر الطبيعة، كصوت الريح والرعد والشجر.... إلخ، أو الأصوات التي تحدثها الأفعال- الطبيعية والبشرية- عند وقوعها، كصوت الضرب، والحدّ، والقطع، والشقّ، والكسر... إلخ، بالإضافة إلى الأصوات التي يحدثها الإنسان عفواً في المواقف الانفعالية أو الهيجانية؛ يعبر بها عن مكونات نفسه وما يختلج صدره من ألم، وغضب، و استياء، وفرح وغيرها.

وقد سارت هذه الأصوات التي حاكى بها الإنسان الأول محيطه و كينونته في سبيل الرقيّ -الاجتماعي وبعده النطقي- شيئاً فشيئاً-تماشياً مع النمو الفكري و المدني للإنسان، واتجاه ثقافات البلاد و حضاراتها نحو مزيد من التمدن والتحضر واتساع فضاء الحياة على المستوى الاجتماعي والبيئي، وتعدد حاجات الإنسان، والأهم من هذا وذاك ناموس الارتقاء العام الذي يفرض على الإنسان ملائمة شخصه ومحيطه.

6.1.1. نظرية المحاكاة:

1.6.1.1. المحاكاة بين اللغة العربية و اللغات الأخرى:

اللغة العربية بحكم نشأتها الفطرية، و أصالة الإنسان الذي أبدعها من بيئة واحدة هي الجزيرة العربية وصفت بأنها مستقلة ومنعزلة جغرافياً، وذلك خلال مراحل متوالية غيابية، ثم زراعية، ثم رعوية شعرية، قد حافظت حتى الآن على أهم ميزتين عرفت بهما هما: الأصالة

⁸ - قاسم، رياض، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي (لبنان في القرن التاسع عشر)، ط1، مؤسسة نوفل، بيروت، 1984، ص42 وما بعدها.

⁹ - أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط1، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1366 هـ، ص15.

والفطرة؛ فهي أصلح موضع يمكن أن تُجمع فيه النظريات اللغوية جميعها بقصد دراستها واستقرائها؛ للتأكد من صحة منطلقاتها، ومصادقية توجهاتها، وبذلك تكون بمنزلة المنطلق الأم و الرئيس للإجابة عن مجموعة من التساؤلات والإشكالات التي واجهت ظهور اللغات الأجنبية و بقيت إلى الآن بلا إجابات مقنعة أو حلول مرضية.

قد لا يستطيع هذا البحث أن يصل إلى نتائج حاسمة باعتماد لغات دون العربية تخلّت منذ القدم عن أصول نشأتها الفطرية في الطبيعة، والنفس البشرية، و المجتمع الإنساني في أولى فترات ظهوره؛ فاللغة العربية واحدة من اللغات السامية لم يجر عليها ما جرى على أخواتها من هجر للأوطان التي ظهرت فيها، وترعرعت في ربوعها، وقويت مع أهلها الأصليين على مثال ما حدث للغات عديدة تخلّت عن ثوبها الطبيعي كالهندية الأوربية، الأمر الذي أطلق العنان للفكر الإنساني مانحاً إياه مطلق الجرأة وغزير الصلاحيات كي يتحكم بشكل جريء واعتباطي بمعاني كلماتها، وأفق مدلولاتها بعيداً عن العوامل الفطرية الأساسية في نشأة اللغة الإنسانية.¹⁰

فالحروف العربية من منظور الأستاذ (حسن عباس) في كتابه "خصائص الحروف العربية ومعانيها" تتميز بأن خصائصها ومعانيها مشحونة بشتى الأحاسيس والمشاعر الإنسانية مما لا تمتلكه حروف اللغات الأخرى؛ مما جعل الكلمة العربية بهذه الطاقة الذاتية تشخص الأحداث والمسميات والحالات الوجدانية في مخيلات سامعيها وأذهانهم دون أدنى جهد لمواءمة الصوت والمدلول.¹¹

2.6.1.1. الإنسان والمحاكاة:

مرّ الإنسان بأدوار مختلفة محاولاً محاكاة واقعه الذي بدا غريباً عنه وهو يستكشف خفاياه، ففي الدور التقليدي، قلّد الإنسان ظواهر الأشياء الحركية والصوتية التي يريد ترجمتها والتعبير عنها، فالأخرس إذا ما أراد أن يعبر عن الفرس فإنه يعتمد الوقوف على يديه ورجليه معاً؛ تقليداً لهذا الحيوان في مشيته وتناسق حركة أطرافه، وأحياناً كان يلجأ الى استصدار أصوات خاصة للدلالة على بعض أنواع الحيوانات، فقد يصعب عليه تنسيق حركاته وهو يقصد الإشارة إلى حيوان دون سواه، وهنا لا تسعفه لغة الجسد؛ فتأخذه فطرته إلى تقليد الصوت، حاله كحال الطفل عندما يرى كلباً ويسمع نباحه، ثم يُطلب منه أن يعبر عما رأى وسمع، فيقلّد صوت النباح وهكذا أي حيوان. وما يدفعه إلى هذه المحاكاة هو جهله اسم هذا الحيوان أو غيره من الحيوانات مما يقلّد أصواته إذا ما أراد التعبير عنها.

¹⁰ - الوافي، عبد الرحمن، *فقه اللغة*، ط4، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1956 م، ص25 وما بعدها.

¹¹ - عباس، أحمد حسن، *خصائص الحروف العربية ومعانيها*، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1988 م، ص19 وما بعدها.

ففي فترة من فترات الإنسان الأول كان لازماً عليه معاشيتها؛ إذ إنها كانت تشكل جزءاً رئيساً وحيوياً من مجتمعه البسيط آنذاك. وبمقاربة صورة الإنسان الأول وصورة الطفل تتعزز فكرة الفطرة؛ فالطفل لو تُرك - دون تأثير خارجي - لفطرته لدلّ على كل حيوان بتقليد صوته أو حركته، وكانت حركة صوت الأدوات بما تحدثه من فونيمات صوتية سبيلاً وحيداً إلى التعبير عن المسميات، وقد يجد نفسه يستعين بالإشارات، ولكنه لا يقف عند حدود تسمية الموجودات من حوله بلغة الحركات والأصوات؛ لأنه لا يلبث أن يتعلم لغة من حوله ويتناسى مع الزمن لغة الجسد والصوت الفطرية الطبيعية.

وهكذا كان الإنسان في باكورة أدوار وجوده - حالها كحال الطفل المولود حديثاً - يسمع ولكن لا يرى ولا يتكلم، والمحيط الذي يسكنه عبارة عن خليط من الغرابة والإبهام، تسعفه في هذا الدور لغة الحركات والإشارات، ولباقة حركة يديه¹²، وحسن أدائه هذه اللغة مرهون بإجادته عملية الربط والتنسيق بين الأطراف وسائر أعضاء جسده، وقد يُقرن لغة الإشارة بالمحاكاة الصوتية، عندها يكون قد أبدع في ترجمة ما يريد التعبير عنه.

لذا يمكن فرز الدور التقليدي الذي مرّ به الإنسان الأول إلى قسمين: قسم الأصوات، وآخر تقليد الإشارات. فلولا صعوبة اعتماد لغة الإشارات والتوسع فيها؛ وذلك لامتناع التفاهم بها ليلاً، وحاجتها إلى نظّر المخاطب، لشاعت واعتمدت، ولا غرابة أنها كانت ستتوب مناب لغة البشر الراهنة. فمثلاً اللغة التي يستخدمها البحارة تعتمد على الحركات والإشارات، وبعضهم مازال يستخدمها إلى وقتنا هذا. ولولا صعوبة التفاهم بها ليلاً لربما اعتمدت على حساب اللغة المنطوقة. و الحال نفسها عند لغة منظمي حركات إقلاع وهبوط الطائرات على حاملاتها في الوسط البحري تحديداً، إذ ما تزال إلى الآن تعتمد إلى جانب التواصل اللاسلكي ما بين الطائرة في قمرة ومركز الملاحه.

فبالاستقراء الدقيق لتاريخ اللغة يُدرك أن المبدأ في نشوء اللغة وتطورها، ثم ارتقائها، وبعد ذلك شيوعها، يرجع إلى عظيم فعل الله تعالى عندما جعل في مخلوقه الإنسان موهبة التقليد وملكة المحاكاة العفوية. فالتقليد أساس اللغة، و أصل نشأتها، ووسيلة تداولها، ومدار ارتقائها؛ لأن التفاهم سواء كان بلغة الإشارة أم بلغة الأصوات، فهو راجع إلى التقليد؛ لأن الإشارات تقليد لصور الأشياء أو معانيها، و الأصوات بدورها تقليد أيضاً لما يسمعه الإنسان من أصوات محيطه و بيئته على اختلاف مصادرها، وقد يُعبر بها عن مشاعر عالمة الداخلي.

12- الراجحي، عبده، *فقه اللغة في الكتب العربية*، دار النهضة، بيروت، 1979 م، ص 90-91.

3.6.1.1. أثر علمي الترسييس و التأثيل في مرحلة ما بعد المحاكاة (الدور النطقي):

إن استقراء تاريخ اللغة، وتتبع ألفاظها منذ بداية تكوينها، وصولاً إلى الشكل النهائي، يتم بطرق مختلفة، ولعل أهمها ما ذكره عبدالحق فاضل في كتابه (مغامرات لغوية)، حيث أوجد فرعاً جديداً في علم اللسان سمّاه (الترسييس)، والذي يميز دراسة أصول الكلمات، كما قام بمقارنة بينه وبين التأثيل (etymology). فالترسييس يعني: إعادة اللفظة إلى جذتها الأولى في الصورة الأولى التي وجدت عليها كما نطقها الإنسان الأول، قاصداً بها تقليده صوتاً من الأصوات المسموعة حوله، كأصوات الطبيعة أو الحيوانات، مع تعقب المراحل التطورية لهذه اللفظة مما قطعت في أشواط اجتماعية و حضارية؛ بسبب نمو الفكر الإنساني وتزايد احتياجاته، حتى وصلت إلى الصورة المرئية والمسموعة التي تستعملها إحدى لغات البشر.

وأما التأثيل أو كما يطلق عليه علم أصول الكلمات أو التأصيل و الإثالة، ويقال له علم التجذير وعلم تاريخ الألفاظ، فيعرّفه بقوله: "هو ردّ الكلمة إلى أمها مباشرة أو جذتها المباشرة أو القريبة"¹³

تتفرد ألفاظ العربية بأنها استطاعت أن تحتفظ بألفاظ ذات دلالات راقية متفرعة عنها، وهنا لا بد من الإشارة إلى الأهمية التي يحظى بها علم التأثيل كضرورة ملحة في دراسة أصول اللغات، وفهم دلالاتها؛ ولأجل ذلك يُستعان بدراسة المجتمعات الإنسانية، والعلوم، و الفنون، وتاريخ الحضارات للوصول إلى أفضل النتائج في القضايا الإنسانية، بالإضافة إلى إجراء مقارنات صوتية دلالية بين ألسن اللغات؛ بقصد تحديد الأصول الأولى، ومعرفة الأنساب التي تنتمي إليها هذه الألسن. ويبدو جلياً أن علماء اللغة العربية القدماء منهم قد وجدوا علاقة وطيدة بين الشعوب والألسن، فأوعزوا في كتاباتهم المعجمية إلى وجود علاقات القرابة بين اللغات التي تجاور العربية كالفارسية و الرومانية... إلخ

وإذا كان علم التأثيل يهتم بدراسة أصول الكلمات، ويسير معها إلى مرحلة استقلال الألفاظ، فإنه يهتم بتحول هذه الألفاظ إلى مواد معجمية لها كيانها الصوتي و المعرفي، وذلك بواسطة القلب و الإبدال و النحت. فالإنسان الأول يبدأ بتقليد ما يسمعه بصورة بسيطة طبيعية، وتتطور هذه الصورة المقلدة إلى الكلمات المستقلة بعد ذلك، فيستخدمها للمعاني التي يريد الإشارة إليها، ولكن يُلاحظ أن لها دلالة صماء تختفي معها ملكة التقليد.

في سلم تطور اللغات أول درجة تخطوها اللغة من دور التقليد البسيط إلى دور النطق، هي ظهور مقطع صوتي بسيط - يطلق عليه حكاية الصوت - يبتعد عن الدلالة التي يحاكيها بشكل مباشر، إلى ما يماثله أو ما يدنو منه، مع بقاء الدلالة الأم كما هي في ذهن الإنسان،

13- فاضل، عبد الحق، *مغامرات لغوية*، دار العلم للملايين، بيروت، بدون تاريخ طبع، ص 203 وما بعدها.

فتنتج ألفاظ بسيطة بمدلولات بسيطة، تغيب عنها الأدوات و الحروف، حال هذه المرحلة كحال قطعة الجلد في مفهوم الإنسان البدائي؛ حيث كان يستخدمها في صناعة لباسه و أثاثه وأدوات طعامه، وما أشبه قطعة الجلد هذه بالمقطع الصوتي البسيط الذي ما انفك الإنسان القديم يستخدمه؛ ليعبر به عن العديد والعديد من المعاني المجردة، والدلالات الحسية، فاللفظة الناتجة عن المقطع الصوتي للمحاكاة تنتقل من باب الفعل إلى الاسم أو الصفة.

فالشعب الصيني القديم يمتلك لغة قومية زاخرة بالمفردات و الدلالات، فلفظة (توان) تحمل عندهم كفيّاً من المعاني التي يُرجعها علم الترسييس إلى أصل واحد مشترك، وقد يُقصد بها دلالات تحمل معاني الفعل (كؤور، أحاط، استدار)، وتارةً تحمل معاني الاسم والصفة (مكؤور، دائري، كروي، كرة) وتارةً أخرى تحمل معاني الظرف (حول)¹⁴.

والدرجة الثانية التي ستصعدها اللغة في مراحل نموها وتطورها على سلم الارتقاء هي مرحلة فرز المفردات، حيث تغدو الأفعال أكثر اختلافاً عن الأسماء؛ وذلك مع غياب الأدوات والحروف ونواتج العملية الاشتقاقية لجذر الكلمة الأم، وبعد ذلك تخطو اللغة درجة جديدة تتمخض عنها مجموعة من الحروف والأدوات مهمتها الربط بين الأسماء والأفعال، ويُنتظر منها أن تمكّن الإنسان من التعبير عما يريد بجمل بسيطة متوازية، تُلمس فيها معاني التخصيص بعيداً عن السطحية و العمومية.

وهكذا تصعد اللغة درجة فدرجة فتتولد فيها مزيد من الحروف، و الأدوات، و الضمائر بشكل مخصص ومحدد، إضافة إلى أسماء الجنس وألفاظ الأعداد، و تقطع بعد ذلك درجات جديدة في سلم الارتقاء، تستدرك فيها نواقص مخزونها النامي من الكلمات والدلالات بما يتلائم مع معطيات الحياة التي لا تتفكّ تتطور.

2-الفصل الأول: المحاكاة والدرس اللغوي العربي

¹⁴ - زيدان، جرجي، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، راجعه: مراد كامل، طبعة جديدة، دار الهلال، بيروت، 1969 م، ص 145 وما بعدها.

1.2. الثنائية التاريخية وعلاقتها بالمناسبة الطبيعية:

اعتمد أكثر القائلين بهذه النظرية على مبدأ (الثنائية) في تفسير نشأة اللغة الإنسانية، وذلك بمحاكاة الأصوات الطبيعية كمحاولات الإنسان تقليد أصوات الحيوانات، وأصوات مظاهر الطبيعة، أو تعبيره عن انفعالاته الخاصة، أو محاولته الترجمة الصوتية لأصوات الأفعال عند حدوثها، فالكلم وضعت في أول أمرها على هجاء واحد، متحرك فساكن؛ محاكاةً لأصوات الطبيعة، ويتوالي المراحل الزمنية المتعاقبة، وجرياً على ناموس الارتقاء العام، زيد فيها حرف أو أكثر في القلب أو الصدر أو الطرف، فتصرف بها المتصرفون تصرفاً اتسم بسمة الاختلاف، وذلك تبعاً لاختلاف البيئات و المجتمعات و القبائل و الأهوية.¹⁵ فكان لكل زيادة أو حذف أو قلب أو إبدال معنى يقابلها أو فكرة تناسبها دون أختها، ثم جاء الاستعمال فأقرها مع الزمن على ما أوحته إليهم الطبيعة أو ساقهم إليها الاستقراء. وهذا يعني أن اللغة منقولة عن الأصوات الطبيعية؛ إذ تحدّاهما الإنسان بمنطقه، وحاول مجاراتها بجهازه الصوتي في بدايات المراحل الأولى لاستخدامه، وهذا يفضي إلى سؤال مهمّ مفاده: هل يمكن أن يُعدَّ الهجاء الواحد المتكون من مقطع ثنائي بسيط مثلاً على بداية اللغة الإنسانية، أو هو مثال على بداية تكون اللغة العربية؟!.

2.2. الدرس اللغوي العربي القديم:

من علماء العرب ولغوييهم من مال إلى تقرير هذه الظاهرة اللغوية في نصوص واضحة، نهض بها كي يفسر أصل اللغات اعتماداً على معطيات هذه الثنائية، فمن اللغويين القدماء على سبيل المثال ابن جنّي (ت. 392 هجري)، والذي لم يكن يعرض في خصائصه مجرد آراء أو وجهات نظر، يستحسن بعضها ويتجاوز بعضها الآخر، " بل كان فضلاً عن قبوله أو رفضه لرأي من الآراء يتتبع أمثلة ويتوسع في مجالات تطبيقية، وهذا ما فعله في مواضع كثيرة مثبتة في كتابه وأهمها بابان: (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)، (إمساس الألفاظ أشباه المعاني).¹⁶

ففي مسألة الثنائية التاريخية يبدو ابن جنّي متردداً بعض الشيء في بادئ الحديث، فهو ينسب الرأي السابق إلى بعض أسلافه من علماء اللغة ثم يبدي إعجابه به وينزل عنده منزلة القبول، ولا يجد حرجاً من التصريح بذلك حيث يقول: " وذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللغات إنما هو من الأصوات المسموعة كدويّ الريح، وحنين الرعد، وخزير الماء، وشحيج الحمار،

¹⁵ - الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1970 م، ص 148 .

¹⁶ - قدّور، محمد أحمد، مدخل إلى فقه اللغة، ط1، دار الفكر، دمشق، 1993 م، ص 193.

ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الطي، ونحو ذلك..... ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل".¹⁷

ويؤكد ابن جني في مقام آخر من كتابه رأيه السابق في خصوص ولادة اللغات وتحديدًا في باب إمساس ألفاظ أشباه المعاني، إذ يستهله بقوله: "اعلم أن هذا الموضع شريف لطيف وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه.....".¹⁸

وبمقاطعة تحليلي ابن جني، يُدرك أن هذه المناسبة الطبيعية بين اللفظ وما يحمله من مدلولات قد فطن إليها قدامى علماء اللغة ممن ذكرهم ابن جني، واستشهد بأرائهم كالخليل، وسيبويه، وهذان العالمان تناولا هذه الفكرة بشكل واضح وجليّ مما جعل ابن جني يجروّ على قوله التالي: "إن هذا الموضع شريف تلقّته الجماعة بالقبول والاعتراف بصحته...".¹⁹

حاول ابن جني في خصائصه التعرّيج على مسألة نشأة اللغة وأصلها، وقدّم لأجل ذلك جملة من التحليلات و التصورات؛ حاول من خلالها تفسير البدايات الأولى التي رافقت ظهور اللغة، ومجملها ينتهي عنده إلى ربط نشأة اللغة كتقليد لأصوات الطبيعة. إذ يقول في موضع من كتاب خصائصه: "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة كدويّ الريح..... إلى قوله: وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل".²⁰

والحق أن ابن جني كان معجباً بهذه النظرية، وقد تطرق إليها في مواضع غير قليلة من كتابه، وزاد على ذلك بأن خصّص باباً مستقلاً أطلق عليه اسم "باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني" تناول فيه مجموعة من الظواهر اللغوية الصوتية و التي خلّص من دراستها إلى نتائج عظيمة جميعها تؤكد عنوان بابه، فاللفظة عنده صوت من أصوات الطبيعة قد يكون أحادياً أو مركباً. وفي هذا الشأن كان الخليل ابن أحمد الفراهيدي قد سبق ابن جني في هذا التوصيف، فابن تأثر بمؤلفات الفراهيدي وسيبويه، وقد آثرا تقديم ابن جني عليهما في الشرح لدواعي مفيدة اقتضاها سير البحث، وقد قال الخليل في معجمه (العين): "كأنهم توهّموا في صوت الجندب استطالة فقالوا صرصر". أما سيبويه-تلميذ الفراهيدي- فقد تحدّث في مؤلفه (الكتاب) عن صوت الثور خوار والحمّار صوته نهيق، كما قال في المصادر التي جاءت على الفعلان: أنها تأتي للاضطراب و الحركة نحو الرجفان و النقران و الغليان و الغثيان و الفوران، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال. ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حداه ومنهاج ما مثله، وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضاعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة، والققعقة، والصعصعة،

17- ابن جني، الخصائص، 1/ 46-47.

18- ابن جني، الخصائص، 1/ 44-45.

19- ابن جني، الخصائص، 1/ 45-46.

20- ابن جني، الخصائص، 1/ 46-47.

والجرجرة، والقرقرة. ومن أمثلة ذلك تسميتهم الخاباز²¹ لصوته، والبط لصوته وغاق الغراب لصوته، وقولهم: بسملت وهيللت، و حوقلت، كل ذلك إنما يرجع في اشتقاقه إلى الأصوات و الأمر أوسع".²²

وعلى أساس هذه النظرية تكون الصورة الأولى لظهور اللغة قد تلاقت مع نظرية محاكاة الإنسان للأصوات الطبيعية من حوله، ويدخل في ذلك أيضا أصوات انفعالاته، وأصوات الحيوان، ومظاهر الطبيعة، وأصوات الأدوات، وما حفيف الأشجار و هدير البحر ودويّ الريح وصوت الطرق و الضرب وجعجة الرحي..... إلا دليل على صحة هذه النظرية.

ومن جملة ما كان يقصده ابن جني في تصوراتهِ وتحليلاته مسألة مهمة، أشار إليها عندما ربط ما بين المقطع الصوتي وبين ما يحاكيه من دلالات، أو يلزمه من معانٍ، أو ما يصاحبه من حالات شعورية، فالإنسان استخدم في هذه المحاكاة ميزات جهازه النطقي الذي رُوِدَ بقدرة على إصدار الألفاظ، و الأصوات المركبة ذات المقاطع، في وقت كانت لغته في أول أمرها ضيقة الكلمات، محدودة الألفاظ، قليلة التنوع، شبيهة بأصوات محيطه الطبيعي التي نتجت عنها، فكانت - أي الكلمات - قاصرة بعض الشيء عن ربط الصوت بدلالته كما هي؛ مما دفع الإنسان إلى تلافي ضعف لغته الناشئة إلى الاستعانة بالحركات الجسدية، وإشارات الأطراف، والإيماءات الوجهية؛ بقصد تجسيد المدلول و إظهار المعنى المقصود الذي يرمي إلى التعبير عنه.

وقد جاءت استعانة الإنسان الأول بوسائل التعبير الإشارية على نحوٍ فطري عفوي في بادئ الأمر، ثم أخذ يتوسع في فضاءات استخداماتها؛ ليحاكي بها أشكال الموجودات من حوله على مستوى الهيئة والحجم و الصفة، مما أعطاها أهمية في الحديث؛ فسدت فراغاً كبيراً في اللغة العربية. وبعد ذلك قطعت اللغة شوطاً كبيراً في التطور ينسجم وارتقاء التفكير الذي توسعت معه متطلبات الإنسان، مما جعلها تستغني تدريجياً عن دعم لغة الإشارة، فابتعدت اللغة مع متحدثها عن أصول نشأتها الأولى؛ متأثرة بخليط من العوامل أبرزها التطورات التي تحكم تغير صور الأشياء من حوله، وأعضاء جهاز النطق الإنساني بخصائصه الفيزيولوجية، وعلاقات المجانسة والمواءمة التي ترافق الكلمة ومدلولها أثناء فترة تطورها تماشياً مع تقدم مظاهر الحضارة الإنسانية.

21- الخاباز: الذباب، كما شرحها سيبويه في كتابه، 371/1.

22- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، حققه: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، باب الراء والصاد والراء (مادة: صرر)، كما سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م، 360/1، 372/1 وما بعدها.

تناول ابن جني هذه الظاهرة بتوصيف واضح و مُعلن، أكد فيه على العلاقة الجلية التي تجمع ما بين ثلاثية اللفظ و الصوت و المعنى عندما قال: " فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع و نهج مثلب....."²³

ومن يغوص في خِصَم هذه الظاهرة -المحاكاة- لا يحتاج إلى عظيم الجهد و النباهة كي يلمح العلاقة الطبيعية بين الألفاظ الموضوعية بمقاطعها البسيطة التي تحاكي الأصوات الصادرة عن الموجودات الحسية، فالذئب يعوي، والبحر يهدر، و العصفور يزقزق، والثور يخور إلخ. و بمقاربة بسيطة بين مصادر هذه الأفعال كالهدير، والخوار، والزقزقة وغيرها مع الأصوات الصادرة عن الحيوانات، يُدرك من الوهلة الأولى ذلك التقارب الملموس الذي يجمعها، و الأصل الذي نشأت منه.

ومن اللغويين القدامى من تبنّى فكرة الثنائية التاريخية، كعباد بن سليمان الصيمري(ت.250 هـ)، حيث أيد وجود علاقة بين اللفظ و مدلوله تحت تأثير مناسبة طبيعية تحكمهما، حيث رأى أن تخصيص الاسم المعين بذاته بالمسمى المعين ترجيحاً من غير مرجح.

ومما لا شك فيه أن عباداً كان له عظيم الأثر في دراسات العديد من اللغويين الذين دأبوا على شرح ودراسة المناسبة الطبيعية التي تجمع بين اللفظ والمدلول، فكانت دراساته تتسم بالرضا والقبول، مع ملاحظة تكلف قسم منهم، وهو ما انفكّ يعكف على إظهار هذه المناسبة؛ مما دفعهم إلى التوجه بعيداً عن عفوية اللغة العربية بخصائصها وطبيعتها؛ ليستشهدوا في تحليلاتهم بلغات أعجمية، تغيب معها درجة علمهم بها، وإتقانهم لها على مستوى المخزون المعجمي لمفرداتها. وقد ورد في كتاب "المزهر" للسيوطي أن عباداً سئل "ما مسمى (أذغاغ)؟ وهو بالفارسية الحجر، فقال: أجد فيه يبساً شديداً وأراه الحجر."²⁴

ومن هنا يمكن القول إن العلاقة الطبيعية التي تحكم اللفظ و ما ينطوي تحته من مدلولات لا يقتصر فيها عند عباد ومن تبعه على اللغة العربية، بل يمكن القول إنها تمشي على سائر اللغات، فكلمة أذغاغ منشؤها فارسي، وعند سؤال عباد عن معناها جاء بجواب يوحي من قريب أو بعيد بمعرفته باللغة الفارسية على قدر متواضع، ومع ذلك لاقى جوابه عند أهل اللغة قبولاً و استحساناً كما ورد في خصائص ابن جني.

وقد جاء تصور عباد منطقياً عندما وجد ثمة مناسبة ذاتية بين الصوت والمدلول، وأقرّ بحتمية وجودها، مع صعوبة إدراكها وتحسسها في بعض الأحيان، وهذا ما قصده السيوطي

²³- ابن جني، الخصائص، 549/1-550.

²⁴- السيوطي، عبدالرحمن جابر الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق: محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البيجاوي، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون تاريخ طبع، 47/1.

عندما قال: "وأما أهل اللغة والعربية فقد كانوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين اللفظ والمعنى، لكن الفرق بين مذهبه و مذهب عباد أن عباداً يراها ذاتية موجبة بخلافهم."²⁵ ومما يُعرف عن عباد أنه ضمّ في دراساته حجماً كبيراً من مؤلفات سابقه من علماء اللغة، حيث جهد على حفظها وتدوينها؛ وكأنه على علم بأن قسماً منها سيُفقد، ولأنه استوعب ما استوعبه من خلاصات نتائجهم.

يمكن القول إن هؤلاء اللغويين قد ارتضوا قانعين بفكرة المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني، وإليها أرجعوا أصل اللغة على وجه العموم، والعربية على وجه التحديد، وما يزيد قناعة الدارس بهذه المناسبة هو وجود اتفاق ما بين تصورات ابن جني وعباد، الأمر الذي جعل من ظاهرة المحاكاة نهجاً معتمداً فرض نفسه في مجال دراسة فقه اللغات بشكل عام.

وبالانتقال إلى حازم القرطاجني (362هـ) في كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) نجد أنه تحدث عن المحاكاة، ولكنه قصد بها المحاكاة التخيلية في الشعر القصة وسواها من فنون الأدب، وقد قسّم المحاكاة إلى أنواع منها: التخيلية والتي تُدرك بالحس، وفيها ألمح إلى مفهوم قريب من مفهوم بحثنا الذي يتناول المحاكاة الصوتية، فجاء على حدّ تعبيره أن المحاكاة بالمسموعات تجري من السمع مجرى مجرى المحاكاة بالمتلونات من البصر. وهذا المفهوم يكاد يقترب من الرؤى التي وجدناها عند كل من اللغويين الذين عرّجنا على رؤاهم حول فكرة المحاكاة الصوتية، فالمبدأ واحد وهو محاولة التقليد والتصوير التي يلجأ إليها الإنسان في عملية محاكاته موجودات الطبيعة، وكوامن النفس البشرية. والقسم الثاني للمحاكاة عنده عُرف بالمحاكاة التشبيهية، وهي معتمدة في الأسلوب الشعري، حيث استرسل في الحديث عنها وعن أقسامها بناء على حال المحاكى والمحاكى به، وقسمها لمحاكاة تحسين، ومحاكاة تقبيح، ومحاكاة مطابقة. والنوع الثالث سمّاه بالمحاكاة الإعجابية والتي تعتمد على صدى النفس في تأثرها بكل صورة نادرة معجبة فيها استغراب.²⁶

ولن نقف مطولاً عند القرطاجني، إنما اكتفينا بهذا الشرح المبسط لكوننا رأينا أن المحاكاة عنده لا تتقارب وفكرة المحاكاة الصوتية التي نحاول رسم ملامحها. وقد أشار الباحث حبيب الله علي إبراهيم في إحدى مقالاته عن مفهوم المحاكاة عند القرطاجني، حيث وضح أن القرطاجني رد المحاكاة إلى صور الخيالات في النفس؛ بمعنى أن الانبعاث هو التخيل.

²⁵ - السيوطي، المزهر في علوم اللغة، 47/1-48.

²⁶ - حازم القرطاجني، أبو الحسن، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، طبعة 3، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، 2008م، ص 87 إلى الصفحة 100.

ولكن المحاكاة بالصوت و المحاكاة بالنحت و المحاكاة بالتصوير، كل هذا لم يلتفت إليه القرطاجني و التفت إلى المحاكاة القولية²⁷

أما "ابن فارس" (ت.395هـجري)، في معجمه (المقاييس) فقد كان ممن أخذوا بمفهوم النظرية الثنائية وأثرها في نشأة اللغة وتطورها، حيث إنه عمل على ردّ معظم الألفاظ الثلاثية أو الرباعية إلى جذرها الأم الذي هو عبارة عن مقطع أحادي بسيط، صوت هذا المقطع من شأنه أن يحاكي صوت أحد المسموعات الطبيعية، فمثلاً عندما اشتغل في المادة الصوتية (قَط) عمد إلى ردّ أصل (باب القاف مع حرفي الطاء والعين وما يشاكلهما في المادة الصوتية) إلى معنى القطع، إذ إنه يراه في (قطع) الذي يدل على مجموعة من المعاني المشتركة كالفصل والبتز، وكذلك (صرَم): إبانة شيء من شيء، وفي (قطف) الذي يدل على قطع الشيء، وكذلك (قطم)، فالفاء والعين والميم جاءت بصفة أحرف مزيدة على الجذر الأم (الأصل الثنائي: قط)، فمنحت المعنى الرئيس للقطع دلالات متنوعة، تحاكي درجات هذا الحدث باختلاف كل من الفاعل، وآلة الفعل، وما يقع عليه الفعل، فتراوحت ما بين الإبانة و الفصل والصرم و الأخذ، مراعية أصوات القطع أثناء حدوثه بين الشدة و الغلظة، جريباً على محاكاة الصوت المسموع المتجسد بالمقطع الأحادي (قط).²⁸

وفي معجم ابن فارس - المقاييس - نماذج كثيرة من المواد اللغوية، التي لم يتوان عن إرجاعها إلى جذور ثنائية بسيطة تحاكي مسموعاتها²⁹، وكان يشير دائماً إلى ذلك، ولكن يلاحظ أنه لم يتخذ من حكاية صوت المقطع صوتاً يقاس عليه، ومثال ذلك ما جاء في عرضه لمادة (وَل)، حيث عقب عليها بالكلام الآتي: "ول: الواو و اللام : الولولة : الإعوال و أصوات النساء بالبكاء"³⁰.

ويمكن القول باطمئنان إنّ ابن فارس كان مهتماً بصورة جدية بنظرية الثنائية التاريخية، و إليه يعود الفضل في نقل هذه الثنائية من الإطار التاريخي السماعي إلى الأفق المعجمي، فقد جسّد عنايته بهذه النظرية عندما ألّف معجمه المقاييس، وأقل ما يمكن أن يوصف به أنه مخزون لغوي ثريّ بمواده اللغوية، يسرّ على الباحثين عناء البحث عن المعاني في ظلّ كثرتها وتنوعها؛ لأنه جمعها في أصول قليلة.

27- علي إبراهيم، حبيب الله، مقالة بعنوان: نظرية المحاكاة عند حازم القرطاجني من خلال كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد (13)، مارس، 2012، ص 105-106.

28- ابن فارس، أبو الحسن أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1366هـ، مادة (قط).

29- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، المواد: (هز، هم، أخ، أز).

30- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: (وَل).

3.2. الدرس اللغوي العربي الحديث:

سيراً مع الزمن الذي يحكم مثل هذا النوع من الدراسات، يؤول الانتقال إلى زمن المحدثين من علماء اللغة، فقد بذلوا وافر جهدهم وهم ينهلون من دراسات القدماء، لينطلقوا منها إلى مزيد من الاجتهادات والتحديات؛ ليكملوا بها ما بدأ به الأولون. و لعل أبرز اسمين من أسماء هؤلاء اللغويين المحدثين ممن أنثروا البحوث اللغوية في أواخر القرن الثامن عشر هما: أحمد فارس الشدياق (ت.1887م) في كتابه: "معجم سرالليال في القلب والإبدال"، وجرجي زيدان (ت.1914م) في مؤلفه: "الفلسفة اللغوية و الألفاظ العربية".

بداية يمكن ملاحظة مجموعة تقاطعات التقى فيها الشدياق و زيدان، من شأنها أن تدعم فكرة نظرية المحاكاة كأسس ومعطيات ونتائج، و من أمثلة هذه التقاطعات:

- المقطع البسيط المكون من حرفين هو أصل المواد في اللغة.
- هذا المقطع الأحادي المؤلف من متحرك وساكن عبارة عن صوت منقول عن الأصوات الطبيعية، حيث استقبله الانسان الأول بإحدى حواسه الخمس، وحاول التعبير عنه، فحكى به الصوت المسموع مما جعل السامع يفطن إلى ما يرمي إليه المتكلم، وذلك بإدراك هذا الصوت الذي هو مألوف في عهد المتحدث و السامع.
- بدأت اللغة منذ نشأتها الاولى بالمقطع البسيط، هذا المقطع انتقل إلى مرحلة الثنائية عن طريق زيادة حرف عليه.
- تطور اللغة من منظار فكرة المقطع البسيط يتناول اللغات عامتها في أول عهود نشوئها، و العربية واحدة منها.
- المقدرة النطقية لجهاز الصوت البشري كانت متواضعة وعاجزة عن ترجمة ما يراه الإنسان الأول في الطبيعة.

وسيحاول البحث استعراض أبرز ما جاء في تحليلات الشدياق و زيدان بعد أن استعرضت مجموعة من النواحي التي التقيا فيها، و البداية عند الشدياق الذي عكف على دراسة التطور الذي طرأ على بنية المقطع البسيط.

لقد قبل الشدياق بنظرية محاكاة الإنسان للأصوات الطبيعية، ورأى فيها وسيلة ناجعة تفيد في تخصيص أصوات معينة لمسميات معينة، بحيث يختص كل صوت بمدلول واحد قد لا يتجاوزه إلى آخر "فمعظم اللغة مأخوذ عن حكاية صوت".³¹

و المقطع الأحادي (حرف متحرك + حرف ساكن) يمثل حكاية الصوت، وكثيراً ما حاول الشدياق مقارنة المعنى الحسي الملموس مع هذا المقطع؛ قناعة منه أن العلاقة بين الصوت ومعناه تترسخ

³¹- الشدياق، أحمد فارس، معجم سر الليال في القلب والإبدال، المطبعة العامرة السلطانية- الآستانة، إسطنبول، 1284هـ، ص22.

في ذهن المخاطب قبل المخاطب، عندما تُنشئ صورة حسية فيها اتفاق بين حكاية الصوت و المدلول، وقد أطنب هذا اللغوي في إيراد كثير من الأمثلة في معجمه " سر الليال في القلب و الإبدال" فمثلاً المقطع (عَبْ): هو حكاية صوت شرب الماء، أو الجوع، غير أن المقطع الأحادي لا يحمل القصد الدلالي المدوّن في المعجم؛ لذلك سيبقى حبيس الغموض، والعقم الدلالي.

وبعلل الشدياق الغموض والعقم السابقين فيما يخص دلالة الوضع أن الوضع لما وضع (قَدْ) و(دَقْ) لم يقصد بها في بادئ الأمر أن تكونا فعلاً أو اسماً، بل مجرد حكاية لصوت توهّمه بغضّ النظر عن شيء آخر، " فلما وصل (دَقْ) بفاعله قال: دَقَّ الرجل، ولهذا كثيراً ما تأتي صيغة الاسم والفعل في هذا الباب واحدة." ³²

فالمرحلة الأولى تمثّلت بالمقطع البسيط الذي لم يجمد عند تكوينه البسيط من متحرك فساكن، إذ تطور بعد ذلك إلى صور أكثر نضوجاً في الشكل والدلالة، فأحياناً يطرأ تضعيف على الحرف الثاني، وأحياناً تُدمج السكون بالحركة فيتمخض عن ذلك المضاعف الثنائي.

لذا يمكن اعتبار المضاعف الثنائي أساس المادة المعجمية كما وصفه الشدياق، ومن جهة أخرى يعزو أساس اللغة الصوتية إلى المقطع الأحادي، ولعل خير تسمية يمكن إطلاقها على هذه المرحلة النشوئية للمقطع الأحادي هي مرحلة المقطع الخام، و الذي يصنّف على أنه دور أو مرحلة متقدمة ومتطورة للأصوات الفطرية الطبيعية والانفعالية.

ويقول الشدياق في مسألة المضاعف الثنائي: "معظم اللغة مأخوذة من حكاية صوت" ³³، فهو ينسب حكاية الصوت إلى هذا المضاعف نحو (دَقْ، دَفْ، ضَمْ)، فالمضاعف يشكل نواة البنية الصافية الرئيسة لمادة الكلم، واستشهد على كلامه بأمثلة يُدرك المعنى فيها من هيئة المضاعف مثل: سلّ: سلب، كدّ: كدح، ضمّ: ضمّد، طقّ: طرّق، فالحروف المزيّدة تستوجب الزيادة في المعنى، وتخصيص الدلالة؛ لتمشي المادة اللغوية خطوة أكثر رقياً في التعبير عن المسميات سواء كانت فعلاً أم اسماً أم صفة.

فالجذر (غمّ) يدل على التغطية والستر و الخفاء، و إليه تُردّ الكلمات الثلاثية التالية : (غمز، غمض، غمد، غمس، غمر)، وزيادة الحرف الأخير على المقطع الثنائي (غمّ) أفادت في إغناء المعنى و تنوعه وهو ما جعل الكلمة التي تعقبها تكتسب معناها الحقيقي ³⁴، فيقال: غمر الماء، غمرت عينه، غمض جفنه، و ما إلى ذلك.

أمّا محور الفعل الرباعي فقد تناوله الشدياق في هيئته المركبة من أربعة صوامت، فهو يرده إلى أصل ناتج عن تكرار الصامت الأول والثاني في المضاعف الثنائي أو الثلاثي،

³²- الشدياق، معجم سر الليال في القلب والإبدال، ص22.

³³- الشدياق، أحمد فارس، معجم سر الليال في القلب والإبدال، ص25.

³⁴- الشدياق، معجم سر الليال في القلب والإبدال، ص361.

"فقولهم: هُزْهَزَ، حُتَّحَتْ، إِنَّ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا: هَزَّ+هَزَّ، حَتَّ+حَتَّ، فلما بنوه هكذا احتاج للتسكين".³⁵

وقد امتازت بنية المادة اللغوية عند الشدياق بسمات صوتية مأخوذة من أصوات الطبيعة، وهذا يؤدي أنه كان متقبلاً لفكرة المحاكاة التي اعتمدها كأساس يُنسب إليه ولادة اللغة وتطورها بفعل الزمن والمتغيرات.

وعلى أساس عمليتي القلب والإبدال، رتّب الشدياق صور المضاعف الثنائي، وراح يستند على نظرية القلب المطلق في تقليب الأفعال واستخراج الدلالات، ورأى أن القلب و الإبدال أكثر ما يكونان في أسر المواد اللغوية التي تدل ألفاظها (أصواتها) على القطع والكسر والشقّ والقصم والفرقة؛ لأن جميعها من جنس واحد مأخوذ من حكاية صوت طبيعي نحو: (قَقْ، قَدَّ، قَضَّ، قَطَّ)، (جَدَّ، هَدَّ، قَدَّ، قَصَّ)، (حَزَّ، حَسَّ)، (مَتَّ، بَتَّ).³⁶

أمّا جرجي زيدان في مؤلفه "الفلسفة اللغوية"، فقد تحدث فيه عن البنى المانعة الدالة على معنى في نفسها، وهو في حديثه هذا يطابق الشدياق ويوافق في مسألة حكاية الصوت، وقد ردّ معظم الألفاظ الدالة على معنى في نفسها إلى أصوات ثنائية أحادية المقطع تحاكي أصوات الطبيعة و موجوداتها.

معظم الكلمات عند زيدان قابلة للرد بواسطة الاستقراء إلى جذرها الأم، ويتمثّل هذا الجذر عل هيئة أصول أحادية المقطع تحاكي أصوات المسموعات، وهذا الإرجاع إنما يتمّ بعد عناء كبير لم يبذلّه اللغويون الآخرون، فكانت الأصول التي ردّوا إليها الاسم والفعل ثلاثية في معظمها؛ وبالنتيجة فهم لم يحملوا أنفسهم جهد البحث و التقصّي، وقد عبّر زيدان عن ذلك الجهد بقوله: "ولو بُعد العناء".³⁷

وتقرير ذلك أن ألفاظ المعنى الواحد تتقارب لفظاً حين تشترك في حرفين هما الأصل الذي يضمّ في ذاته المعنى الأصلي (الجذر الأم)، و بعد ذلك تُلقَى المسؤولية إلى الحرف المزيد- أياً كان موقعه- الذي من شأنه أن يُحوّر المعنى، وبه تنتوع الدلالة الرئيسة الكامنة في الحرفين الأصليين.

وقد طرح زيدان مجموعة من الأمثلة شرح من خلالها قضية الأصل اللغوي للألفاظ بإرجاع كل منها إلى أصلها الثنائي، ثم عكف على دراسة الحرف المزيد وموقعه من اللفظة؛ للوصول بعد ذلك إلى دلالات وليدة جديدة يفيدها هذا الحرف المزيد وفق موقعه من المفردة اللغوية. فمثلاً: الأصل اللغوي (قَطَّ): صوت يتكون من مقطع أحادي يحاكي صوت القطع ثم

35- الشدياق، معجم سر الليال في القلب والإبدال، ص362.

36- الشدياق، معجم سر الليال في القلب والإبدال، ص365.

37- زيدان، جرجي، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، ص98.

يذكر بعضاً من المقاطع الثلاثية والتي يحتوي كل منها حرفاً مزيداً على المقطع الأصلي من مثل: (قَطَّ، قَطَعَ، قَطَمَ، قَطَعَ، قَطَلْ)، وجميعها تتضمن معنى القطع، إلا أن كل واحد منها بما يحمله من درجات القطع و حدته قد استعمل لتتويع من تنوعاته؛ فالمقطع (قَطَّ) بزيادة التضعيف أو زيادة الباء في آخره يتضمن مع القطع معنى الجمع، و زيادة الميم في (قَطَمَ) تفيد العضّ واللام في (قَطَلْ) أفادت شدة الحدث، وكما يلاحظ إنّ المقطع الأم (قَطَّ) يجمع هذه المواد اللفظية على تنوع دلالاتها.³⁸

ومن أمثلته أيضاً المقطع (قَصَّ): الذي يُعدّ المعنى الرئيس في التنوعات الدلالية التالية: (قَصَمَ، قَصَبَ، قَصَرَ، قَصَلَ، قَصَفَ) وهي جميعها تفيد القطع، يجمعها المقطع الأصل (قَصَّ).

فمن هذه المقاطع الثنائية المزيدة بحرف اشْتُقَّت في مراحل متقدمة مجموع من الألفاظ تفيد في مجملها معاني صوت القطع رغم كثرتها، فمثلاً من المقطع الثلاثي (قَصَلَ) اشْتُقَّت لفظة (مِفْصَلة)، وهي صيغة اشتقاقية تدخل ضمن نطاق ألفاظ اسم الآلة، و تقوم في عملها الذي وضعت لأجله على قطع رأس الشخص المراد إعدامه بقصد فصل الرأس عن الجسد، كذلك الصيغة الاشتقاقية (قَصَّاب) التي هي من أوزان مبالغة اسم الفاعل، تعود في أصلها إلى المقطع (قَصَبَ)، فهذه الزيادة اللفظية المتمثلة بالتضعيف والألف أنتجت مسمّى (القَصَّاب)، وأُطْلِقَتْ على ذلك الشخص الذي يقوم بقطع اللحم وفصله.

وبجانس (قَصَّ) المقطع (قَضَّ) ومنها: قَضَّ، قَضَمَ، قَضَبَ..... إلخ، كما يُجانس المقطع (قَصَّ) أيضاً (كَسَّ): و بالزيادة تنتج بعض من الألفاظ من مثل: (كَسَرَ، كَسَمَ) اللتين تتضمنان معنى الدقّ و الفتّ، كما يُؤخذ من المقطع (كَسَّ): كَسَعَ.

وبالمقاربة ذاتها يجانس المقطع (قَصَّ) المقطع (جَذَّ) فيقال: جَذَّ، جذب، جذر، جذم، و قديماً كان يقال: "جذب الريق إذا انقطع".³⁹

ويرى زيدان أن هذه المقاطع فيها من الدلالات و المعاني ما يفوق المئات عدداً، من مثل المقطع (قَصَّ)، وكلها تُرد بالاستقراء إلى أصل واحد تنضوي تحت دلالة حروفه طائفة من الكلمات التي تشترك في معانيها، حيث يجمعها هذا الأصل الذي هو حكاية الصوت.⁴⁰ فالمقطع (قَصَّ) هو حكاية صوت القص والذي لا بد له من آلة تقوم بفعل جَزَّ الشعر أو الصوف، كالمَقَصَّ مثلاً، فيقال: جَزَّ، جَزَّأ، جَزَمَ، جَزَحَ، جَزَرَ، وجميعها من باب القطع.

يُلاحظ من التحليلات التي شرحها زيدان و حلّلها بشكل دقيق، أن الجذر الثلاثي المتمثل في مجموع الكلمات التي أوردتها، ترجع أصلاً إلى جذر ثنائي يتضمن المعنى الأصلي، وما هذا

³⁸ - زيدان، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، ص 98-101.

³⁹ - زيدان، جرجي، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، ص 99.

⁴⁰ - زيدان، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، ص 100.

إلا دليل على آلية التطور الدلالي المتأني كنتيجة طبيعية لعملية التنويع التي تجري على المادة اللغوية؛ فتكسبها كثرة المعاني. فمثلا المقطع (هَبْ) يأتي بمعنى: ثار أو هاج، ومنه جاءت المواد التالية (هَبْ، هَبَجْ): ضرب ضرباً شديداً، يرافقه صوت قوي عالٍ، ومنه قالوا: (المِهْبَاج)، وهي لفظة مشتقة تدخل في حيز اسم الآلة (مِفعال)، تيمناً بالضرب الذي يحدث داخله بفعل الضارب. ونظراً لتقارب مخرجي الشين والجيم في المقطعين (هَبْش)، (هَبَج) نجد الأول يحمل دلالة الثاني، فيقال: هَبْش بيده؛ أي ضرب بسرعة وخفة، ويقال: هَبْص الرجل: نشط وعجل، هَبْذ الطفل: عدا وأسرع في المشي، هبا الفرس: فَرّ، والقائمة تطول ولكن تجدر الإشارة إلى أن جميعها يتضمن معنى (ثار، هاج)، كما أن (هَبْ) ما هي في أصل وضعها إلا حكاية صوت لهيب النار المتأججة إذا نفحته الريح.⁴¹

وفي سلسلة توارد الأمثلة هذه يأتي المقطع البسيط (تَفْ)، وهو من الأصوات التي ينطق بها الإنسان بشكل غريزي وعفوي في المواقف التي تستلزم منه إبداء شعور القرف والاستياء، سواء المادي أو المعنوي، ومنه: (التَفْ، التَفَّتْ): وسخ الأظافر، ويدخل في هذا المعنى قولهم: (تقيء، تفتت): بصق وجميعها يشترك بالمقطع (تَفْ)، وبالإضافة أصبح يقال: (التفن): أي الوسخ، (تَفَه): قَلَّ وخَسَّ، ومنه يقال لمعدوم الأخلاق و ساذج التفكير: إنسان تافه، و المصدر هو التفاهة. ومن الأصل (فَقْ): وهو حكاية صوت القرية - وما يشبهها في الحجم و الاستخدام من أدوات حفظ الماء و اللبن - إذا شُقَّت وهي ملأنة بالماء، فيقال: فقأ عينه، فقست البيضة، فقس الولد بمعنى قفز ووثب، و فقع الشيء: انفجر وانشق.

بعد تتبع آراء الشدياق وزيدان يمكن القول إن أحدهما قد وافق الآخر في مسألة حكاية الصوت، وأن كل مقطع ثلاثي أو رباعي قد جاء طبعاً للرد بالاستقراء إلى مقطع أحادي وبعدها تلحقها الزيادات لتحور المعنى وتنوع الدلالات، وكلاهما درس موقع الحرف المزيد من المقطع الأصل، فقد يكون موقعه إما في الصدر، أو في الطرف. فزيدان يرى مثلاً أن موقع الحرف الزائد يتموضع غالباً في عجز الكلمة، والرباعي المزيد بحرف يرتد إلى الثلاثي، و الزيادة قد تكون سابقة في صدره من مثل: سقلب (صرع) من الفعل قلب، ووزنه (سَفْعَل)، وهو من جملة مزيدات الثلاثي في اللغات الشرقية ولكنه أهمل في اللغة العربية، وقد تكون الزيادة لاحقة في آخره نحو (بحثر) بمعنى بحث، وقد تكون لاحقة بمضاعفة حرفين أصليين: (قَصْقَصَ) من الفعل قَصَّ، وأيضاً (طَفَطَقَ) من طَقَّ، وقد تكون الزيادة حرفاً دخيلاً وهو أحد هذه الحروف على الأغلب (ل، م، ن، ر)، كما في الفعل (نَبَذَ) بمعنى بذر، (خَرَمَش) بمعنى خمش (جرح بشرته).

وكذلك الأمر بالنسبة للثلاثي المزيد بحرف، و الذي يرجع بالاستقراء إلى مقطع أحادي يحمل المعنى الرئيس، و الزيادة يمكن أن تكون سابقة في أوله مثل: (لهب) من هب، (لمس) من مس، أو لاحقاً في آخره من مثل الأفعال التالية (فَقَأَ، فَقَر، فَقَش، فَقَس، فَقَع) و جميعها تُرد إلى الجذر الأم (فَقَّ)، وقد تكون الزيادة حرفاً دخيلاً أيضاً كما هو الحال في الرباعي تماماً، وقد يكون موقعه وسط الكلمة بين الحرفين الأصليين من مثل (شَلَق من شَقَّ)، و (فَرَق من فَقَّ)، و (فَلَج من فَجَّ)، وغيرها من الأمثلة التي ذكرها زيدان في مؤلفه.

و وفق تصوّر زيدان لفكرة مجيء بعض الأفعال الثلاثية المركبة من أصلين فإنه فصل هذين الأصلين إلى (حكاية صوت + حكاية صوت)، وكل أصل منهما يحمل معنى في نفسه يغاير الآخر ويكمل معناه في آن معاً، ومثال ذلك الفعل (قَمَشَ) الذي هو حصيلة عملية النحت المطبقة على المقطعين الأصليين: (قَمْ + قَشْ)، إذ إن دلالة (قَمَشَ) تعني جمع الفتات الذي على الأرض ولمّه، وهي عند زيدان تُرجع إلى أصلين هما: (قَمْ: كنس)، و (قَشْ: جمع)، فكانوا إذا أرادوا كنس شيء ما و جمعه قالوا: "(قَمَقَشَ)"، و بالتخفيف ألغيت القاف الوسطى فقبل (قَمَشَ)، ومثل ذلك كثيراً في الألفاظ الثلاثية⁴².

فمن هذه الأصول نشأت لغتنا ونمت وتطورت إلى أن ارتقت إلى ما هي عليه الآن من غنى تراكيبيها، وتنوع دلالاتها ومعانيها بين عمليات النحت و القلب و الإبدال والاستعارة سداً لحاجات الإنسان".⁴³ ومن المفيد ذكره إن زيدان طبق النحت على مواد لغوية معظمها أفعال، ولم يطبق ما أجراه من نحت في الأفعال الثلاثية على أفعال رباعية، ولم يذكر الألفاظ الخماسية أو السداسية.

أما اللغوي الشدياق فقد تقاطع مع زيدان في نظرية الثنائية اللفظية - التاريخية- والتي اعتُمدت في دراستهما، فقد أرجع الشدياق الألفاظ معظمها إلى مقطعها الأحادي، ودرس موقع الزيادات على المقاطع الثلاثية والرباعية، وتناول تنوع الدلالات في هذه المقاطع الناتجة عن القلب و الإبدال، و قد ورد ذلك في سابق موضع خلال حديثه عن تطور البنية الدلالية.

خلاصة القول من شروحات الشدياق وزيدان إنّ المحاكاة تمثلت عندهما - وعند من تبعهما- بالمقطع الأحادي، فهو أول ما نطق به الإنسان تقليداً لما حوله من أصوات في الطبيعة على اختلاف مصادرها، فالمقطع (عَبْ) يعني شرب الماء أو الجرع، وهو بتوصيف الشدياق حكاية صوت، ونحو ذلك يوجد كثير من المقاطع البسيطة موضوعة في أصلها بأنها تحاكي صوت المسموعات، والسؤال الذي يفيد طرحه هنا: هل الهجاء الواحد مثل: (عَبْ، قَصْ، قَطْ،....) مثال على بداية اللغة الإنسانية، أو هو مثال على بداية اللغة العربية؟!.

⁴² زيدان، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، ص 101-103.

⁴³ زيدان، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، ص 102.

فالبحت في الصورة التي كان عليها كلام الإنسان في أولى مراحل ظهوره يختفي في غياهب التاريخ وسردييه، كما يختفي فيها أصل الإنسان نفسه، وهذا ما يؤكد ابن جني في خصائصه اذ يقول: " و قد يمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى علينا لبعدها في الزمن عتاً، ألا ترى إلى قول سيبويه: (أو لعلّ الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر) يعني أن يكون الأول الحاضر شاهد الحال، فعرف السبب الذي له ومن أجله ما وقفت عليه التسمية، والآخر - لبعده عن الحال - لم يعرف السبب للتسمية " .⁴⁴

وبعد، فإذا قيل - جـدلاً - بقدرة المقطع الصوتي (في حدّته) وقدرة دلالاته على حمل حدوده المميزة، حيث لا يختلط مع غيره من الكلمات، فهل ينطبق هذا الافتراض على أصوات الطبيعة التي تحيط بالإنسان وتؤثر على لغته كالصوت الناتج عن القصف أو القطع أو الضرب أو الحزّ مثلاً؟. ولا يغيب عن السامع مراتب صوت القطع المتعددة، واختلاف تموجاتها بين علوّ وانخفاض، وخشونة ورقة، وهذا يعني بالضرورة أن صوت القطع ليس له موجة واحدة أو مدّ واحد.

فالقول بالمحاكاة يلزم -عنه بالضرورة- وجود مجموعة من الحدود المسموعة، والتي تفصل بين صوتين مختلفين لحدث ما، له مراتب سمعية مختلفة كما هو الحال بين المقطعين: (قط) و(حز)، حيث إن وجود حدود فاصلة بينهما أمر لم يتحقق.

وجوهر الكلام السابق يدور في فلك مقولة: تلازم الصوت و الدلالة، والتي من شأنها أن تُرجع ذهن الدارس إلى عُرْف الدلالة الطبيعية، حيث الطبيعة بعيدة عن تدخل الإنسان وصنعه، وهذا يؤكد فكرة تشابه اللغات جميعها. ولكن هل ثبات المعنى في الحرف يعني أن الحروف تحمل المعاني الكلية أو الثابتة؟. فاللغات عامة، والعربية على وجه التحديد تحكمها تأثيرات السياق والمقام و الحالة الشعورية للمتحدث و المُخاطَب.

إنّ مثل هذا النوع من الدراسات التي تحاول تفسير ظواهر نشوء اللغة مع محاولات تعقيدها يلزم فيه الفصل بين الجذر الثنائي في جانبه الصرفي، والجذر الثنائي في جانبه الدلالي المحاكي للصوت، والقول ببطلان شرعية الجذر الثنائي يعني بشكل غير مباشر القبول بشرعية الجذر الثلاثي، فهل كثرة استعمال هذا الأخير تلغي مصداقية الأول؟.

4.2. من الثنائية التاريخية إلى الثنائية المعجمية:

لم تبق الثنائية التاريخية حبيسة الجانب السماعي، و بتطورها كان لا بد لها أن تدخل جانب التوثيق الكتابي في صفحات المعاجم. فالمعجم العربي يهتم بماهية العلاقة الكامنة بين

الكلمة والمعنى. لذلك إن "أول سؤال يطرحه نظام المعجم العربي يدور حول وجود علاقة مناسبة طبيعية بين الصوت و المدلول نتيجة لمحاكاة أصوات الحيوان و الطبيعة، لذا يمكننا القول بأن اللسان العربي لسان أصيل بدائي النشأة"⁴⁵. فالكلمات التي بدأ لسان الإنسان الأول بنطقها، إنما تتم وفق عملية عضوية - فيزيولوجية- وتتكون عضوياً من انبثاق المعنى دون تحكم العقل، وهذا الأمر يُستشف من خلال أمور عديدة منها: إنّ أصوات المسموعات في الطبيعة، ومنها أصوات الهيجان التي كانت مصدر اشتقاق لمعظم كلمات اللغة، تشير إلى العلاقة بين اللغة والطبيعة.

في اللغة المصطلح عليها كرموز عند الجماعة، ما يهم شأن اللغة العربية في هذا الموضع أن معانيها تمثل تجربة الحياة تمثيلاً دقيقاً ومستقلاً عن اجتهد المجتهدين؛ إذ لا يكاد الذهن يستحضرها حتى ينبعث من النفس المعنى الذي أنشأها. وقد تعرض صبحي الصالح في مؤلفه (دراسات في فقه اللغة) للعنوان الأول فرأى أن مسألة القبول بالثنائية التاريخية أو عدمه إنما هي مسألة مشروطة بملازمة هذه الثنائية للمقطع الأحادي البسيط، وطرح سؤالاً مهماً فيما إذا كان هناك وجود لرابط منطقي يُلح بين الصيغ المزيّدة وبين أصولها الثنائية في نشأتها الأولى.⁴⁶ وبحسب ما ذهب إليه أصحاب هذا الرأي لا يعجزهم إيجاد ذلك الرابط، فهم تقصّوا العلاقة الثنائية منذ أن نشأت نشأتها التاريخية الأولى، مروراً بما طرأ عليها من تغيرات صوتية ودلالية وصولاً إلى المقام الذي آلت إليه بصورتها الحالية في المعاجم، الأمر الذي يفرض أن تسمى بالثنائية المعجمية، وبالأستقراء ردّوا معظم المواد الثلاثية والرباعية إلى أصول ثنائية زيد عليها صوت أو أكثر،⁴⁷ والتمسوا بين صورتها الأصلية المجردة وصورتها المتطورة المزيّدة جامعاً معنوياً مشتركاً⁴⁷. وقد وجد هؤلاء في هذه الزيادة سبيلاً مفيداً من أجل توليد الألفاظ الجديدة، وتجديد المعاني والدلالات بقصد تكثيرها، مع نية الاحتفاظ بفحوى المعنى الأصلي القديم.

والباحث صالح يُجمل رأي المعاصرين فيما يخص هذه النظرية، فبرأيه أن من يقوم بعملية جمع ألفاظ العربية وتقصّيها بمنتهى التمحيص والدقة يجد أن أصل كثير منها يعود إلى مقاطع بسيطة، نشأت عنه في مراحل لاحقة الألفاظ اللغوية مع حقولها الدلالية. ويُورد مثلاً على ذلك لفظة (فَلّ)، وما تتطوي عليه من زيادات لاحقة في آخرها مثل: (فلق، فلق، فلق، فلد، فلق) وجميعها يفيد معنى الشق و الفتح. وهو يرى " أن كل حرف مزيّد- زيد على الأصل الثنائي- إنما يجري على قانون التطور اللغوي تنويجاً أو إقحاماً أو تنزيلاً، مع بقاء اللحمة المعنوية بين الثنائي

45 - مجلة الموقف الأدبي، مجموعة كتّاب، تصدر عن دار اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، عدد (181-182-183) حزيران-تموز، 1986 م، ص15.

46 - الصالح، صبحي دراسات في فقه اللغة، ص153.

47 - الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص153.

و الثلاثي كما هي مستمرة بين الثلاثي و الرباعي وما فوقه من المزيدات⁴⁸، فهو بكلامه السابق يلتقي مع علماء اللغة القدماء والمحدثين ممن جيء على ذكرهم في مواضع سابقة.

تتجسد فكرة الانتقال من الثنائية التاريخية إلى الثنائية المعجمية بصورة أوضح عند اللغوي زكي الأرسوزي "Al- arsuzi" (ت.1968م)، حيث لم يختلف في آرائه وأفكاره عن تناولوا هذا الانتقال، فهو يرى أن "اللسان العربي اشتقاقي البنيان ترجع كافة كلماته إلى صور صوتية مرئية مقتبسة مباشرة عن الطبيعة الخارجية تقليداً للأصوات الحاصلة فيها، أو عن طريق الطبيعة الإنسانية..."⁴⁹.

فتكون اللفظة وفق رؤية الأرسوزي يتطلب تألف ثلاثاً من الحواس الإنسانية مجتمعة، وهي الحس، و البصر، والسمع، فتزواج خصائص الشيء المرئية مع الصوت المعبر عن صدى تأثيرها في النفس البشرية من شأنه أن يحدث الكلمة، وبعد ذلك يجيء دور العمل اللغوي القائم على الاشتقاق أساساً؛ حيث تنشق من الكلمات كلمات أخرى تحمل دلالات جديدة ولكنها "تظل محتفظة بنسب النشأة الطبيعية".⁵⁰

فالذهن استعان بحاسة البصر في عملية توليد الألفاظ من الصوت، من ذلك استعانته بخيال صورة الفقايع -المرئية و المسموعة- عند صوغه من صوت المقطع الأحادي البسيط (فق)، والذي يمثل مرحلة الثنائية التاريخية في محاكاته لصوت الماء، ومنه جاءت المادة (فقق)، وبعد ذلك تطورت هذه المادة الصوتية لتدخل حيز المعاجم عن طريق زيادة الحروف عليها ومثال ذلك: (فقا، فقع، فقص، فحق)، فالأرسوزي إنما يؤكد نظرية نشأة اللغة البدائية عن أصوات في الطبيعة فيقول: "فأما الأصوات المعبرة عن الهيجان فتقوم على علاقة فطرية بين الشعور واللفظة كبادرة من بوارد الهيجان الأخرى، و حكمة وجود هذه العلاقة بين الصوت والمعنى والمشاركة الوجدانية بين أعضاء مجتمع تربط بينهم الرابطة الرحمانية".⁵¹

ويستدل الأرسوزي بلفظة (آخ) التي هي للتوجع تدعوا الأقارب لترديد الصوت قائلين هذه اللفظة التي تعد منشأ الكلمات الآتية: (أخ، أخاء، أخوة...) وما شاكلها، فالإنسان عندما يتوجع؛ يتوجه بألمه عفويا نحو أقرب الأشخاص إليه وهو الأخ الذي يشارك أخاه المتوجع و يواسيه في مصابه. ولم يفت هذا اللغوي أن يتناول فكرة نشأة الأفعال الثلاثية من صور صوتية ثنائية، فعمد إلى أن يبسط المشتقات الحاصلة و يختزلها بالزيادة عن الفعل الثلاثي، فالأصوات المستحدثة في الفم من مثل: (بث، قض، قط) يتشكل معناها من خلال صدى حدوثها في النفس، فالعلاقة

48- الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص156.

49- أحمد، خليل، دور اللسان في بناء الإنسان عند زكي الأرسوزي، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، بدون تاريخ طبع، ص101.

50- أحمد، خليل، دور اللسان في بناء الإنسان عند زكي الأرسوزي، ص102.

51- أحمد، دور اللسان في بناء الإنسان عند زكي الأرسوزي، ص111.

القائمة في هذا الموضوع طبيعية بحتة لا يشوبها التكلف، أو صنعة الواضع، ومن شأنها أن تربط بين الصوت والمعنى. ولا غرابة هنا أن تتولد عند العامة لفظة (قَصْوْضة) من المقطع (قَضْ)، محاكاة للصوت المسموع عند تناول هذا الشكل الغذائي، وهو عبارة عن رغيف خبز توضع داخله مادة غذائية، وبعدها يلف بشكل أسطواني.

وقد شرح الأرسوزي أمثلة كثيرة في دراساته اللغوية الصوتية في سبيل استخلاص مرجعية كل كلمة عربية، و السعي بعد ذلك إلى تثبيت أصل منشئها على أساس تلازم الصورة الصوتية المرئية فيها، ومن تلك الصورة الأولى بدأت المشتقات تتمخض، لتتولد في مراحل لاحقة الكلمات بآلية الاشتقاق المعروفة، وتصبح جاهزة للدخول في متون المعاجم. ويبدو هذا التوجه جلياً في المثال الذي شرحه الأرسوزي عندما حلّل الجذر (فَرَزَ)، وهو صورة صوتية لحركة الطائر في موضع التجهز للطيران عن طريق الرفرفة و القفز؛ فيحدث طيرانه المرئي هذا الصوت. والطائر يجسد الصورة البصرية المرئية كاسم جنس لنوع من المخلوقات التي تمتلك أجنحة، و بتوجيه الذهن للسان ترتسم صورة عفوية معادلة لما رآته العين، وسمعته الأذن في تلك الحالة الطبيعية، وبلاشتقاق تولدت كلمات كثيرة ذكرناها الأرسوزي كلمة (فرس)، وهو أيضاً اسم جنس لنوع من الحيوانات التي تمشي على أربع قوائم، حيث إن زيادة حرف السين كلاحقة في نهاية الجذر (فَرَزَ) أسهم في صناعة كلمة (فرس)، وهذه الزيادة نتجت عن التشابه والاختلاف بين الطائر والحيوان (الفرس)، ونقطة الشبه بينهما تتمثل في السرعة، لكن الاختلاف يكمن في احتكاك حوافر الفرس بالأرض وهو يجري محدثاً صوتاً قوياً نظراً لضخامته وسرعة عدوه وثقل جسمه، مما جعل صانع هذه المادة يتعمد في تحريكه حرف الراء، ويُلحقه بالسين لتتساوى الكلمة مع الشيء الذي تصوره في ذهنه، وأدرك حدوثه بحاستي البصر والسمع.⁵²

وعلى أساس من الاشتقاق والنحت والتحوير تتوالد الألفاظ، وتتنوع الدلالات والمعاني، وهي في أصلها تعود إلى مواد صوتية بسيطة وبدائية تحاكي الطبيعة، احتواها المقطع الثنائي البسيط في أولى مراحل ظهورها، هذا المقطع الذي اعتمده علماء اللغة القدماء والمحدثين ممن ذكروا في هذا البحث، وعدّوه الأساس في نشأة اللغات، وخصّوا العربية كونها أصلح لغة لتطبيق مفردات نظرية المحاكاة في تكون المواد اللغوية وتطورها بعد ذلك.

فالطبيعة والنفس تتعاونان في إنشاء اللغة وإنمائها، مع الميل إلى الأخذ بأن أصل النشأة في النفس، وفروع النمو أُوكلت للطبيعة والمجتمع، فالوظيفة الجوهرية هي تبليغ المعنى من خلال الأصوات المختلفة، فاللغة في حد ذاتها أصوات⁵³، تلك الأصوات احتوتها الطبيعة بموجوداتها،

52- أحمد، دور اللسان في بناء الإنسان عند زكي الأرسوزي، ص118 وما بعدها.

53- الوعر، مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص132.

وجاء دور الإنسان بعد ذلك في استقبالها عن طريق المحاكاة بما وهبه الله من منطق وعقل ميّزه بهما عن المخلوقات سائرهما؛ تكريماً منه لخليفته في الأرض.

الدراسات السابقة التي عُرضت في هذا البحث تشير إلى مصداقية نظرية الثنائية التاريخية - سواء عند القدامى أم المحدثين - لذا يمكن القول باطمئنان إن العربية الأولى تكونت مثل غيرها من اللغات، من أصول ثنائية البناء، مركبة من حرفين، تحاكي الأصوات التي نطق بها الإنسان البدائي على مقتضى غريزته. وبفعل التطور والرقى تعددت الكلم بإضافة واحدة أو أكثر إلى الأصل الثنائي الثابت، وهذا بدوره يُمثّن حتمية وجود علاقة مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول، فالإنسان في تقليده لأصوات المسموعات في بداية حياته أشبه بالطفل بعد ولادته.

5.2. دراسة تطبيقية في بعض المقاطع الصوتية الحديثة:

يتناول هذا الجزء من البحث مجموعة من الأمثلة التطبيقية، و التي من شأنها أن تدعم ما جاء في منته؛ لتعزيز الاقتناع بنظرية الثنائية التاريخية القائلة بفطرية اللغة في أصل نشأتها الأولى. وهذه الأمثلة ما هي إلا براهين حسية ستُدرس كدليل على سلامة معطيات هذه النظرية، ومن أجل الأخذ بمعطيات هذه الثنائية؛ لاستخراج عناصر اللغة الأولية من أسماء الأصوات، ودعاء الحيوانات وزجرها، وبعض أسماء الأفعال والأصوات الغريزية الانفعالية. ونشير إلى أن المقاطع التي ستُدرس في هذا الجزء منها ما هو موجود في مؤلفات اللغويين الذين مررنا عليهم في هذا الفصل من البحث من أمثال: ابن فارس والشدياق وزيدان والأرسوزي، ومنها ما هو حديث العهد استعنا به للتمثيل والفائدة. وهذه الاستعانة ستُسحب ويُعمل بها على الدراسة التطبيقية في الفصل الثاني.

المقطع (هَمْ): ومنه الهمهمة: ونقول هي حكاية صوت الزفير الذي يطلقه الإنسان اليائس المهموم، ويتعاقب الأزمان تولّد منها الفعل (هَمْ)، وتبعته صيغ اشتقاقية مختلفة من مثل: (مهموم، هموم، ...)، فالأصل هو المقطع البسيط (هَمْ).

المقطع (وَيْ): ينطق بها الإنسان للتأوّه بموجب فطرته، وتحديدًا في أوضاع التألم النفسي أو العذاب الجسدي، وقد تلزمها لام الجر في آخرها فتصبح (وَيْل)، ويُدَلّ بها على التوجّع أو حلول الشر، " وبتوالي الأزمان صرفوها و اشتقوا منها و زادوا عليها فقالوا: وَيْل، توَيْل، توَيْل. ⁵⁴ كما استعملت (وَيْل) اسما لوادي في جهنم، فالخالق سبحانه وتعالى عليمٌ بمخلوقه الناطق بما فُطِرَ عليه، حيث يعلم أن الإنسان إذا ما تعذب فسينطق بلفظة (وَيْ)؛ تعبيراً منه عن شدة ألمه، ولذا أراد أن ينبّه عباده إلى العذاب الذي ينتظر الكافر منهم، فجاءت لفظة (وَيْل) لتجعل الإنسان

يتخيل صور العذاب في الآخرة عند سماعه له، وفي القرآن مواضع كثيرة وردت فيها هذه الكلمة من مثل قوله تعالى: "وَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ" (الماعون: 4:7)، وكذلك: "وَيْلٌ لِلْمُطَفِّينَ" (المطففين: 1:36).
فالمهمة ولفظة (وَيْ) تدخلان في تصنيف الأصوات التعجبية الانفعالية، وقد ذكر الباحث صالح الفاخري هذه التسمية في كتابه، وأطلق عليها: نظرية الأصوات التعجبية العاطفية، والتي تعزو نشأة اللغة إلى أصوات الحيوانات، وأصوات الإنسان التي يصدرها بداعي الغضب أو الفرح أو الحسرة وما شابهها، وذلك بحكم غريزته الهيجانية⁵⁵، وسيؤتى على دراسة هذه الألفاظ في الفصل الثالث. وفي مقام آخر نجد الفاخري يستخدم عبارة: "نظرية الاستجابة للحركات العضلية"⁵⁶، وتُرجع إلى الأصوات التي تصدر عن الإنسان الأول، وهو يقوم بعمل عضلي مجهد، كقطع شجرة، أو نحت صخرة، أو حمل متاع، فالجهد المبذول جسدياً يعبر عنه هذا الإنسان بمقاطع صوتية، تترافق وحركات العمل الذي يؤديه.

وقد تأتي (وَيْ) اسم فعل بمعنى (أعجبُ)، من ذلك قول عنترة في ديوانه:

لقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس: وَيْكَ عنترة أقدم⁵⁷

ومن (وَيْ) رُكِبَتْ فيما بعد عدة كلمات منها: وَيْح، وَيْب، وهذه الأخيرة ربما كان أصلها (وَيْ+أَب)، ولفظة (أَب) وردت للاستغاثة به، وتجاوز أن تأتي (وَيْ) حرف تنبيه وزجر، فنُقِلَ للرجوع عن المكروه و المحذور من مثل: (وَيْحَكَ).

المقطع (أَف): وهو حكاية صوت الاستكراه والازدراء الذي ينطق به الانسان عندما يستاء أو يزعج، ويصلح أن يكون حكاية صوت التذمر أيضاً.
ومن لفظة (أَف) اشتُقَّ فيما بعد: (أَفّ، يؤفّ، أفا) بمعنى تضجّر، ومنها (أَفاف: كثيرالتضجّر)، (الآفة): ومن بعض معانيها المذكورة في معجم القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت. 817هـ): الجبان و المعدم و الرجل القذر والمرض. والمواد اللفظية السابقة هي معان متنوعة تعود للمعنى الأصلي المتمثل بالمقطع (أَف)⁵⁸.

المقطع (وا): يفيد التفجّع والندبة، ولَمّا كان من الندبة تشهير المصيبة وإعلانها بقصد إسماع الآخرين ودعوتهم إلى مشاركة المُصاب؛ فإنها اقتصرَت على المعلوم دون المجهول، فلا يُقال : وا رجلاه، ودُكِرَ عند بعضهم أن (وا) تقع اسم فعل بمعنى التعجب، ومنه قول الشاعر:

55- الفاخري، صالح سليم، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 36.

56- الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 36-37.

57- الإربلي، علاء الدين بن علي، جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، صنعة إميل يعقوب، ط1، دار النفائس، بيروت، 1991 م، ص 513.

58- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط2، دار الريان للتراث، بيروت، 1987 م، مادة (أَف: أفت).

وا بآبي أنت و فوك الأشنب كأنما ذرّ عليه الزرنب⁵⁹

المقطع (آه): وهو حكاية صوت التوجع، ومنها اشتقّ: (آه، يآؤه، أوها) أي: شكى وتوجع، ومنها يُقال أيضاً: تأوّه تأوّهًا. وقد دَعَا قديما داء الحصبه (آهة)، والجذري (مآهة)، وكل ذلك لوجود تناسب ملموس ما بين اللفظ والمعنى، وهذا التناسب يرتبط بلغة الإشارات التي استخدمها الانسان قديما، حيث كان يجانس بين صورتَي اللفظ، البصرية و السمعية للتعبير عن المعنى بتقليد صفة من صفاته، أو يقوم بتشخيص حادثة ملازمة له بعد أن تقع في نفسه و يستشعرها بحواسه وحده، فلفظة " (آهة) جاءت عندهم تشخيصا لما يرافق ذلك الداء من أصوات تأوّه المريض⁶⁰.

المقطع (تَفّ): وهو حكاية صوت البصق، ومنه اشتقوا: (تَفَلّ: بصَق) فمن دواعي قيام الانسان بهذا الفعل الاستخفاف بالأمر، أو الاستهانة بشيء مادي أو معنوي؛ لذلك جاؤوا بالفعل (تَفّه): خَسَّ أو قَلَّ، ومنه التافه⁶¹. ولما كان (التفّ) يحدث أحيانا عن استكراه بعض الأطعمة؛ جيء بالمصدر (التفاهة) في الطعام أي عدم الطعم، ومن ذلك: (طعام تَفّه) أي لا طعم له ولا مذاق يستطاب. وفي حالات الغضب تُستخدم لفظة (التفّ)؛ لذلك قالوا: (تفّىء: احتد وغضب)⁶². "وإذا كان صوت (التفّ) يُسمَع عند محاولة إخماد النار استعملوا مادة (طَفّىء) بالإبدال⁶³، حيث أُبدلت الطاء بالتاء؛ انطلاقا من تجانس مخرجهما الصوتي؛ بقصد إكثار المعاني وإغناء الدلالات، والفعل طَفّىء يدل على عملية إخماد النار، وسيرد تحليل هذه المادة في الفصل الثالث. ومن السمات الصوتية لحرف الفاء اختصاصه بحدث النفخ، فالإنسان عندما ينفخ يخرج صوتاً حكايته المقطع (أفّ)، وبعد ذلك اشتقوا منه الفعل الصريح (نفخ). وبمقارنة المقطع الصوتي للفعل (نفخ) مع ما يقابله في اللغة الإنجليزية (puff)، وفي الفرنسية (Soufflér)، (gonfler, enfler) نجد جميعها تفيد معنى النفخ، مع وجود ما يشير إلى حكاية صوت الفعل وهو حرف الفاء.

المقطع (قط): وهو حكاية صوت القطع، ومنه جاء الفعل قطع، ونظيره في الإنجليزية (cut)، وفي الفرنسية (coupe)، وفي التركية (kesmek)، ويبدو جلياً - بعد مقارنة المواد الصوتية لهذا الفعل كما ورد في اللغات السابقة- أن حكاية صوت الفعل هي سبب مقتع في

59- الإربلي، علاء الدين بن علي، معرفة جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، ص 286-287.

60- زيدان، جرجي، الفلسفة اللغوية و الألفاظ العربية، ص148.

61- زيدان، الفلسفة اللغوية و الألفاظ العربية، ص148-150.

62- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (تفّ: تفّ)، مادة (فاء).

63- زيدان، الفلسفة اللغوية و الألفاظ العربية، ص149.

اشتقاقه، فحرف الكاف في الإنجليزية والفرنسية والتركية يقابل حرف القاف في العربية، والمقابلة ذاتها واضحة بين حرفين الطاء و التاء.

المقطع (هَهْ): وهي حكاية صوت الزفير الاغتصابي، وهو يوحي بإخراج النفس حاراً من الصدر دلالة على الاحتراق أو التتهد، وقديماً كان المصريون يعبرون عن النار بقولهم (هَهْ). وفي اللغة العبرانية (أَفْ): تأتي بمعنى الأنف، وهي حكاية صوت الزفير إذا خرج عن طريق الأنف، وبما أن الإنسان الغاضب يقوم بإخراج زفرات قوية من أنفه استعملوا (أَفْ) بمعنى: غضب أو سخط.⁶⁴

الأمثلة السابقة مضافاً إليها ما ذكر عند الحديث عن النظرية الثنائية التاريخية، تعزّز شعور الاقتناع بنظرية المحاكاة؛ حيث إن المواد اللغوية التي درست أمكن إرجاعها إلى أصل نشأتها الأولى المحاكية لصوت المقطع البسيط، هذا المقطع تعود إليه اللغة في ولادتها وتطورها. ومن أجل دعم توجهات هذه النظرية سئستعرض في البحث مجموعة جديدة من الأمثلة، وهي حديثة على صعيدي اللفظ والمعنى، لم تكن موجودة أو مستعملة في سابق العهود، وإنما فرضتها تطورات الحياة، وتقدم الحضارة البشرية، وتوجه الإنسان نحو الابتكار والتصنيع؛ بهدف سدّ حاجاته المتولدة جيلاً بعد جيل، وهذه الأمثلة عبارة عن محاكاة لأصوات المسموعات المتمثلة في مقطع ثنائي بسيط يحاكي صوت آلات جديدة، ومخترعات حديثة لم تكن موجودة قديماً، وقد يكون السامع قد اهتدى إلى تجانس الصوت مع الدلالة فاتّخذ من المحاكاة سبيلاً إلى التسمية، مع ملاحظة عدم وجود اتفاق بين دلالة المقطع البسيط قديماً وحديثاً؛ بحكم الرقيّ الفكري، والتطور العلمي و العملي.

المقطع (عَنْ): مقطع يحاكي صوت المحرك الآلي عند تشغيله، ولربما يكون السامع قد فطن إلى هذا الصوت فجاء بالفعل (عَنْ، يَعْنُ)، وزيادات لاحقة أوسابقة على هذا الأصل الثنائي اشتق اسم الآلة (عَنْفَة)، وما توالد بعد ذلك من صيغ اشتقاقية يمكن ربطها بالمقطع (عَنْ) من مثل: (عَنْف، عَنْف) إشارة إلى أي عمل أو سلوك يثم بصورة قوية، ويلزمه جهد مبذول، كما يمكن أن تطلق كلمة عنيف كصفة للإنسان القاسي في طبعه. و العامة تقول: (عَنْ الولد): أي بكى بكاء قويا بصورة مستمرة، و بصوت عالٍ دون انقطاع، كما هو الحال في صوت العنفة المتمثل بالمقطع (عَنْ)، حيث يحدث هذا الصوت بإيقاع قوي وحالة مستمرة أثناء عمل هذه الآلة.

⁶⁴ - زيدان، الفلسفة اللغوية و الألفاظ العربية (مجموعة من الأمثلة المقارنة لمقطع واحد بين أكثر من لغة، سواء كانت قديمة أم حديثة)، ص149 وما بعدها.

المقطع (تَكْ): حكاية صوت عقرب الساعة الذي يسير في مجال دائري، و بصورة منتظمة دقيقة وحركات ثابتة، ولا غرابة أن تكون الكلمات (تكتك، تكتيك) مشتقة من هذا المقطع، فاللغة الحديثة تستخدم التركيب: (تكتك الرجل) أي: تمهل في عمله كي يتقنه وينجزه بصورة دقيقة وسليمة لا خطأ فيها، ومنه قيل: (تقنية، تقني، تقنين، إتقان) وجميعها تحمل معاني الدقة والضبط والتنظيم.

وفي اللغة الإنجليزية يقال: (Technical، Technology)، وفي الفرنسية (Technologique).

المقطع (أَزْ): وهو حكاية صوت الرصاص بعد خروجه من فوهة السلاح، بحركة لولبية، وبسرعة كبيرة، فقليل إن صوت الرصاص هو الأزيز، وقد ورد هذا المقطع في مقاييس ابن فارس يفيد أكثر من معنى منها: التحرك السريع الشديد، الإزعاج.⁶⁵

المقطع (وَشْ): بالقياس على طريقة التسمية من مبدأ المحاكاة، يمكن أن تُردّ لفظة (الشاشة) شاشة التلفاز إلى حكاية صوت هذه الآلة عند تشغيلها، إذ يصدر منها الصوت (وَشْ) الذي يفيد معنى الغموض، وعدم الوضوح في المعالم، والعامّة تقول: (فلان به وشّة)؛ أي تصرفاته غير مفهومة.

المقطع (حَشْ): وهو حكاية صوت حشّ الحشائش، وبلاشتقاق تمّ توليد الفعل (حشّ)، واسم الآلة حشاشة.

المقطع (غَصْ): وهو حكاية مجموعة من الأصوات من مثل: صوت الغرق، صوت الاختناق، ومنه تم توليد كثير من الألفاظ منها: (غصّ، غاص، الغوص)، ولكن الملاحظ هنا أن اسم الآلة (غواصة) قد يكون اشتق من هذا المقطع؛ حيث يُلاحظ وجود علاقة مناسبة طبيعية بين هذه الآلة وصوت نزولها في الماء.

المقطع (رَنْ): وهو حكاية صوت رنين الهاتف، ومنه قيل: رنّ الهاتف، وأي صوت فيه رنين يُقال عنه (رئان)، ومنه رنة العود.

المقطع (بُمْ): وهو حكاية صوت انفجار القنبلة، حيث الباء حرف انفجاري في أصل مخرجه، والعامّة تقول للقنبلة (بومبا) كما في مصر.

والهاتف والقنبلة والغواصة و الحشاشة وغيرها، هي مسميات تُعدّ حديثة الولادة، حالها كحال كثير من أسماء الأدوات والآلات والمخترعات، مما لا نجد لها حضوراً في متون معاجم الأقدمين؛ لذلك لم نأت على استقراء معانيها في القواميس القديمة.

⁶⁵ - ابن فارس، المقاييس، مادة (أَزْ)، مع الإشارة إلى أنه لم يرد في شرح هذه المادة أي ذكر لصوت الرصاص؛ وذلك بسبب عدم وجود مثل هذا النوع من الأسلحة في ذلك الزمن.

هناك كثير من المسميات الجديدة تحاكي صوت حدوثها، ومن هذا الصوت تم توليد مواد لغوية جديدة، اكتفى البحث بذكر بعض منها على سبيل التمثيل، وليس على سبيل الحصر والإحصاء؛ من أجل تأكيد صحة نظرية المحاكاة في اعتمادها كطريقة صحيحة وفعالة عند محاولة تسمية كل ما يظهر في حياة الإنسان.



3-الفصل الثاني: نماذج تطبيقية لنظرية المحاكاة في القرآن الكريم (دراسة صوتية دلالية).

1.3. تمهيد:

في هذا الفصل الأخير من البحث دراسة تطبيقية (صوتية دلالية) لظاهرة المحاكاة في القرآن الكريم، فالقرآن خطاب رب العالمين، وحجة المحتجين، و برهان العارفين، وقد خص الله تعالى ذاته الجليلة بحفظ القرآن فقال " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " (الحجر:9:99). ويكفي اللغة العربية شرفاً ورفعة أن نزل كلام الله تعالى بها، فزادها عظمة وقداسة.

سيُستعرض في هذا الفصل التطبيقي المواد اللغوية التي ذكرها القرآن، وتحمل في أصولها صبغة المحاكاة الصوتية، وذلك بأن تُرجع اللفظة إلى جذرها الأم أو ما يسمى مقطوعها الأحادي البسيط المتكون من متحرك فساكن، والذي يحاكي صوتاً من أصوات الطبيعة، أو النفس البشرية، أو ما شابه ذلك من أصوات يُلاحظ في حروفها صدى أفعالها.

وستُدرس دلالات كل مادة اعتماداً على خير معاجم اللغة العربية وأشهرها وأشملها، معجم لسان العرب لابن منظور (ت: 714 هـ)، حيث أراد في معجمه أن يجمع بين صفتي الاستقصاء و الترتيب، كما أنه عمل على أن يكون معجمه شاملاً لمعاجم اللغة العربية؛ فقام بجمع مادته من خمسة مصادر هي: تهذيب اللغة للأزهري، و المحكم لابن سيده، و الصحاح للجوهري، و حواشي ابن بري، و النهاية في غريب الحديث لعز الدين بن الأثير. " فالمعجم لغة الأحياء مع ارتباط جذري بالكلمة المتطورة"⁶⁶.

وسيُستأنس بمجموعة من كتب التفاسير؛ للوقوف على جمالية اللفظة في سياقها القرآني، بما تحمله من إعجاز الكلمة في صورتها الحسية و الذهنية، وستحاول هذه الدراسة التطبيقية جمع المفردات اللفظية، و فرزها، وتصنيفها في أسر لغوية، تُراعى فيها أمور عدة أهمها: وحدة المقطع (الجذر) الأم الذي تعود إليه المواد اللغوية، إضافة إلى حكاية الصوت، و الذي تولدت منه فيما بعد مفردات جديدة ودلالات حديثة، مما ورد في متون المعاجم، مع محاولة تتبع القيمة الفنية لموقع المفردة -التي خضعت لزيادة حروف على أصلها البسيط الثنائي- في النص القرآني، اعتماداً على تفاسير القرآن الكريم، " فالقرآن أمات الفوضى في العربية و أخضعها لقانون بياني ثابت ودل فيما دل على تطورها"⁶⁷.

⁶⁶-علي، أسعد، تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، ط1، دار النعمان، بيروت، 1968 م، ص 27.

⁶⁷- علي، تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، ص111.

وارتأى البحث في هذا الفصل أن تُرتَّب المواد المجموعة اعتماداً على الترتيب الألفبائي، مع عملية استقراء لورود المادة المدروسة في آيات الذكر الحكيم دون تكرار ذكرها، إذا كانت تحمل المعنى نفسه في أكثر من موضع، والاكتفاء بذكر أمثلة معدودة، وتحليل واحد منها أو أكثر؛ وذلك بقصد عدم الاستطراد والإطالة؛ ليبقى البحث في حيِّز الإطناب، بحيث لا ينسحب نحو الإسهاب.

فبداية يُحدد المقطع البسيط وتُنسب إليه حكاية صوته، وهنا رجعنا إلى مجموعة كبيرة من المقاطع البسيطة التي وردت في دراسات القدماء و المحدثين، حيث اعتمدنا عليها في تقديم المادة القرآنية التي ستُعالج صوتياً و دلاليًا، و بعض من المقاطع اجتهدنا في تقديمها و مقارنة معانيها المتولدة عنها مع حكاية صوتها. وهذا المقطع المدروس تنتمي إليه مجموعة ألفاظ لغوية وردت في القرآن، وحكمتها عوامل الزيادة في الحروف، وخضعت لعمليات القلب والإبدال و الاشتقاق، ثم بعد ذلك تُرصد دلالات هذه المفردات في معجم لسان العرب بحيث تنتقى معانيها بما يتفق و حكاية الصوت، ثم تُفسَّر اعتماداً على البعدين الدلالي الصوتي والسياقي القرآني، وسيُرجع في ذلك إلى متون التفاسير القرآنية.

ولم يغب عن هذا الفصل مسألة عدم التكلف في إرجاع المفردات إلى المقطع البسيط الذي يحاكي صوت حدوثه؛ حيث روعي تجنب الاعتباطية في التحليل؛ إذ لا يوجد اعتباطية في الانتقال إلى معانٍ جديدة أساسها المقطع الأحادي، "فاعتباطية العلاقة بين الدالّ و المدلول تزيد من مرونة اللغة و ثرائها اللفظي"⁶⁸، كما روعي أيضاً الابتعاد عن الإقحام و القسرية في رد المادة اللغوية إلى مقطعها الأم. وتتراوح العلاقة التي تربط اللفظ مع معناه بين القسرية والاعتباطية الطبيعية، فبنية اللغة العربية أبعد ما تكون عن الركود و التوقع و الجمود، "فالعرب مما يبنون الأشياء إذا تقاربت على بناء واحد"⁶⁹، والعربية مواكب جيد لتطورات الزمن و تحديات العصر، "ففكرة جعل العلاقة قسرية لا طبيعية بين اللفظ والمعنى حتى لا يبقى النظام اللغوي في حالة من الجمود، والقول بالاعتباطية يعطي اللغة المرونة خلال التغيير الذي يطرأ على البنية اللغوية من جرّاء الأحداث الناجمة عن الاستعمال اللغوي وعن تطور بعض المدلولات، مع العلم أن التغيير لم يحصل إلا لاعتباطية العلاقة"⁷⁰. وقد تعمد البحث - في هذا الجانب التطبيقي - سلوك هذا النهج، و الأخذ بهذه الضرورات؛ بهدف الإقناع والمنطقية؛ كي تتعزز نظرية المحاكاة في الأذهان، بعد رصدها ودراستها في آيات الكتاب المبين.

⁶⁸ - عبد الجليل، منصور، علم الدلالة، منشورات اتحاد كتّاب العرب، دمشق، 2001 م، ص 63.

⁶⁹ - سيبويه، الكتاب، 4 / 12.

⁷⁰ - عبد الجليل، علم الدلالة، ص 36.

سبق أن ذكر -في بعض مقامات هذا البحث- أن المحاكاة لا تسعف في اعتمادها سبيلا منفردا للنهوض بتفسير نشأة اللغة عامة، والعربية بشكل مخصوص، ولكنها تبقى وسيلة مقبولة و مقنعة في تحديد أصل نشوء اللغة في أوائل عهدها، حين كان الإنسان البدائي رهين الطبيعة التي ما انفك يحاول استكشافها، ومحاكاة موجوداتها بمنطقه البسيط. والمهم في مرحلة الإنسان الفطري " أصواته السليقية التي استقرت على صورة و كانت لهجة، ولا تُعتبر الأصوات لهجة مالم تستقر"⁷¹.

ويمكن القول باطمئنان إن المحاكاة مسلك مقبول في عملية توليد المصطلحات و الأسماء، مما يدخل إلى العربية من بيانات غريبة، وثقافات أجنبية، فهي تصلح أن تكون آلية سليمة تسعف كل من ينسى اسماً من الأسماء أن يستحضر ذكره من صوت حدوثه، طالما أن للإنسان دور في عملية توليد لغته وتطويرها. وفي قوله تعالى "إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم" (النجم:23:62)، إشارة من قريب أو بعيد إلى أن الإنسان قد أسهم في وضع لغته، واختيار مفرداتها، بما يتناسب مع محيطه وبيئته، وهذه الآية قد خاطب الله بها صنّاع الأصنام وعبدتها من المشركين.

ومن منافع استخدام هذه النظرية، أنها يمكن أن تُعتمد في توليد أسماء الآلات و الاختراعات والأدوات التي تعرض على المجتمعات العربية من داخل حدودها أو خارجها، بحيث يُعمل على إخضاع كل ما هو جديد في نظرية محاكاة الصوت، فإن لوحظ تناسق بين الصورتين الصوتية والمرئية من جهة، والحدسية الذهنية من جهة أخرى؛ يُنقل بعدها إلى محاولة تفعيد المادة على أساس الوزن والاشتقاق والنحت، وما إلى ذلك من خصائص العربية، والتي تجعلها أكثر اللغات مرونة وقوة وثباتاً أمام تحديات الزمن و تطوراتها، وذلك بما تمتلكه من مقومات التفاعل مع اللغات الأخرى، في ظل التطورات العلمية والحضارية التي - للأسف - تُبقي العرب في ركب متأخر عمّن سواهم في الحضارات الغربية والشرق آسيوية، وقد أشار سمير كجّو إلى أثر القرآن في النتاج العلمي للعرب بقوله: " ومما لا شك فيه أن الحياة العلمية العربية بعامة نشأت وترعرعت في ظل القرآن، ومن هنا فإن إقبال العرب على جمع لغتهم ودراستها؛ كان بدافع ديني صادق، وإيمان عميق بقدسية هذه اللغة الذي نزل بها كتاب الله"⁷².

واللغة والجسد يحكمهما قانونا التجدد والنمو، فالجسم مكون من مجموعة من الخلايا، ما تلبث أن تموت، وتولد مكانها خلايا أخرى متجددة، هذا القانون ينطبق على الأفراد والأمم، وهذه المقاربة المنطقية لحصها جرجي زيدان في كتابه (اللغة العربية كائن حي) عندما قال: "ويتبع الأحياء في

⁷¹-علي، أسعد تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، ص 46.

⁷²-كجّو، سمير، روائع التراث العربي، دار الكتاب، دمشق، 1990 م، ص12.

الخضوع لهذه النواميس ماهو من قبيل ظاهر الحياة أو توابعها، وخاصة مايتعلق منها بأعمال العقل في الإنسان كاللغة، والعادات، والديانات، والشرائع، والعلوم، والآداب، ونحوها. فهذه تُعدّ من ظواهر الأمة، وهي خاضعة لناموس النمو والتجدّد، وناموس الارتقاء العام⁷³.

واللغة العربية دخلتها في العصر الإسلامي علوم لم يكن للعرب بها سابق عهد، سواء أكانت العلوم من إنتاج الفكر العربي الخالص، أم كانت مستوردة من العقول الأجنبية، وقد قام العقل العربي بتغذيتها، ومحاولة قولبتها في قوالب عربية. والتغيير في اللغة حدث بظهور الإسلام؛ فافتضى ذلك ظهور مواد لغوية جديدة، أو بقائها بمعان جديدة، فالعرب في العصر الجاهلي لم يُتَح لهم من وسائل العمران وأسباب الحضارة ما يجعلهم يتبحّرون في العلوم، ومع ذلك فقد دوّنت لنا كتب اللغة كثيراً من المصطلحات العلمية، تفيد أنهم كانوا يمارسون بعض العلوم، وبعض هذا البعض اقتبسوا من الأمم المجاورة، والبعض الآخر كان الطب، والبيطرة، والفلك، والزراعة وغيرها...⁷⁴.

ومع تقدم العلم في الغرب في العصر الحديث، انهالت علوم الطب، والطبيعات، والرياضيات دفعة واحدة، وفي فترة قصيرة وبشكل مفاجئ، من دون أن يكون العرب مستفيدين من تلقّي هذه العلوم، والبحث عن آلية التسمية، وأوزان العربية وقواعدها⁷⁵، فالتغير الذي أصاب اللغة العربية في العصر الحديث، أصاب ألفاظها وتراكيبها، وبعضه دخلها من اللغات الأجنبية، وبعضها الآخر تولّد⁷⁶.

وبناء على ماسبق، لن تشكّل نظرية المحاكاة عبئاً على العربية إن اتخذتها وسيلة من وسائل توليد الألفاظ والمسمّيات، وما مضمون هذا الجانب التطبيقي - الآتي - في القرآن الكريم إلّا دليل على صحة هذه النظرية، فالتعامل مع منظومتها الصوتية، والتفاعل مع معطياتها الدلالية، من شأنه أن يفرز نتائج محمودة ومرضية، في وقت قد لا تخدم فيه بعض آليات التسمية أو التعريب أو التنظير واضعي اللغة، والقائمين على استحداث مفرداتها في انتقاء اللفظ المناسب للمعنى المناسب، وفق بنية العربية، وسماتها الصوتية، بالتوازي مع الهندسة القواعدية التي تقوم عليها.

2.3. الدراسة التطبيقية:

⁷³ - زيدان، جرجي، اللغة العربية كائن حي، دار الهلال، القاهرة، بدون تاريخ طبع، ص 23-24.

⁷⁴ - عبد الباقي، ضاحي، المصطلحات العلمية قبل النهضة الحديثة، ط1، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1979، ص 12.

⁷⁵ - زيدان، اللغة العربية كائن حي، ص 104.

⁷⁶ - زيدان، اللغة العربية كائن حي، ص 105-106.

❖ حرف الألف:

• 1.2.3. المقطع الثنائي البسيط: أف

حكاية صوت المقطع : التَّأْفُف والتَّذْمُر و النفور.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: أفّ.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: أفّ: الوسخ الذي حول الظفر، يقال عند استقذار الشيء، ثم استعمل ذلك عند كل شيء يُضجر منه، ويُتأذى به، الأفّ: الضجر، أفّ: كلمة تضجر.⁷⁷

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

"وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا" (الإسراء:23:111)، جاءت لفظة أفّ لتدل على معنى نفور الإنسان من والديه، ومعناها كما ورد في تفسير ابن كثير (ت. 774 هـ): "أي لا تُسمعهما قولاً سيئاً، حتى ولا التأفیف، الذي هو أدنى مراتب القول السيء"⁷⁸.

وقال الزمخشري في تفسيره (الكشاف): "ثم ضيق الأمر في مراعاتهما لم يرخص في أدنى كلمة تتفقت من المتضجر مع موجبات الضجر و مقتضياته"⁷⁹

أما الطبري في تفسيره فقال: "فلا تؤفف من شيء تراه من أحدهما أو منهما مما يتأذى به الناس"⁸⁰، وتناول صوت هذه المادة اللغوية بقوله عن (أفّ): "شُبّهت بالأصوات التي لا معنى لها، كقولهم في حكاية الصوت: غاق غاق، أف حكاية تُشبه بالاسم مرة، و بالصوت مرة أخرى"⁸¹.

⁷⁷ - ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، 2000م، مادة (أفّ)، كما يمكن الرجوع إلى موقع الباحث العربي على الشبكة العنكبوتية، وهو موقع يضم مجموعة من معاجم اللغة العربية ومنها لسان العرب: www.baheth.info.

⁷⁸ - ابن كثير، اسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي كتاب تفسير القرآن الكريم العظيم المعروف ب: تفسير ابن كثير، دار طيبة، الرياض، 1422 هـ / 2002 م، 65/5.

⁷⁹ - الزمخشري، محمد بن عمر الزمخشري أبو القاسم جاب الله، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط3، الناشر دار المعرفة، بيروت، 1430 هـ / 2009 م، 507/3.

⁸⁰ - الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ طبع، 415/17-416.

⁸¹ - الطبري، تفسير الطبري، 417/17.

وأورد بعضاً من آراء أهل اللغة في ردّهم (الأف) إلى وسخ الأظافر، و(التف) إلى كل مستقذر يُرفع عن الأرض.

و في التفسير الكبير المعروف بالبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت. 745 هـ) تحدث عن مادة أفّ، فهي عنده اسم فعل بمعنى أتضجّر، و فيها دلالة على الزجر و الانتهاز، و إظهار الازدراء، وذلك بالصوت واللفظ. ومثله قال السمين الحلبي (756هـ) في تفسيره: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون⁸².

بانتقالنا إلى تفسير الشنقيطي (ت. 1393هـ) في كتابه (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، نجده يدعو إلى الإحسان بالوالدين حتى بأبسط الكلمات وأخفها⁸³.

لم تبتعد دلالات كلمة (أفّ) في كتب التفاسير عن الضجر، والتذمّر، والتقرّز ممّا يصدر عن الوالدين في مرحلة الشيخوخة؛ لأنهما عاجزان عن قضاء حاجتهما بمفردهما. وبعضهم ربط صورة التقرّز المجازية بصورة التقرّز الحسية المادية؛ لأنّ (الأف) و(التف) هما وسخ الأذن والظفر على الترتيب، و ردّة فعل الإنسان الطبيعية أن يستقذرها، وينفر منهما. و بعض من المفسرين تناولوا البُعد الصوتي للفظ (أفّ)، فالرازي مثلاً (ت. 606 هـ) في تفسيره الكبير المعروف باسم (مفاتيح الغيب) تطرق إلى هذه اللفظة من الجانب الصوتي، فهي صوت النفخة عندما نريد إزالة رمد أو تراب سقط علينا، كما أنها تحمل دلالة التقذّر من الوالدين⁸⁴. أما في تفسير البيضاوي (ت. 685 هـ) فقد دلّت كلمة (أف) على وجوب "عدم التضجر من خدمة الوالدين و قلّة حيلتهما"⁸⁵.

و في سورة الأنبياء " أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ " (112:67)، وردت كلمة أف على لسان سيدنا إبراهيم - عليه السلام - حاملة معاني الاستكار و الاستحقار للأصنام التي عكف قومه على عبادتها من دون الله. وفي تفسيري الطبري، وأبي حيان الأندلسي جاءت هذه اللفظة بمعنى : قبحاً لكم ولكل معبود دون الله!. فسيدنا إبراهيم يستقذر صنيع قومه إذ أشركوا بالله، و

⁸² - أبو حيان الأندلسي، أبو حيان بن محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ طبع، 23/6. وينظر أيضاً: السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ طبع، 341/7.

⁸³ - الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، 1415 هـ / 1995 م، 85/3-86.

⁸⁴ - الرازي، الإمام فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425 هـ / 2004 م، 151/15.

⁸⁵ - البيضاوي، ناصر الدين أبي الخير عبدالله بن عمر بن علي، تفسير البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ طبع، 252/3.

يزدري كفرهم⁸⁶. و كأن حكاية صوت (أف) أو (تف) تعكس رفضه عبادة الأصنام، فهذا المقطع يصدره الإنسان بشكل عفوي وأنا عند استقباحه سيء الأعمال، و قبائح الأمور.

" وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِّ لَكُمْمَا أَتَّعِدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (الأحقاف 35:17)، قال ابن كثير في تفسير كلمة أف في سورة الأحقاف: " أي عقهما"⁸⁷. والشنقيطي كذلك وصفها بأنها " كلمة تضجر"⁸⁸.

• 2.2.3. المقطع الثنائي البسيط: أس

حكاية صوت المقطع : الأسف و الندم والحسرة، كما هو حكاية صوت الحزن والغضب، و شعور الإحباط والخيبة.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: أسف، أسفاً.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الأسف: المبالغة في الحزن و الغضب، تأسف: تلهف، أسف عليه: غضب، الأسف: الغضبان، أسفا: جزعا، التأسي: المداواة والعلاج، وهو الحزن أيضا⁸⁹.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

"وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (الأعراف:206/150)، جاءت كلمة أسف على وزن فعل، وهي صفة مشبهة باسم الفاعل، وقد رسمت عند ابن كثير والطبري بعداً نفسياً لحجم الغضب الشديد الذي تملك سيدنا موسى تجاه قومه⁹⁰.

"وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ" (يوسف 84:111)، أفاد كل من ابن كثير والزمخشري حول دلالة كلمة أسف بأنها "دافع جدد له حزن الابنين الحزن

⁸⁶ - الطبري، تفسير الطبري، 664/18، أبو حيان الأندلسي، التفسير الكبير المسمى البحر المحيط ، 326/6.

⁸⁷ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 283/7.

⁸⁸ - الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 226/7.

⁸⁹ - ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (أسف)، مادة (أسا).

⁹⁰ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 476/3-477، الطبري، تفسير الطبري، 220-221/13.

الدفين"⁹¹؛ أي كان والد يوسف ساكتاً، لا يبيث شكواه إلى مخلوق، بل جعل شكواه إلى الخالق الذي هو عالم بحاله بعد غدر أولاده بيوسف.

"فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا" (الكهف:6:110)، ورد في تفسير ابن كثير: "قال مجاهد: جزعاً"، والمعنى هنا نفساني، فيه خطاب رحماني، يحث النبي -عليه الصلاة والسلام- على عدم التأسف على قومه الذين كذبوا رسالته، وفندوا ما جاء به. وحملت كلمة الأسف معاني الجزع والحسرة وفرط الحزن في تفسير البيضاوي⁹².

ومن عظيم إعجاز القرآن الكريم و بيانه أنه جعل لكل مقام ما يناسبه من الألفاظ، بحيث لا تقوم كلمة مقام أخرى في سياقها، الأمر الذي يجعل القارئ يستشعر الحدث وكأنه جزء منه، و قد تحدثنا أحمد الفيومي حول ذلك في كتابه (ظواهر علم الأصوات في القرآن الكريم) قائلاً: "إن القرآن الكريم قد جاء أسلوبه على نمط ونحو يجعلك ترى الشيء رأي العين، وتستشعره و تحسه إحساساً قوياً عميقاً و تلمسه لمساً"⁹³.

إن ظاهرة الفروق اللغوية في القرآن الكريم تضيف فضاءات واسعة على الحقل الدلالي للكلمة، بحيث تؤدي المادة القرآنية المعنى السياقي بصورة فنية دقيقة، لا تؤديه كلمة أخرى في حال قامت مقامها، فالقرآن الكريم كما وصفهمحمد حسين الصغير " قد اختار اللفظ المناسب للصوت المناسب في الموقع المناسب، فجاء كل لفظ بمكانه الصوتي في العبارة القرآنية، أو الجملة، أو الآية"⁹⁴.

وعطفاً على ما سبق، نجد كلمة (أسف) ومشتقاتها قد ناسبت السياق الواردة فيه، محققة الدلالات التي استُخدمت لأجلها، فمثلاً لو وردت كلمات (الحزن، الأسى، الحسرة... إلخ) لما أدت المعنى الذي أدته كلمة (أسف). فالأسف حدّه أبو هلال العسكري (ت.395هـ) في كتابه (الفروق اللغوية) بقوله: " حسرة معها غضب أو غيظ، والأسف: الغضب المتلف على شيء، ثم كثر ذلك حتى جاء في معنا الغضب "⁹⁵، فسيدنا موسى - عليه السلام - وُصِفَ حاله بالأسف، حيث أراد الله تعالى تصوير حاله التي تماهت فيها مشاعر الحزن والغضب والحسرة والغيظ؛ لأن قومه اتخذوا

⁹¹ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/405، الزمخشري، الكشاف، 3/316-317.

⁹² - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 5/137، البيضاوي، تفسير البيضاوي، 3/274.

⁹³ - الفيومي، أحمد عبد التواب، علم الأصوات اللغوية (ظواهر علم الأصوات في القرآن الكريم)، المكتبة الأزهرية للتراث، الإسكندرية، 2009 م، ص264.

⁹⁴ - الصغير، محمد حسين علي، الصوت اللغوي في القرآن، ط1، دار المؤرخ العربي، بيروت، 2000م، ص 203.

⁹⁵ - العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد، الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة، القاهرة، بدون تاريخ نشر أو طبع، ص70.

العجل إليها يعبدوه من دون الله في غيابه، فلخصت هذه الكلمة بالصوت المهموس في مقطعها البسيط (أس)، والمتردد في نفس موسى لخصت جملة من المشاعر المتداخلة التي ما كانت لتتحقق لو استخدمت كلمة أخرى.

• 3.2.3. المقطع الثنائي البسيط: أَر

حكاية صوت المقطع: هو حكاية صوت الأزيز والإزعاج.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: الفعل أَر ومصدره أَرًا.

سنأتي على ذكر هذا المقطع مع مواده اللغوية في موضع حرف الهاء تحديداً مع المقطعين (هَمْ، هَس)؛ لضرورات تمليها مسائل الدلالات الصوتية، والفروق اللغوية بين المقاطع الصوتية.

• 4.2.3. المقطع الثنائي البسيط: آه

حكاية صوت المقطع : التَّأَوُّه، والأسف، والندم، والتوجع، والتحسر، وكثرة الشكاية، وتمتمة الدعاء بتضرع وخشوع.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: أَوَاه.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: التَّأَوُّه: التوجع، ويقال: تَأَوَّهت آهة، الهوأة والهوهاء: رجل ضعيف الفؤاد، جبان من ذلك، و يقال أَوَّه الرجل: إذا أخرج نفسه بقوله آه ليتفرج عنه بعض ما به، والمتأوه: المتضرع، والأَوَاه المسبح والدعاء⁹⁶.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي :

"وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (التوبة:114:129)، ورد في تفسير ابن كثير " عن عبدالله بن مسعود أنه قال: الأَوَّاه: الدعاء، المتضرع الرحيم بعباد الله". والطبري في تفسيره نسب كلمة (أَوَاه) إلى حالٍ كان عليها سيدنا إبراهيم-عليه السلام- إذ إنه "كان يكثر ذكر الله بالدعاء، ويرفع صوته، ولذلك قيل للمتوجع من ألم أو مرض: لا تتأوه". أمّا الزمخشري في كشافه فقد استدلل بالصيغة الاشتقاقية لمبالغة اسم الفاعل (أَوَاه) على الرحمة والرقّة اللتين قابل بهما سيدنا إبراهيم أباه الكافر، فهو "لفرط

⁹⁶ - ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (أوه).

رحمته ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له". ولم يبتعد السمين الحلبي في تفسيره عما جاء في تفاسير هذه اللفظة، إذ قال فيها: "أواه وهو الذي يكثر التأوه"، بينما نجد ابن عاشور (ت. 1393هـ) في تفسيره: تحرير المعنى السديد وتبوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد والمعروف بالتحريير والتبوير نجده استخدم الكناية في شرحه كلمة أواه فقال: "اسم فعل مضارع بمعنى أتوجع، والوصف بأواه كناية عن الرأفة والتضرع حين يوصف به من ليس به وجع"⁹⁷.

وفي قوله تعالى: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ" (هود: 75: 123)، ورد شرح لفظة أواه في تفسير الآية السابقة. فكلمة أواه في الآيتين تعني: الرجل المواظب على ذكر الله، القارئ لكتابه، الذي رفع صوته خاشعاً متضرعاً في الدعاء، يتألم على أبيه الذي كُتِبَ من الضالين، وكأن صوت مدّ أنينه وتضرعه في المقطع (أه) يعكس إشفاقه وحسرتة عليه، فأهاته ما هي إلا آهات داخلية، ترددت مراراً وتكراراً على لسانه، ومصدرها قلبه الذي كان يناجي به ربه.

❖ حرف الباء:

• 5.2.3. المقطع الثنائي البسيط: بث

حكاية صوت المقطع : القطع والفصل

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: البتر، الأبتَر.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: البتر: استئصال الشيء قطعاً، الأبتَر: المقطوع الذنب من أي موضع كان من جميع الدواب، ولكل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتَر.⁹⁸

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

"إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ" (الكوثر: 3: 3)، جاء في تفسير ابن كثير: "الأبتَر: الذي إذا مات انقطع ذكره"⁹⁹، فتوهم الكفار أنه إذا مات بنو محمد -عليه الصلاة والسلام- ينقطع ذكره، وهيهات لحبيب الله أن ينقطع ذكره، والدلالة هنا مجازية.

⁹⁷ -ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 226/4، الطبري، تفسير الطبري، 534/14، والزمخشري، الكشاف، 99/3، السمين الحلبي، الدر المصون، 132/6، ابن عاشور، محمد الطاهر، تحرير المعنى السديد وتبوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحريروالتبوير)، دار سحنون، تونس العاصمة، بدون تاريخ نشر، 46/12.

⁹⁸ -ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (بتر).

⁹⁹ -ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 505/8.

• 6.2.3. المقطع الثنائي البسيط: بَجْ

حكاية صوت المقطع : الانفجار والانشقاق، وخروج الماء من عميق مكان بقوة واندفاع.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: انبجست (البجس).

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب:.. البجس: انشقاق في قرية، أو حجر، أو أرض ينبع منها الماء، فإن لم ينبع فليس بانبجاس. بجست الماء فانبجس أي: فجرته فانفجر، انبجس الماء أي: تفجر.¹⁰⁰

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي :

"وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (الأعراف: 160:206)، دلّ الفعل انبجس في تفسير ابن كثير على تفجر الماء من الأرض المسبوق بانشقاقٍ فيها¹⁰¹. والباء حرف انفجاري، وخصائصه الصوتية النطقية تظهر واضحة في الألفاظ المستخدمة لمعاني الانفجار والانبثاق من بعد انحباس وضغط.

أما الطبري فقال في تفسيره: " انصبّت وانفجرت من الحجر اثنتا عشرة عيناً من الماء". فالانفجار هو الوصف الغالب على دلالة الفعل (انبجست)، وهذا الوصف نجده أيضاً في تفسير الزمخشري هذه الآية بقوله: " انبجست: انفجرت، والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة.... لعدم الإلباس، وليجعل الانبجاس سبباً عن الإحياء بضرب الحجر". واعتماداً على دلالة الفاء السببية شرح ابن عاشور هذه الكلمة بقوله: " فانبجست: فعل مطاوع بجسّ إذا شقّ، والتعقيب الذي دلّت عليه الفاء تعقيب مجازي تشبيهاً لقصر المهلة بالتعقيب". أما في تفسير أبي السعود (ت. 982هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم والمعروف بتفسير أبي السعود ورد قوله في أثر فعل الضرب على الانبجاس: "في الفعل انجست إشعار بعدم تأثير الضرب حقيقة، وتنبية على كمال سرعة الانبجاس، وهو الانفجار، والتأويل: فضرِب فانبجست"¹⁰².

¹⁰⁰ - ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (بجس).

¹⁰¹ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 493/3.

¹⁰² - الطبري، تفسير الطبري، 117/13، وأيضاً: الزمخشري، الكشاف، 521/2-522. ابن عاشور، التحرير والتنوير، 144/10، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (المعروف بتفسير أبي السعود)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ نشر أو طبع، 283/3.

إنّ مسألة تعاور المفردات في القرآن الكريم ترخي بظلالها على إحياءات المادة القرآنية في سياقها، وتلعب دوراً مهماً في رسم الصورة الدلالية بأبعادها المتنوعة، فأحياناً نقارب بين آيتين تتقاطعان في المعنى العام والرئيس، ولكن نشهد فيهما ورود كلمتين يعتقد القارئ أنهما تؤيدان المعنى عينه، بحيث لا يلتفت إلى اختلاف الدلالة الناتجة، ولا يهتم لما قد يترتب على ذلك من فروقات حسية وذهنية جديرة بأن يُتوقّف عندها. وقد تناولنا فضل السامرائي في مؤلفه (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني) القيمة الفنية للكلمة، وبلاغتها في سياقها الواردة فيه، مقارنة مع سياقات أخرى مشابهة يُلاحظ فيها تعاور للكلمات؛ يروم الله به معنى دون آخر.

ونسوق مثلاً رائعاً فيه من الإعجاز البياني ما يجب أن يستوقف أي قارئ، فقد وردت في الذكر الحكيم لفظتا: (مَكَّة، مَكَّة)، للوهلة الأولى يظنّ القارئ أنهما تحمّلان دلالة البيت الحرام، ولا يبتعد في تأويله أبعد من هذا التصور، وقد يصفها بأنهما يجسدان نوعاً من أنواع المحسنات البديعية المعروف بالجناس، على أساس من اختلاف لهجات اللغة العربية الفصحى، مستبعداً أهمية السياق الذي وردتا فيه. ولكن مسألة إبدال حرف مكان آخر في القرآن مابين لفظتين هي مسألة بلاغية، فيها إعجاز عظيم، وسحر بيان، ففي سورة آل عمران جاءت كلمة (مَكَّة) في قوله تعالى: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِمَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ" (آل عمران: 96: 200)، وفي سورة الفتح جاءت كلمة (مَكَّة) في قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي كَضَفَ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيَّدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا" (24: 29)، أورد الرحمن الاسم (مَكَّة) من مصدر (البَكَ)، وهو في أصل معناه يدلّ على الزحام والتدافع الحاصلين موسم الحج، إذ يدفع الناس بعضهم بعضاً، ويتزاحمون أفواجاً وجماعاتٍ، ومنه سُمّي البيت الحرام في موسم الحج بِمَكَّة. والسياق هنا يختلف عن سياق كلمة (مَكَّة) في سورة الفتح، فسَمّى الله تعالى البيت الحرام باسمه المشهور (مَكَّة) مستبدلاً بالباء ميماً، فأبدع جَلَّ اسمه في وضع كل لفظ في السياق الذي يقتضيه الحال، ويفرضه المقام¹⁰³.

بالرجوع إلى كلمة (انبجست) نجد أنّ استخدام هذه المفردة له أسباب اقتضته، كصوت الماء الخارج من باطن الأرض بفعل الضرب، وغزارته، ومقدار تدفقه، فالله تعالى استخدم الفعل (انفجرت) في قوله: "وَ إِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا..." (البقرة: 60: 286)، وفي السياق السابق استخدم (انبجست)، والسبب لخصّها السامرائي

¹⁰³ - السامرائي، فاضل صالح، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط2، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة،

عندما قال: "الانفجار بالماء أغزر من الانبجاس، فخالف بين المفردتين مع أن القصة واحدة، والموضوع واحد"¹⁰⁴.

• 7.2.3. المقطع الثنائي البسيط: بَعْ

حكاية صوت المقطع : البلع، و مرور ماء أو طعام في البلعوم.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: بلع، البلع.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: بلع الشيء: جرعه، البلوع: الشراب، بلع الطعام وابتلعه: لم يمضغه، المبلع و البلعوم والبلعُوم: مجرى الطعام و موضع الابتلاع من الحلق.¹⁰⁵

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

" وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (هود:44:123)، أفاد ابن كثير في تفسيره أنها آية تنقل: "أمر الله تعالى الأرض أن تبتلع ماءها الذي نبع منها، واجتمع عليها"¹⁰⁶، والزمخشري ردّ مفاد الآية إلى أنّ كل شيء منقاد لتكوين الله فيه، وغير ممتنع عليه، أما الطبري ففسر الفعل (ابلعي) بنقصان الماء ثم غيضه، ومن بعد ذلك إدباره، وبلع فلان الماء إذا ازدرده¹⁰⁷.

وهذه صورة بلاغية فيها تشخيص حسّي لصورة الأرض على هيئة إنسان، هذا الإنسان يسترجع ماءً سبق أن مجّه، وصوت استرجاعه هو تكرار المقطع (بع)، وحرف العين حرف حلقي، يوحى بمرور الماء من مصدر خروجه (البلعوم). فكلمة (ابلعي) أنسب من كلمة (اشربي)؛ لما توحى من سرعة الفعل، بينما الشرب عملية تحتاج إلى البطء والتأني والله أعلم.

• 8.2.3. المقطع الثنائي البسيط: بَقْ

حكاية صوت المقطع : الفقع و الفقس، كما يوحى صوته بالانفجار و الاضطراب.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: الموبق (وبق، يَبِق، الوَبَق).

¹⁰⁴—السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص109.

¹⁰⁵—ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (بلع).

¹⁰⁶—ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 234/4.

¹⁰⁷—الزمخشري، الكشاف، 203/3، الطبري، تفسير الطبري، 335/15-339.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: وبق الرجل يَبِق وَيَقاً واستوبق: هلك، موبقاً: مهلكاً، و الموبقات هي الذنوب.¹⁰⁸

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي :

"وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا" (الكهف:52:110)، ورد في تفسير ابن كثير أن موبقاً قصد بها المهلك، " قال قتادة: هو وادٍ في جهنم"، والرؤية نفسها وردت كذلك في تفسير كل من الطبري والشنقيطي¹⁰⁹.

وللسامع أن يتخيل الدلالة الحسية لحكاية صوت المقطع بق، التي تعتمد على ارتسام صورة فقاعات نار جهنم وهي تغلي مصدرة هذا الصوت، وهي صورة كفيلة بأن توضح للكافر الهلاك الذي ينتظره.

• 9.2.3. المقطع الثنائي البسيط: به

حكاية صوت المقطع : هو صوت التحير و الحيرة، كما هو حكاية صوت الدهشة من كل أمر يشوبه البطلان، و يرفضه العقل.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: البهتان (بهت، يبهت).

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: البهتان: الافتراء، وهو الباطل الذي يُتَحَيَّر من بطلانه، البُهْت و البهيتة: الكذب.¹¹⁰

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

"وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ" (النور:16:64)، حسب رأي ابن كثير: كلام البُهت معصوم عنه عباد الله المخلصين، ويجب ألا يذكر به أحد، والتأويل نفسه نجده عند الطبري¹¹¹. فالإنسان الصالح عندما يُنسب إليه قول سوء؛ تظهر عليه علامات الحيرة و الرفض و الاستنكار، فدلالة المقطع (به) حملت تخيلاً ذهنياً لردة فعل المؤمنين؛ إذ بدت على وجوههم الدهشة وقد قيل إنهم أصحاب هذا الافتراء.

¹⁰⁸ - ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (وبق).

¹⁰⁹ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 5/170، ويرجع كذلك إلى: الطبري، تفسير الطبري، 18/46، والشنقيطي، أضواء البيان، 3/296.

¹¹⁰ - ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (بهت).

¹¹¹ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6/27-28، وأيضاً: الطبري، تفسير الطبري، 13/133.

❖ حرف التاء:

• 10.2.3. المقطع الثنائي البسيط: تب

حكاية صوت المقطع : هو حكاية صوت التأسف والتحسر على كل ما هو مؤلم و مخزٍ، كما أنه حكاية صوت الإنسان وهو يندب خسارته وفشله.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: تبّ (التبّ)، تبرّ (التبرّ).

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: التبّ: الخسار، التّباب: الخسران والهلاك، وتبّا له: تقال للدعاء على شخص. التّبار: الهلاك، تبرّه: أي كسره وأهلكه، التّتبير: التدمير¹¹².

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

"إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا" (الإسراء:7:111)، وأيضاً وردت مشتقات هذا المقطع في موضع آخر من سورة غافر "أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ" (غافر:37:85)، فالمصدران (تتبير، تباب) كلاهما دلّ على معاني التدمير والخراب و الخسران¹¹³، وتتقاطع دلالة المصدرين في الآيتين حول مصير الهلاك الذي سيلحق بكل جبار عنيد، أراد مواجهة إرادة الله وتحديها في الدنيا، فإلهه يأسف على عباد له بلّغهم رسالاته ولكنهم كذبوها؛ فحقّ عليهم العقاب.

"تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ" (المسد:1:5)، تناول ابن كثير هذه الآية بقوله: " خسرت يده و خابت، و ضل عمله وسعيه، وقد تأكد هلاكه"، وقال الزمخشري في كشافه: " التباب هو الهلاك، والمعنى: هلك يده"¹¹⁴. فأبو لهب لا يؤسف عليه، وكيف يؤسف عليه وقد جاء الدعاء عليه من الأعلى؟.

• 11.2.3. المقطع الثنائي البسيط: تف

حكاية صوت المقطع : هو حكاية مجموع من الأصوات، كأصوات الطفي و النفخ، أو أصوات الاستنقار و الاشمنزاز، و النفور من كل قبيح وسيء، و القرف منه.

¹¹² - ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (تبّ)، مادة (تبرّ).

¹¹³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 46/5، الطبري، تفسير الطبري، 388/21.

¹¹⁴ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 514/8، وأيضاً: الزمخشري، الكشاف، 455/6.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: بتقارب مخرجي الحرفين التاء والطاء يقال (طف)، بعض المواد المأخوذة من هذا المقطع: يطفئ (طفأ، طفاً)، التفت (تفت)، التفت (تفت).

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: طفتت النار تطفئ طفاً وطفوءاً وانطفأت: ذهب لهبها. التفت: نتف الشعر وقص الأظافر. وقيل هو: إذهاب الشعث و الدرن، و الوسخ مطلقاً، والرجل تفت: وسخ، و التفت في المناسك: ما كان من نحو قص الأظفار و الشارب، وحلق الرأس و العانة¹¹⁵.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

" يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" (التوبة: 32: 129)، كما ورد الفعل (ليطفئوا) في سورة الصف، الآية الثامنة، وكلا الفعلين يحمل المعنى نفسه كما جاء في بعض من كتب التفسير، فالكفار أرادوا إطفاء ما جاء به رسول الله من الهدى، بواسطة جدالهم مع بلاغاته، ودحضهم كلماته التي أمره الله أن يبلغهم إياها؛ فنور الله عظيم لا يخبو في الأفق، يتجلى في وحدانيته وتنزهه عن وجود شريك له، لا تؤثر عليه محاولات المشركين الباطلة في إخماده بنفخاتهم التي تعتمد على الإرجاف والكذب، أو طمسه بأقوالهم الباطلة¹¹⁶.

وإذا تتبع السامع إحياءات المقطع (طف)، رابطاً إياه بعملية النفخ المقترنة بفعله؛ سيجد أن حال هؤلاء الكفار كحال من يحاول أن يطفئ نور الشمس بالنفخ عليه، وهم لم ولن يعلموا أن ذلك مستحيل عليهم، فهذا الفعل أوحى بضعف فاعله - الكفار - و ما أشبه حالهم بمن ينفخ في رماد.

هنا تستوقفنا مسألة استخدام الفعل (يطفئوا) بدلاً من (يخمدوا، يطمسوا) على سبيل التمثيل، و الولوج في بلاغة هذه اللفظة أمر فيه من البيان والإعجاز ما يبهر ويدهش. فالمدلول الأول للمترادفات السابقة هو إسكات النار، ولكن الفروق اللغوية بينها نقطة جديرة بأن يُعرج عليها، و يُوقف عندها ملياً، وقد أشار أبو هلال العسكري إلى هذه المسألة عندما فرّق بين الإخماد والإطفاء، فالإخماد يُستعمل في النار الكبيرة العظيمة، بينما الإطفاء يكون في النار الكثيرة والقليلة. وأردف بأن الإطفاء تصاحبه مشاعر الغضب؛ لأنه يتحقق بالتروى والمداراة، على عكس من الإخماد الذي يكون بالغلبة

¹¹⁵ - ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (تفت)، مادة (طفئ).

¹¹⁶ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 136، ويرجع كذلك إلى: الطبري، تفسير الطبري، 14/ 214، و أيضاً: الزمخشري، الكشاف، 3/ 36. ابن عاشور، التحرير والتنوير، 11/ 171-172، أبو السعود، تفسير أبي السعود، 4/ 62.

والشدة¹¹⁷. وكثيراً ما تتردد عبارات من مثل: خمدت نيران الفتنة، ولا نسمع من يقول: انطفأت نيران الفتنة.

ومن مشتقات المقطع (تف)، وردت كلمة (تفتهم) في سورة الحج (78:29) "ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَنَّهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ"، هذه الآية يبين الله تعالى فيها لعباده من حجاج بيته الحرام مناسك الإحرام، وما يستوجب من حلق الرأس، و قص الأظافر، وإزالة الأدران في حرمة بيته الحرام، والتفت هو الوسخ¹¹⁸. والتف حكاية صوت، ترافق حالة شعورية للإنسان تعترضه عند التقزز من مقرفات الأمور المادية والمعنوية. ولكن استخدام كلمة (تفت) بدلاً من (وسخ) أمر فيها عناية إلهية، ورعاية خطابية لضيوف الرحمن، لأن التفت في سياقها القرآني مصطلح شرعي اشتمل على ضرورة عناية الحاج بنظافته الشخصية، إلى جانب قيامه بالمناسك الأخرى كالتقصير، والرمي، والذبح.

❖ حرف الجيم

• 12.2.3. المقطع الثنائي البسيط: جب

حكاية صوت المقطع : هو حكاية صوت الحفر والنقب، و الخرق في الصخر، و الضرب في الأرض.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: جاب، الجبّ.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الجبّ: القطع، بعير أجبّ: أي مقطوع السنام، الجبّ: قطع في السنام، الجبوب: وجه الأرض. و الجُبّ: البئر، و قيل هب البئر لم تُطو¹¹⁹.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

" وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ " (الفجر:9:30)، جيء على تفسير الفعل (جابوا) في تفسير ابن كثير: " يقطعون الصخر بالوادي، وقال ابن عباس: ينحتونها ويخرقونها"، وقال الزمخشري في تفسير هذه اللفظة: " قطعوا صخر الجبال، وجعلوا منها بيوتاً"، وفسر الطبري هذا الفعل بقوله: " خرقوها ونحتوها بيوتاً.... وضربوا البيوت والمساكن في الصخر والجبال"، أمّا الشنقيطي فقد شرح في تفسيره هذا الفعل عندما قال هو: "قطع الصخر الكبير"، وأبو حيان الأندلسي لم يأت بجديد عمّا

¹¹⁷ -العسكري، الفروق اللغوية، ص300.

¹¹⁸ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 401/5-402، وأيضاً: الزمخشري، الكشاف، 4/190.

¹¹⁹ - ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (جَاب)، مادة (جَبَب).

ورد في تفاسير أقرانه، فقال: " جاب: خرق وقطع"، ومثلهم قال السمين الحلبي: " جاب الشيء يجوبه: قطعه وخرقه خرقاً، وجبت البلاد قطعها سيراً"¹²⁰.

وفعل الخرق يلزمه ضرب شديد متواصل؛ يُحدث شقاً في الأرض، ويترافق معه تكرار صوت الضرب (جب)، ولذلك تستعمل لفظة الجيب دلالة على الفتحة في الثوب، فيقال: اجتاب الثوب أي فتحه.

وقد وردت مادة (الجب) -إحدى المشتقات المأخوذة عن المقطع (جب)- في سورة يوسف، قال تعالى: "قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ" (111:15)، علّق ابن كثير على هذه الآية فقال: "وإذا تشبّث يوسف بحافات البئر ضربوا على يديه، ثم قطعوا به الحبل من نصف المسافة؛ فسقط في الماء فغمره"، و في تفسير الألوسي (ت.1854م) المعروف بروح المعاني وُصِفَ الجبّ بأنه "بئر على ثلاثة فراسخ.....واسع الأسفل، ضيق الرأس"، أما الثعالبي (ت.875هـ) في تفسيره المعروف باسم (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) فقد قال في لفظة الجبّ: "البئر التي لم تُطوّ؛ لأنها جُبّت من الأرض جباً"¹²¹.

فكلمة الجب أريد بها البئر التي يشق الإنسان الأرض ضرباً؛ لأجل استظهارها، فتكون عبارة عن حفرة عميقة في الأرض، وهذا توافق مع هدف أخوة يوسف، حيث أرادوا إخفاءه؛ فرموه في الجبّ، والرمي يكون عادة من أعلى إلى أسفل.

في لسان العرب لابن منظور ورد تفريق بين كلمتي (الجب) و(البئر)، فالجب حفرة مائلة وعميقة، والبئر جوف مضروب في الأرض وعمقه متوسط، وهو شاقولي¹²². فالله تعالى اختار لفظة (الجب)، ولم يقل البئر؛ لأن يوسف كان طفلاً، وضغائن أخوته نحوه دفعتهم إلى رميه في حفرة عميقة؛ بغية الخلاص منه نهائياً، فرموه في حفرة عميقة؛ طائنين أنه لصغر سنه، وقلة حيلته لن

¹²⁰ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 397/8، الزمخشري، الكشاف، 369/6، الطبري، تفسير الطبري، 408/24، الشنقيطي، أضواء البيان، 525/8، أبو حيان الأندلسي، التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، 466/8، السمين الحلبي، الدر المصون، 785/10.

¹²¹ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 374/4، الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، تفسير الألوسي المعروف بروح المعاني، بدون رقم طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ طبع، 196/12-197. وأيضاً: الثعالبي، الإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، أبي زيد الثعالبي المالكي، تفسير الثعالبي المعروف بـ: (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، حقق أصوله على أربع نسخ خطية وعلّق عليه وأخرج أحاديثه: الشيخ علي محمد معوض - والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وشارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنّة، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997م، 312/3.

¹²² - ابن منظور، لسان العرب، مادة (جبب)، مادة (بأر).

يخرج منها، فالعمق الشاقولي للبئر تمكن الآخرين من رؤية من بأسفلها، بينما تمتع الرؤية حين تكون في الجب؛ لميلانه والله أعلم.

• 13.2.3. المقطع الثنائي البسيط: جَذْ

حكاية صوت المقطع : صوت القطع والكسر و الاستئصال.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: جذاذ، مجذوذ (جَذْ، يجذْ، جذًا).

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الجَذَّ: كسر الشيء الصلب، جذذت الشيء: كسرتة وقطعته، والجُذاذ والجذاذ: ما كُسر منه. وقيل: الجَذُّ هو القطع المستأصل، جعلهم جذاذًا: حطامًا¹²³.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

وردت الكلمتان (جذاذًا) في سورة الأنبياء "فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ" (112:58)، وقد قصد بها كما ورد في بعض من كتب التفاسير: الحطام الذي يشبه الصريم، وهو المقطوع بالفأس، والمتحول على قطعاً صغاراً¹²⁴.

فسيدنا إبراهيم حطم أصناما بعد كسرها، وزاد على ذلك بأن ضرب أجزاءها، وتكرار ضربه لحجارة الأصنام وتحطيمها يجعل السامع يتوهم صوت الكسر المرافق لعملية الجَذْ.

أما كلمة مجذوذ فقد وردت في قوله تعالى: " وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوزٍ " (هود:108:123)، جاء تدلالة اسم المفعول مجذوذ مجازية بمعنى عطاء غير مقطوع، فنعيم الجنة لا ينقطع عن أهلها إذا ما استقروا فيها¹²⁵، ومعناها عقلي مجرد، فدلالات الكلمة في اللغة العربية تحمل معاني مختلفة، وقد ذكر ذلك في متن البحث، فهناك المعاني الحسية و الذهنية و السياقية... إلخ. فخير الله - كما هو واضح في الآية السابقة - مكتوب له الدوام بلا انقطاع أو توقف، وهذا دليل على عظيم أجر الله لعباده الذين أطاعوه في الدنيا.

¹²³- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (جَذَذَ).

¹²⁴- يُنظر كتب التفاسير الآتية: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 349/5، الطبري، تفسيره، 458/18، الزمخشري، الكشاف، 152/4، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 323/6، الثعالبي، تفسيره، 90/4.

¹²⁵- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 353/4، الطبري، تفسيره، 489/15، ابن عاشور، التحرير والتنوير،

الفروقات الصوتية والدلالية لأفعال القطع، والجذّ، والضرب تجعلنا نقف عندها؛ بغية استقراء عظمة بيان نظم القرآن، فالجذّ والجذم عند أبي هلال العسكري يدلان على القطع من الأصل، بينما القطع لا يستلزم ذلك، كما أن القطع يستغرق وقتاً أكثر من الجذّ¹²⁶، وهذا ما أراده سيدنا إبراهيم - عليه السلام - حينما حطّم أصنام قومه بوحى من الله تعالى، وأراد جذّها، على حين غرة من قومه، وعدم إبقاء أدنى أثر لها. فلو جاء فعل القطع بدلاً من الجذّ لاختلف البيان الإلهي المقصود، الأمر الذي يعاكس نيّة سيدنا إبراهيم في محو آلهة قومه من الأصنام، وعلى عجلة؛ كي لا يشهد قومه صنيعه هذا.

• 14.2.3. المقطع الثنائي البسيط: جَزْ

حكاية صوت المقطع : هو حكاية صوت النهي و التنفير، كما هو أيضا حكاية صوت المنع و الزجر.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: مزدجر، ازدجر. و الأصل ثلاثي (زجر).

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الزجر: المنع و النهي والانتهاز، زجرت البعير حتى ثار ومضى، زجرت فلاناً عن سوء فأنزجر، وهو كالردع للإنسان، وأمّا للبعير فهو كالحثّ بلفظ يكون زجراً له¹²⁷.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

وردت المفردتان (مزدجر، ازدجر) في موضعين من القرآن الكريم أولهما "وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ" (القمر:4:55)، وثانيهما "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرْ" (القمر:9:55). قال ابن كثير في تفسيره للآية الأولى: "مزدجر: ما فيه واعظ لهم عن الشرك و التماذي على التكذيب"، وفي تفسير الثانية قال: "ازدجر: أي استطير جنونا". هذا التفسير نجده يتقاطع مع تفاسير الطبري وأبي حيان الأندلسي والزمخشري¹²⁸.

¹²⁶-العسكري، الفروق اللغوية، ص60، ويرجع أيضاً إلى: السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص8.

¹²⁷- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (زَجَر).

¹²⁸- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 7/475-476، و الطبري، تفسيره، 28/577، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 8/177، الزمخشري، الكشاف، 5/556.

ازدجر هنا جاءت بمعنى انتهروه و زجروه و هددوه بالوعيد، وحرف الجيم - كدلالة صوتية - يوحي بالشدّة و الغلظة سواء كانت مادية أم معنوية.

❖ حرف الحاء

• 15.2.3. المقطع الثنائي البسيط: حَتْ

حكاية صوت المقطع : هو صوت عملية الحت، و الحفر الخفيف، و تعرية الحجر أو الصخر؛ بقصد القطع أو التجريد أو التقشير.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: تتحتون، المصدر منه هوالنحت و النحاتة، و فعله نَحَتَ.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: النحت: النشر و القشر، و نحت الجبل ينحته: قطعه، والنّحاتة: البُراية، و النحيطة: الطبيعة التي نُحت عليها الإنسان: أي قُطِع¹²⁹.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

ورد الفعل تتحتون في مواضع كثيرة منها: " قَالَ أُنْعَبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ "(الصافات:95:182)، في هذه الآية يخاطب الله قوم النبي إبراهيم -عليه السلام- الذين يصنعون الأصنام بأيديهم؛ لأجل عبادتها، وذلك بواسطة نحت حجارتها، أو خشبها، أو نحاسها¹³⁰. و النحت هي عملية حفر دقيق، يلزمه عناية ودقة في الضرب؛ لأن الهدف منه هو التجسيد و التشخيص في المنحوت. فمع كل حركة نحت يصدر صوت هذا الفعل ممثلاً بالمقطع (حت). و الفعل تتحتون ومثله ينحتون، وردا على التوالي في سورة الأعراف (206:74)، وسورة الحجر (99:82)، و كلاهما يحمل المعنى المشروح أعلاه .

• 16.2.3. المقطع الثنائي البسيط: حَسْ

حكاية صوت المقطع : صوت زفير الإنسان عند التحسر و التأسف، كما هو حكاية الصوت الخفي المهموس، وهو أيضا حكاية صوت التلهف.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: حسرات، محسور، يستحسرون، حسيسا، حسيرا، وجميعها تعود إلى الفعل الثلاثي حَسَرَ ومصدره الحسرة.

¹²⁹- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (نحت).

¹³⁰يُنظر كتب التفسير: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 26/7، الطبري، تفسيره، 70/21، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 367/7، الزمخشري، الكشاف، 220/5.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الحسرة: أشد الندم حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب الذي لا منفعة منه، و الحسران: من اشتدت ندامته على أمر فاته، و التحسر: التلهف، مُحسرون: محقرون أي: محملون على الحسرة متعبون. حسر الدابة: إذا أتعبها، و الحسيس الصوت الخفي الذي لا تسمعه مما يمر قريباً منك ولا تراه¹³¹.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

وردت كلمة حسرات في قوله تعالى " وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ " (البقرة:167:286)، وقال بعض من المفسرين في شرحها: عذاب النفس على زوال حسنات كان يحسبها الكفار لهم لا عليهم؛ فتغشاهم الندامة على تقريطهم بطاعات لم يقوموا بها في دنياهم¹³²، فأصحابها كانوا يظنونها صالحة، ستحسب لهم لا عليهم يوم الحساب، لكن الله سيردّها عليهم بلا أجر أو ثواب؛ وعندها سيُسمع منهم صوت تحسرهم المهموس؛ إذ دُهِشوا بانقلاب أعمالهم عليهم، وصوت حرف السين المهموس جاء ملائماً في رسم همس ندمهم الموجود في كلمة حسرات.

وجاءت لفظة حسيس في قوله تعالى: "لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ" (الأنبياء:102:112)، دالة على صوت نار جهنم وهي تبدأ في حرقها أجساد الكفار، مصدره صوت هذا الحدث عندما تلامس جلودهم، وقال ابن كثير في شرح كلمة حسيسها " أي حريقها في الأجساد"، بينما اجتمع كل من الطبري وأبي حيان الأندلسي والزمخشري على أنها من الصوت والحس الصادر عن نار جهنم، مما لا يسمعه أهل الجنة¹³³.

إن أسلوب الخطاب القرآني جاء متنوعاً في دلالاته، وموافقاً لضرورات الحال، وملائماً لتغيرات الزمان والمكان؛ لذلك نشهد تأثير الكلمة على السامع، بحيث تؤدي غرضها في موضعها من جهة، وفي نفس القارئ من جهة أخرى. وقد شرح محمد بن عبد الرحمن الشايع هذه الظاهرة في كتابه (الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم)، فقال: "سعة التعبير في الكلام تمكن المتكلم من

¹³¹- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (حسر)، ومادة (حسس).

¹³²- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 477/1، الطبري، تفسيره، 296/3، وأيضاً: الزمخشري، الكشاف، 355/1، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 475/1.

¹³³- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 378/5، و الطبري تفسيره، 542/18، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 343/6، الزمخشري، الكشاف، 168/4.

القدرة على التأثير على السامع، وملك مشاعره، فالتحسين والتجبير في الكلام من مميزات الغرض منه، فليس الغرض من اللغة مجرد الإبانة والإفصاح وحده، بل التأثير والإقناع له مكانته¹³⁴.

وبناءً عليه، لو حلت كلمات من مثل : الغمّ والهَمّ والأسف مكان كلمة حسرات في الآية السابقة من سورة البقرة، لتخلخل المعنى، واضطرب المقصد الدلالي المرتبط بالحالة الشعورية لأهل النار، فالعسكري أوضح في متن مؤلفه (الفروق اللغوية) دلالة الحسرة بأنها "غمّ يتجدد لفوت فائدة"¹³⁵، فعذاب أهل جهنم-ممن خصّتهم الآية- بالندم يتجدد ويستمر، فالعقاب هنا جسدي ونفسي.

• 17.2.3. المقطع الثنائي البسيط: حَشْ

حكاية صوت المقطع : هو حكاية صوت الجمع واللّم لأشياء كثيرة متراكمة بعضها فوق بعض.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: نحشّهم، والفعل الثلاثي: حشّر يحشّر من الحشّر.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: حَشَرَهُمَحْشَرًا:جمعهم، ومنه يوم المحشّر، و الحشّر: جمع الناس يوم القيامة. حَشَشْتُ الحشيش: قطعته واحتششته، طلبته وجمعتة، حششت النار بالحطب، فزاد الحطب، حششت فلانا بفلان: أي كثّرت به، حَشَّ البعير بجنبين: أي ضَمَّ¹³⁶.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

ورد الفعل نحشّهم في قوله تعالى: "وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ" (الأنعام:22:165)، كما ورد الفعل حُشِرَ في قوله تعالى: "وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ" (الأحقاف:6:35)، هذان الفعلان يدلّان على عملية جمع الناس ولمّهم للعرض على الخالق سبحانه وتعالى، وكأنّ الناس قطعهم من دنياهم، ليملاً بهم ساحة الحساب كما ورد في بعض من كتب تفسير القرآن¹³⁷.

¹³⁴-الشايع، محمد بن عبد الرحمن بن صالح، الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1993م، ص71-72.

¹³⁵-العسكري، الفروق اللغوية، ص70.

¹³⁶- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (حشّر)، ومادة (حشش).

¹³⁷-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 246/3، 275/7، ويُنظر أيضاً: الطبري، تفسيره، 297/11، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 54/8، الزمخشري، الكشاف، 322/4.

وقد ورد الفعل (نحشر)، ولم يُستعمل الفعل (ننشر)، مع أن ضرورات الزمان والمكان والحال واحدة، والموضوع الرئيس هو جمع الناس يوم الحساب. ولكن في القرآن الكريم "لا تقوم لفظة مقام أخرى في تأدية كامل المعنى، بل لكل لفظة فيه معناها الخاص، ودلالاتها المعينة والتميزة، فالرياح كجمع يقترن بالرحمة، والمفردة منها يقترن بالعذاب، يستثنى من ذلك قوله تعالى: "وجرّين بريح طيبة" من سورة يونس (109:82)¹³⁸.

وفي رأي العسكري أن الحشر غير الجمع والنشر؛ فالحشر إخراج جماعات البشر عن مساكنهم، مع التضيق عليهم. وفي العرف الشرعي اكتسب الحشر دلالة جديدة أفادت إخراج الموتى عن قبورهم، وسوقهم جماعاتٍ للحساب، بينما النشر إنما هو إحياء الموت بعد موته¹³⁹.

• 18.2.3. المقطع الثنائي البسيط: حَصَّ

حكاية صوت المقطع : هو حكاية صوت التحريك والتقليب والفرز، فإذا حُرِّك الشيء في الشيء حتى يستقر فيه يقال له: حصص، ومنه الحصى.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: حصص، حصيد(حصد)، محيص و يمحص(محص).

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الحصّ: شدّة العدو في سرعة، وهو أيضا حلق الشعر، تحصص الوبر: انجرّد، رجل حُصِّص وخصُوص: يتتبع دقائق الأمور؛ فيعلمها ويحصيها، والحَصَصَة: الحركة في شيء حتى يستقرّ فيه، ويستمكن فيه ويثبت، وقيل: تحريك الشيء في الشيء، والحصصة أيضا هي التحريك والتقليب للشيء والترديد. حصص البعير: أثبت ركبتيه على الأرض للنهوض بالحمل (هنا عملية الاستناد على حصى الأرض وحجارتها تستلزم تكرار صوت المقطع الثنائي حص).

الحصيد: الزرع محصود وحصيد بالتحريك، وما يُجمع من حبّ الحنطة والشعير ويُجَدّ، تمحيص الذنوب: تطهيرها.

محّص الذنوب: أذهبها، التمحيص: النقص، و المحيص: المحيد والمهرب¹⁴⁰.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي عند ابن كثير:

¹³⁸ -الشابع، محمد بن عبد الرحمن، الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، ص 297.

¹³⁹ -العسكري، الفروق اللغوية، ص 71.

¹⁴⁰ - ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (حصص).

جاء الفعل حَصَّصَ في قوله تعالى: "قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ" (يوسف: 51:111)، وهو على حد تعبير الزمخشري "ثبت واستقر....وهو من حصص البعير إذا ألقى ثقاته للإناخة". أما عند ابن كثير والطبري وأبوحيان الأندلسي والألوسي وأبي السعود فهو ظهور الحق، والاعتراف به¹⁴¹.

قال العسكري في هذا الفعل أنه من (الحصّة)، وهي كل ماتحرك بقصد أن تثبته، ومنه يقال هذه حصتي؛ أي قد ظهر نصيبي وعلمي، وحُدِّت حصتي. وفي مقالات للدكتور عمر كارا (Ömer Kara) حول الفروق اللغوية في القرآن الكريم أشار إلى الفرق بين المحص و الفحص، فالمحص: تخليص الشيء مما فيه من عيب متصل به كالفحص، لكن الفحص يقال في إبراز شيء من آخر غير مختلط به. فأهم وظيفة للفروق اللغوية برأي عمر كارا هي تصنيف الكلمات وإيجاد معانيها في سياقها الواردة فيه¹⁴². وهذا الشرح يناسب سياق الفعل حصص؛ لأن الحق استغرق مدة طويلة ليظهر بين مدّ وجزر في كشف الحقائق، و نسب الأحداث إلى دوافعها الكامنة في نفوس شخوص قصة سيدنا يوسف -عليه السلام- كامرأة العزيز، وزوجها. كما أن الأفعال التي تأتي على هذا الوزن (فعلل) من شأنها أن تفيد استطالة الفعل، ومدّه، و دوامه، فظهور براءة سيدنا يوسف استوجبت زمناً ليس بقليل.

وقد حلّمحمد حسين علي الصغير الصورة الصوتية لهذا الفعل، و رأى أن الصاد حرف صفيري، واضح في مخرجه الصوتي، وتكراره مرتين في قلبه الرباعي يوحى بانكشاف الحقيقة¹⁴³، تلك الحقيقة التي طال انكشافها، فيما يخص ما حدث بين سيدنا يوسف وامرأة العزيز، وكأن أزيز صوته، وصدى حرفيه (ح.ص) إشهار صارخ ينصف صاحب الحق، ويرجع الأمور إلى نصابها.

¹⁴¹-الزمخشري، الكشاف، 295/3، ويُنظر أيضاً: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 395/4-396، والطبري، تفسيره، 138/16، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 317/5، الألوسي، روح المعاني، 140/139/16، أبو السعود، تفسير أبي السعود، 284/4-285.

¹⁴²- العسكري، الفروق اللغوية، ص72، كما يرجع إلى مقالات كارا، عمر، الفروق اللغوية في مفردات راغب الأصفهاني:

Kara, Ömer, Rağb'in müftredat'ında 'furuk' malzemeleri: sunuşşekilleri ve tespit metotları, uluslararası sosyal araştırmalar dergisi, cilt:5, sayı:23, güz:2012, S: 326.

كما يرجع إلى مقالة الفروق اللغوية (مدخل 1)، (1)، bkz: kara, Ömer, El-furuk'l Luğaviyye' ye giriş

EKEV akademi dergisi, sayı: 14, kış 2003, S:319.

¹⁴³يُنظر : الصغير، محمد حسين علي، الصوت اللغوي في القرآن، ص181.

وفي قوله تعالى: "إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (يونس:24:109)، جاءت كلمة حصيد عند ابن كثير والطبري دالة على الزرع اليابس الذي كان أخضر نضرا سابقا¹⁴⁴، فقدرة الله حولت خضرة الزرع إلى هشاش يابس، يُسمع له حصىة عند جمعه، أو عندما تهب عليه الريح.

والكلمة ذاتها (حصيد) جاءت عند ابن كثير والألوسي بمعنى فانٍ، وهالك¹⁴⁵، وذلك في تفسير سورة هود، قال تعالى: "ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَفْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ" (123:100). أما كلمة محيص في قوله تعالى "وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ" (إبراهيم:21:52)، دلّت على معنى الخلاص، فلسان حال العبد يوم الحساب يقول لنفسه: ليس لي خلاص مما ينتظرني من عذاب الله، فلا الصبر ينفعني، ولا الجزع ينقذني كما أولها ابن كثير¹⁴⁶. وهنا يُلاحظ في تنوع الكلمات المتولدة عن المقطع الثنائي جمالية المعنى، إذ ينقل - المعنى - بين الدالتين الحسية والذهنية، وأحيانا يجمعهما سوية.

وفي قوله تعالى: "وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ" (آل عمران:141:200)، قال ابن كثير في تفسير الفعل يمحص: "ليميز الخبيث من الطيب، ويظهر أمر المؤمن والمنافق للناس في الأقوال والأفعال"، ومثله قال الثعالبي، ولكنه أضاف أن التمحيص هو التنقية¹⁴⁷.

ويمكن القول هنا: إنّ ما يتولد عن الجذر الثنائي من ألفاظ كفيل بأن يظهر تطور دلالة الكلمة مع الزمن، وأحيانا تنتقل الكلمة بين حقلين دلاليين هما: المجاز والحقيقة.

• 19.2.3. المقطع الثنائي البسيط: حَف

حكاية صوت المقطع: هو صوت التماس المباشر والالتصاق، كما هو حكاية صوت احتكاك الشيء بالشيء.

¹⁴⁴ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 260/4، الطبري، تفسير الطبري، 65/15.

¹⁴⁵ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4/349، الألوسي، روح المعاني، 135/12.

¹⁴⁶ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 491/4.

¹⁴⁷ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 174/2، وينظر أيضاً: الثعالبي، تفسيره، 115/2.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: حافّين، الفعل الثلاثي من اسم الفاعل حافّين: حَفَّ، والمصدر الحفّ و الحفيف.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: حفّ القوم بالشيء: أهدقوا به، حفّه بالشيء يحفّه كما يُحفّ اليهودج بالثياب. الحفيف: صوت الشيء تسمعه كرّة أو طيران الطائر، وهو صوت جناحي الطائر، والأنثى من الأسود تحفّ حفيفاً، وهو صوت جلدها إذا دلكت بعضه ببعض، وحفيف الريح: صوتها في كل ما مرت به¹⁴⁸.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

من بعض مواضع ورود مشتقات المقطع (حَفَّ) في القرآن الكريم، كلمة حافّين التي جاءت في قوله تعالى: " وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (الزمر: 75:75)، قال ابن كثير في تفسيرها بأن الملائكة يسبحون بحمد الله، محدقون من حول عرشه العظيم، ومثله قال جمهور المفسرين، كالزمخشري والطبري وأبي حيان الأندلسي¹⁴⁹.

وجمالية هذه اللفظة (حافّين) تتأتى من تزواج الدلالة الحسية و الدلالة المعنوية؛ فالملائكة يُسمع صوت حفيفها وهي تطير حول عرش الرحمن، تحاول أن تلتصق به، و ريح أجنحتها تولّد صوت المقطع حَفَّ، ومعنوياً يتراءى للسامع عظمة إخلاص الملائكة و خشيتها من الرحمن في آن معاً، فتحاول أن تجاور كرسي عرشه مسبحة ذاته العظيمة.

❖ حرف الخاء

• 20.2.3. المقطع الثنائي البسيط: خَرَّ

حكاية صوت المقطع : هو حكاية مجموعة من الأصوات منها: صوت الماء(الخير)، كما هو حكاية صوت شقّه بجسم صلب، وهو أيضا حكاية صوت النائم وهو يشخر ويخرخر، ويُنسب كذلك إلى حكاية صوت سقوط الحجر من علّ. وهو صوت الثور والبقر(الخوار).

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: الفعل خَرَّ، خوار(خار)، مواخر(مخر).

¹⁴⁸- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (حَفَّ).

¹⁴⁹- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 118/7-119، الزمخشري، الكشاف، 327/5، الطبري، تفسيره، 343/21،

أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 443/7

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الخريز: صوت الماء والريح والعقاب إذا حقت، الخوار: صوت البقر، خرّ الماء إذا اشتدّ جريه، خرّ الرجل في نومه إذا غطّ، والخرخرة: صوت النائم والمختنق. وخرّ الحجر إذا تدهدى من الجبل، وخرّ البناء: سقط، وخرّ المصلّي: صار في حال سجوده.

مخرّت السفينة: جرت تشقّ الماء مع صوت، وقيل المواخر: صوت جري الفلك بالرياح¹⁵⁰.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

وردت المواد المتولدة عن المقطع (خرّ) في آيات كثيرة، فمثلاً الفعل (خرّ) ورد في قوله تعالى: "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" (الأعراف: 143:206)، أفاد بعض من المفسرين أنّ نبي الله موسى - عليه السلام - سقط مغشياً عليه؛ أي سقط من علّ، فالخروج جاء عندهم بمعنى السقوط والانقمار اللذين يُسمع لهما صوت خريز¹⁵¹، والمقصود هنا هيئة وقوعه ساجداً من بعد وقوف قامته وانتصابها؛ إذ تجلّى وجه ربّه للجبل فتفتّت، فلم يتحمل موسى صورة تجلّي عظمة الله تعالى وجبروته؛ فسقط مذهولاً، فالفعل (خرّ) أفاد السقوط مضافاً إليه صوته.

والفعل (تخرّ) ورد كذلك في قوله تعالى: "تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَّرُنَّ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا" (مريم: 90:98)، حيث نُسب السقوط هنا إلى الجبال التي كادت تهوي وتزول لعظمة الله تعالى¹⁵². وللسامع أن يتخيّل هول المشهد الذي تندمج فيه الصورة الحسية مع نظيرتها الذهنية، صخور الجبل القاسية تتزلزل، وحجارته الصلبة تتهدّم، ويُسمع صوت تهددها من القمة إلى القاع؛ فقط إذا تراءى وجه الله تعالى لمخلوقه الجبل.

وفي سورة طه " فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ" (135:88)، حملت كلمة (خوار) معنى ماديا محسوساً، هذا المعنى يعتمد على الصورة السمعية، هي حكاية صوت العجل، والذي يعود في أصله إلى المقطع (خرّ)، وأوضح بعض من المفسرين أنّ العجل الذي صنعه السامريّ لبني اسرائيل من الذهب، قد سرت فيه الروح بإذن ربها، فتمثّل على هيئة

¹⁵⁰ ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (خزّ)، مادة (مخرّ).

¹⁵¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 469/3، الطبري، تفسيره، 98/13، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،

384/4، الزمخشري، الكشاف، 505/2، السمين الحلبي، الدر المصون، 450/5-451.

¹⁵² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 266/5، الألوسي، روح المعاني، 139/16-140.

عجل، سُمع منه صوت خوار، وقد جُعِل في جوفه منافذ كالزمارات تخرج منها أصوات حين تمر فيها الريح؛ الأمر الذي جعل موسى يخوض مع بني إسرائيل في مسألة ادعائهم أن هذا المخلوق هو الرب، فراح موسى يطلب ربه¹⁵³.

أما كلمة (مواخر) فقد وردت في قوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (النحل:14،128)، حيث شرحها ابن كثير بأن الله تعالى سَخَّرَ البحر لحمل السفن، هذه السفن "تمخر البحر وتشقه بجريها فيه"، والطبري علّق عليها بقوله: "ما أخذ عن يمين السفينة وعن يسارها من الماء.... والمخر في كلام العرب: صوت هبوب الريح، وهو صوت جري السفينة بالريح إذا عصفت وشقها الماء حينئذ بصدرها". والتفسير نفسه نجده عند أبي حيان الأندلسي في شرحه كلمة (ماخرة): "أي شاقة في البحر، أو ذات صوت لشقّ الماء"، والزمخشري حلّل الصورة السمعية البصرية للفعل تمخر بقوله: " صوت جري الفلك بالرياح"، ومثله قال الشنقيطي: " بشق أمواج البحر على السفن"¹⁵⁴.

وباجتماع حاستي البصر والسمع، يدرك القارئ في هذه الآية صورة انشقاق الماء بفعل اصطدامه بمقدمة السفينة، وما يترافق معه من تكرار لصوت الشق (خر)، فلا غرابة بعد ذلك إن كانت كلمة مواخر قد استحضرت من حكاية صوت شق السفينة للماء وهي تبحر فيه.

إن الفعل (خرّ) ورد في القرآن في مواضع كثيرة وبصيغة واحدة مكونة من حرفي الخاء والراء المضعفة، وجلّ المعاني التي أداها هذه الفعل تمحورت حول السقوط والهوي، ولكن هذا الحدث يترافق دائماً مع صوت هو الخريز المنسوب إلى صوت الماء أو الريح، فالماء يخرّ في جريه، والريح تخرّ في هبوبها، وأحياناً يتداخل الصوتان سوية كما في صورة جري السفن المواخر. فالحدث هاهنا مأخوذ من جنس الصوت؛ مما يحفز القارئ على استحضار الصورة السمعية و إرفاقها بالصورة البصرية، ليدرك أن الدلالة مستوحاة من اللفظ الصوتي¹⁵⁵.

فالمخر له صوت، بينما الإبحار أو الجري في الماء لا صوت لهما؛ إذ لا وجود للريح حين تبحر السفينة أو تجري. فالمبحر قد يكون سائراً أو واقفاً، بينما الماخر هو من يجري بقوة الرياح ودفعها.

¹⁵³ - الألوسي، روح المعاني، 247/16، الطبري، تفسيره، 355/18، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 286/17-287.

¹⁵⁴ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 564/4، الطبري، تفسير الطبري، 181/17، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 480/5، الزمخشري، الكشاف، 429/3، الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 343/2.

¹⁵⁵ - الصغير، محمد حسين علي، الصوت اللغوي في القرآن، ص186.

• 21.2.3. المقطع الثنائي البسيط: خَقْ

حكاية صوت المقطع : هو حكاية صوت الاختناق، كما هو حكاية صوت الخرق والتقب أيضاً.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: اسم المفعول (المنخِيق: خنق)، خرق يخرق والمصدر (خرقاً).

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الخرق: الفُرجة، ويكون في الثوب وغيره، والخرق: الشق في الحائط والثوب ونحوه، والخرق: ما انخرق من الشيء، وبان منه.

والخنق: بكسر النون: مصدر خنقه يخنقه خنقاً وخنقاً، فهو مخنوق وخنِيق، والمخنقة: القلادة على المخنق¹⁵⁶.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

" حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقَالْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمَانٍ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (المائدة: 3: 120)، قال ابن كثير في تفسير كلمة (المنخنة): "هي التي تموت بالخنق، إما قصداً أو اتفاقاً بأن تتخبل في وثاقها فتموت به، فهي حرام"، ومثله فسر كل من الطبري وأبي حيان الأندلسي والزمخشري دلالة هذه الكلمة¹⁵⁷. فالنفاق الحبل حول عنق الدابة كفيل بخنقها، وفعل الاختناق يصاحبه تكرار صوت المقطع (خَقْ)، وهو صوت احتضار المخنوق إذا شارف على الموت.

أما الفعل خرق فقد ورد في موضعين، الأول في قوله تعالى: "وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا" (الإسراء: 37: 111)، وفي قوله تعالى: "فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكَبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا" (الكهف: 71: 110)، الفعلان: (تخرق، أخرقتها) كلاهما ورد في بعض من كتب التفاسير دالاً على معنى الخرق،

¹⁵⁶ - ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (خرق)، مادة (خنق).

¹⁵⁷ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 17/1، و الطبري، تفسيره، 494/9-495، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 423/3، الزمخشري، الكشاف، 194/2.

kara, Ömer, *El-furuk’l Luğaviyye’ ye giriş (I)*, EKEV akademi dergisi, ¹⁶¹ يُنظر مقالات :
sayı: 14, kış 2003, S:209, giriş (II), S:244, giriş (III) S:130-131 .

الفروق الدقيقة بين الكلمات المتقاربة. وضرب مثلاً مقنعاً مفاده أن في اللغة العربية مائة كلمة تأتي بمعنى الخوف، و القرآن استخدم ما يقارب عشرين كلمة مرادفة لهذه الدلالة؛ مما جعله يخلص إلى نتيجة مهمة بأن المقالات والأبحاث التي أُجريت في القرآن عن الفروق اللغوية لم تغطّ كل المفردات الموجودة في العربية، ولم تشملها كذلك. وحلّل الفرق بين كلمتي الخوف والخشية؛ فالأولى تدل على الهيبة والعظمة، ومنه يقال شجرة خاشية بمعنى قاسية، والثانية تدل على الضعف ومنها وصف الأعراب الناقة المريضة بالخوفاء. فأحياناً عند شرح كلمة نجد أنها متقاربة مع كلمة ثانية كما في (جسد، جسم)، (حطم، هشم)، و لكن بعد التدقيق بين معانيها نجد فيها فروقا ومثال ذلك كلمتا الصقع والصقع القائمتان على أساس القلب، و كلاهما يحمل دلالة الصوت الشديد المخيف؛ فالصقع يكون في الأجسام الأرضية، والصقع يكون في الأجسام العلوية¹⁶².

❖ حرفا الدال والذال

• 22.2.3. المقطع الثنائي البسيط: دَب

حكاية صوت المقطع : حكاية صوت الدبيب، والدبيب نوع من أنواع السير التي لا سرعة فيها.
المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: دابة، وهذه المادة مأخوذة من الفعل (دب)، والمصدر دبيب.
معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: دَبَّ يَدَّب دَبِيْباً: مشى على هِينَتِهِ، والدَّابَّة: اسم لما دَبَّ من الحيوان، والدَّباب صوت كأنه دب دب، وهي حكاية صوت¹⁶³.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

جاءت كلمة (دابة) في مواضع كثيرة، وعلى سبيل التمثيل لا الحصر قوله تعالى: "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" (هود: 6:123)، وأيضاً قوله تعالى: "إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (هود: 56:123)، وكذلك وردت كلمة دابة في سورة لقمان (الآية: 34:10)،

¹⁶² يُنظر مقالات: Kara, Ömer, *Rağ'ib'in müftredat'ında 'furuk' malzemeleri: sunuş şekilleri* ve *tespît metotları*, uluslararası sosyal araştırmalar dergisi, cilt:5, sayı:23, güz:2012, S:

318-319-322-326.

¹⁶³ ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (دبب).

وفي سورة فاطر (الآية:45:45)، وفي سورة الجاثية (الآية:4:37)، ومعناها في الآيات جميعها هو ذلك الحيوان الذي يمشي على أربع¹⁶⁴.

الفعل (دبّ) استُعير للإنسان، فيقال للطفل عندما يبدأ بالسير معتمداً على أطرافه الأربعة: دبّ، وصوت وضع الأطراف على الأرض يحاكي المقطع (دبّ)، ومنه الدبيب مع اختلاف في درجات صوته؛ والسبب مرتبط بمقدار الشدّة المصاحبة لحركة وضع القوائم على الأرض.

• 23.2.3. المقطع الثنائي البسيط: دكّ

حكاية صوت المقطع : هو حكاية صوت الضرب والهدم والتكسير، كما هو أيضاً حكاية صوت الردم.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: الفعل (دكّ)، دكّاء، والمصدران: دكّة ودكّا.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الدكّ: هدم الجبل والحائط ونحوهما، دكّ الجبال: زلزلها، دكّ: هدم، والدكاء: الرابية من طين، ودككت التراب على الميت أدكّه إذا هلّته عليه. والدكّ: الدقّ¹⁶⁵.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

يُلحَظ أنّ الفعل: (دكّ) وما يتولّد عنه من مفردات بالزيادة أو الاشتقاق، يخدم معنى الهدم، وتسوية كل جبل أو رابية بالأرض؛ وذلك بفعل جبروت الله تعالى، وعظيم قدرته، وسلطان أمره، فمثلاً نجد في قوله تعالى: " وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَاكَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ " (الأعراف:143:206)، وقوله تعالى: "قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا" (الكهف:98:110)، نجد كلمة (دكّا) تفيد هدم الجبل، وجعله تراباً، والصاقه بالأرض بعد أن كان

¹⁶⁴ -ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تفسير الآية 45 في سورة فاطر، 560/6، الطبري، تفسير الطبري، تفسير

الآية 10 في سورة لقمان، 133/20.

¹⁶⁵ -ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (دكّ).

مرتفعاً. وكلمة دكاء تفيد أيضاً هدم الجبل، ومساواته بالأرض¹⁶⁶، وذلك كله من دلائل قدرة الله تعالى، فلا شيء يعجزه.

• 24.2.3. المقطع الثنائي البسيط: دَم

حكاية صوت المقطع : هو حكاية صوت التدمير الذي يصاحبه ارتجاف واضطراب، كما أنه حكاية صوت الرعد المدوي، وهو أيضاً حكاية صوت غضب الإنسان عندما يكظمه ثم يوشك على إظهاره.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: دمدم.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الدَّمَمة: الغضب، دمدم عليهم: أرجف بهم الأرض¹⁶⁷.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

ورد الفعل دمدم في قوله تعالى: "فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا" (الشمس: 14:15)، قال ابن كثير في تفسيرها: "أي غضب عليهم، فدمر عليهم"، وقال في تفسيرها الطبري: "فدمر عليهم ربهم بذنوبهم ذلك...فسوى الدمامة عليهم جميعاً"، أمّا الأندلسي فنقل عن ابن الزبير قوله: "فدهدم؛ أي أطبق عليهم العذاب"، بينما نجد الزمخشري يتعرض لفكرة تكرير الصوت في الفعل دمدم فيقول: "أطلق عليهم العذاب، وهو من تكرير قولهم: ناقة مدمومة، إذا ألبسها الشحم". وقد فسّر السمين الحلبي هذا الفعل تفسيراً يعتمد على حكاية الصوت فقال: "الدمدمة: الإهلاك، وقيل حكاية صوت الهدّة ومنه: دمدم في كلامه"، في حين قال فيه أبو السعود: "سوى الدمدمة بينهم، لم يفلت منهم أحد من صغير وكبير، أو فسوى ثمود بالأرض"¹⁶⁸.

البعد الصوتي للفعل الرباعي (دمدم) يوحي برجفة واضطراب، وتكرار المقطع (دم) فرصة ليتخيّل السامع هول الغضب الذي أنزله الله تعالى بقوم النبي صالح عليه السلام، حيث أطبق العذاب عليهم؛ فلم ينجُ منهم أحد. وهنا ترسم صورة الأرض وهي ترجف، تكاد تتقلب على من عقروا الناقة.

¹⁶⁶ - ابن كثير، تفسير القرآن الكريم العظيم، 469/3، الطبري، تفسير الطبري، 133/20، أبو السعود، تفسير أبي السعود، 247/5.

¹⁶⁷ - ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (دمم).

¹⁶⁸ - ابن كثير، تفسير القرآن الكريم العظيم، 414/8، الطبري، تفسير الطبري، 461/24، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 482/8، الزمخشري، الكشاف، 384/6، السمين الحلبي، الدر المصون، 25/11، أبو السعود، تفسير أبي السعود، 166/9.

• 25.2.3. المقطع الثنائي البسيط: ذَبْ

حكاية صوت المقطع : هو حكاية صوت التذبذب، والحركة السريعة المضطربة التي لا استقرار فيها.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: متذبذبين من الفعل الرباعي ذَبَّ، والمصدر ذبذبةً.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الذبذبة: تردّد الشيء المعلق في الهواء، والذبذب: أشياء تُعلّق على الهودج، أو رأس البعير للزينة. ورجُلٌ مذبذبٌ: متردّد بين أمرين، وفي التنزيل العزيز في صفة المنافقين: مذبذبين بين ذلك: لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء¹⁶⁹.

وبما أنّ الكلمة تتطور دلالتها بفعل الزمن، وتغيرات المجتمعات، وتقدم الحضارات، يُرى معنى كلمة (ذبذبة) قد اكتسب بُعْداً جديداً، ففي العصر الحديث دلّت هذه المفردة على الحركة الناتجة عن الموجات الصوتية الإذاعية أو الضوئية، ممّا يصدر عن المذيع أو الرائي ونحوهما، وتوصف بأنها مضطربة و دائمة الحركة والتقلب.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي :

وردت كلمة (مذبذبين) في قوله تعالى: "مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا" (النساء: 143:176)، وأفاد عدد من المفسرين كابن كثير والطبري وأبي حيان الأندلسي في تحليلها فتقاطعت أراؤهم حول فكرة تقلقل الكفار وتحيرهم بين الكفر والإيمان، فهم لا يثبتون على حال؛ إذ ليسوا بمؤمنين وليسوا بمشركين، ولكن الزمخشري في تفسيره الكشف انفرد عنهم بدلالة الصوت المكرر في (ذبذب)، حيث لا نجده في (الذب)؛ والتذبذب عنده يوحى بالاضطراب¹⁷⁰. ولكن المعنى هنا مجازي، والصورة ذهنية، ودلالة كلمة ذبذبة دلالة مجردة؛ إذ دلّت على حركة سلوكية غير متوازنة أو مستقرة، يقوم بها الكفار ممّن أظهروا أنهم مع المؤمنين، ولكنهم في داخلهم يخفون الكفر.

❖ حرف الراء

• 26.2.3. المقطع الثنائي البسيط: رَجْ

¹⁶⁹- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (ذبب).

¹⁷⁰- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم العظيم، 2/442-443، الطبري، تفسير الطبري، 9/334، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 3/378، الزمخشري، الكشف، 2/168.

حكاية صوت المقطع : هو حكاية صوت الارتجاج والرجّ والاضطراب، وهو أيضاً حكاية صوت بسبب الخوف والهلع وما شابه.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: رجّ، الرجّ، مريج، رجف، الراجفة، المُرَجَف.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: رجّة القوم: اختلاط أصواتهم، رجّة الرعد: صوته، والرجّ: التحريك، رجّه: حرّكه وزلّله فارتجّ، والرجّ تحريك شيء كحائط إذا حرّكته، والرجرجة: الاضطراب، وارتجّ البحر وغيره: اضطرب، ترجرج الشيء: إذا جاء وذهب.

والرجفان: الاضطراب الشديد، رجف الشيء: خفق واضطرب اضطراباً شديداً، رجفت الأرض إذا تزلزلت.

و المَرَج: بالتحريك، مصدر قولك مَرَجَ الخاتم في إصبعي، أي قَلَقَ، ومَرَجَ الأمر مَرَجاً، فهو مَارِجٌ ومريج: التّبَس واختلط¹⁷¹.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

هذه المواد اللغوية المتولدة عن المقطع (رجّ) وردت في سياقات مختلفة، وجميعها دلّت على الاضطراب والزلزلة في تفسير ابن كثير¹⁷². فمثلاً في قوله تعالى: " بَلْ كَذَّبُوا بِآلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِجٍ" (ق:5:45)، أوحى كلمة (مريج) بمعنى مجازي هو اضطراب الرأي، وعدم الثبات قرار، فالكفار كَذَّبُوا القرآن الكريم، وكانوا غير مستقرين على وجهة أو حال فيما يخص شأن النبي محمّد - صَلَّى الله عليه وسلّم - بأمر دعوته.

أمّا كلمة (ترجف) التي وردت في قوله تعالى: " يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً" (المزمل:14:20)، فقد أفادت معنى حقيقياً حسيّاً، حيث شرح بعض من المفسرين الفعل ترجف بأنّه: تزلزل الأرض، أو اضطراب جبالها وزعزعتها¹⁷³.

هو مشهد من مشاهد القيامة، يصف فيه الله تعالى صورة الجبال التي ستتناثر كالرمال بعد زلزلتها، وفي خضمّ هذا المشهد المخيف يسمع العباد صوت الأرض الراجفة المضطربة، حيث يُنسف كل ما فوقها من جبال و تلال وبنيان. وهنا تلعب الراء دوراً مهماً في توضيح الصورة

¹⁷¹- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (رجج)، مادة (رجف)، مادة (مرج).

¹⁷²- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم العظيم، 495/7.

¹⁷³- يُنظر تفاسير كل من: ابن كثير، 256/8، الطبري، 692/23، أبي حيان الأندلسي، 364/8، الزمخشري، 247/6، أبو السعود، تفسير أبي السعود، 52/9.

السمعية لصورة اضطراب الأرض المتكرر، " فالراء إذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة، والوقوف يزيدُها إيضاحاً"¹⁷⁴، كما أنَّ حرف الجيم من حروف الشدَّة، التي توصف بأنها مجهورة، ولا يخرج معها نفس، وهذا يطابق حال البشر يوم تقوم الساعة، إذ بالكاد تخرج أنفاسهم من هول ما يشاهدونه ويسمعونه.

هناك كلمات أخرى وردت في آيات الكتاب العزيز، لم يأتِ البحث على ذكرها؛ لأجل عدم التكرار والاستطراد، ومثال ذلك الكلمات الآتية: (الرجفة، المرجفون، رجَّت رجّاً، ترجف الراجفة)، وقد وردت على الترتيب في آيات السور الآتية: (الأعراف:78:206، الأحزاب:60:73، الواقعة:4:96، النازعات:16:46)، وجميعها تتقاطع والمعنى المشروح في الآيتين السابقتين؛ فارتأى البحث عدم الخوض فيها.

ومن بلاغة القرآن وإعجاز بيانه أن الله تعالى أورد تارة كلمة الزلزال، وتارة أخرى أورد كلمة الرجفة، ولكن المقام يُلزم القارئ بفرز معنى كل منهما حسب مقتضيات المشهد. فالزلزلة هي الرجفة القوية، ولذلك يقال زلزلت الأرض زلزلة إذا كانت خفيفة، ولا يقال رجفت إلا إذا زلزلت زلزلة شديدة؛ وسميت زلزلة الساعة رجفة لذلك¹⁷⁵. فاضطراب الأرض بجلالها وتلاها وحجارتها يلزمه رجفة لا زلزلة، والأولى أطول زمنياً من الثانية؛ ممّا يسمح بتحريك هذا الثقل العظيم.

• 27.2.3. المقطع الثنائي البسيط: رَع

حكاية صوت المقطع : صوت الرعد.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: الرعد وفعلها رعدَ يرعدُ، والمصدر: الرعد.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الرعد: الصوت الذي يُسمع من السحاب، رعدت السماء: صوتت للأمطار¹⁷⁶.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

" وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ " (الرعد:13:43)، ممّا قاله ابن كثير والطبري والزمخشري في شرح هذه الآية أن كل

¹⁷⁴-سيبويه، الكتاب، 4/136.

¹⁷⁵- العسكري، الفروق اللغوية، ص95.

¹⁷⁶- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (رعد).

شي يسبح بحمد ربّه، والرد من خلق الله تعالى، وصوته هذا ما هو إلا تسبيح للبارئ، وخضوع له¹⁷⁷. وعظيم صوت الرعد دليل على إعجاز الرحمن في كل ما أنشأه و صوره، كما هو دليل على هيبة ذكر اسم الله عند خلقه أجمعين.

❖ حرف الزاي

• 28.2.3. المقطع الثنائي البسيط: زَلْ

حكاية صوت المقطع : صوت التحريك والاضطراب والارتجاج والزلزلة.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: الفعل زَلَزَلَ، ومصدره هو الزَلْزَال والزَّلْزَلَة.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الزلزلة والزلزال: تحريك الشيء، والزلزال: الأهوال، الزلزلة: الحركة العظيمة والإزعاج الشديد، ومنه زلزلة الأرض، وهو كناية عن التخويف والتحذير¹⁷⁸.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

وردت كلمة (زلزلة) في قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ" (الحج:1:78)، وقد قصد بها حركة الأرض الشديدة مع إيدان الله تعالى ببدء يوم القيامة، حيث تتصدع جوانب الأرض، فيعلم البشر بأن الساعة قامت، حيث أضيف الزلزال إلى الأرض وكأن صفتها التزلزل كما زعم ابن كثير والطبري في تفسيريهما. بينما نجد أبا حيان الأندلسي و الزمخشري يفصلان في وصف الحدث المرافق للرجة الأولى والثانية، حيث مع الرجّة الأولى تخرج الأرض كنوزها، ومع الثانية تخرج موتاها. وقد عزا ابن عاشور الزلزلة إلى ظاهرة تخلل الهواء في طبقات الأرض القريبة من ظاهرها، وهي عنده بمنزلة إيدان بحلول الساعة¹⁷⁹.

وما تكرر صوت المقطع (زَلْ) في الفعل الرباعي المضاعف (زلزل) إلا تخويف للناس ممّا سيلقونه يوم الحساب، فسماع صوت انشقاق الأرض، وزوال جبالها، مع رؤية هذين الأمرين؛ يملأ الرعب والخوف في قلوب السامعين عندما يتخيّلون ذلك، فالزلزلة يعقبها أخرى، والأرض تستمرّ في

¹⁷⁷-ابن كثير، تفسير القرآن الكريم العظيم، 441/4، الطبري، تفسير الطبري، 390/16، الزمخشري، الكشاف، 340/3.

¹⁷⁸- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (زلل).

¹⁷⁹-ابن كثير، تفسير القرآن الكريم العظيم، 389/5، الطبري، تفسير الطبري، 548/24، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 500/8، الزمخشري، الكشاف، 413/6، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 187/18-188.

اضطرابها، والصوت يشتدّ ويزيد، عندها يوقن البشر جميعهم أنهم ملائقو ربهم. وقد جيء على توضيح الفرق بين الرجفة والزلزلة في شرح الفعل ترجف في سياق وروده في سورة المزمل.

وفي القرآن الحكيم مواضع أخرى، ذكرت فيها هذه المادة منها: (زُلْزِلُوا، زَلْزَالًا)، و(زُلْزِلَتْ)، وهي موجودة على الترتيب في: (الأحزاب: 61، 73، الزلزلة: 1، 8)، وشرح الآية السابقة يغني عن إعادة شرحها.

• 29.2.3. المقطع الثنائي البسيط: زَم

حكاية صوت المقطع : صوت الذي يتكلم بما لا يفهم، ويتحرك بشكل مضطرب مع ارتجاف أوصاله.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: المزمل وفعله الثلاثي: زمَل، والمصدر: زمالاً.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: زمَل يزملُ زمالاً: عدا وأسرع، الأزمل: الصوت، والأزمل كل صوت مختلط ومتداخل، والأزمل: الصوت الذي يخرج من قُنْب الدابة، والأزمولة: المصَوّت من الوعول وغيرها¹⁸⁰.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

" يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ " (المزمل: 1، 20)، قال ابن كثير في هذه الآية: " التزمَل: التغطّي في الليل"، والتفسير نفسه نلقاه عند الطبري وأبي حيان الأندلسي والزمخشري¹⁸¹. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - كان يرتجف وقد تغطّي بثيابه؛ وذلك خوفاً من الوحي الذي نزل عليه لأول مرة، فراح يتمتم بغريب الكلام، و ينطق بما هو غير مفهوم؛ بسبب الهلع الذي حلّ به وفق شرح المفسرين السابقين لهذه الآية.

فالتفسير تطرقت إلى لفظة التزمَل من حيث هي تغطي النائم بدثار أو ثياب، ولم تلتفت إلى الأسباب التي تدفع بالمرء إلى أن يتزمَل كالبرد، أو الخوف، أو المسّ وما شابهها من حالات نفسية تلقى بآثارها على المتزمَل؛ فيتصرف فطرياً على سجيّته دون أن يعي ما يقوم به من حركات، أو ما ينطق به من غريب الكلام.

❖ حرف الشين

¹⁸⁰- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (زمل).

¹⁸¹- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم العظيم، 249/8، وتقاسير كل من: الطبري، 675/23، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 360/8، الزمخشري، الكشاف، 239/6.

• 30.2.3. المقطع الثنائي البسيط: شقّ

حكاية صوت المقطع : الشقّ والفصل والصدع.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: شقاق، شاق، شقي، انشقّ.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الشقّ: مصدر قولك شققتُ العود شقّاً، والشقّ: الصدع البائن. شقّ الصبح إذا طلع، والمشاقّة والشقاق: غلبة العداوة والخلاف، شاقّه مشاقّةً وشقاقاً: خالفه. شقّ عليّ الأمر: ثقل، والشقّة: السفر البعيد، المشقّة: الجهد والعناء¹⁸².

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

يُلاحظ أنّ المواد اللغوية المأخوذة من هذا المقطع جاءت بصيغ اشتقاقية عدّة، حملت في دلالاتها معاني مجازية، وأخرى حسيّة حقيقية. فمثلاً كلمة (انشقّت) في الآية الأولى من سورة الانشقاق رسمت بعداً حقيقياً للدلالة الحسيّة للانشقاق، فهي في السياق القرآني دلّت على انشقاق السماء المادّي والحسيّ، وتصدعها ونقطعتها بالغمام، وكشفها عمّا فوقها بأمر الله تعالى كما ورد في بعض من تفاسير القرآن¹⁸³. فيقول سبحانه عزّ وجلّ: "إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ" (الانشقاق:1:25)، فالسمااء تصدّعت بأمر ربّها، وتقطّرت بالغيوم في مشهد من مشاهد القيامة، فإذا تخيل الإنسان صورة انشقاق السماء، وتهيّأ له استحضر أصوات هذا الحدث، فإنّه سيدرك أنّ كلّ ما خلقه الله تعالى منقادٌ له فيما يأمر.

وجمالية الفعل انشق أنه لاءم صورة الأهوال التي عرضها الله في آياته واصفاً فيها حال السماء وقد أذنت لأمر ربها بالانشقاق، فلا الفلق ولا الفتق يلائمان سياق هذه الآية. وقد وضح العسكري ذلك في فروقه عندما أوقف الفلق على الهول العظيم، والمصاب الجلل، كما في قوله (فالق الإصباح)، إذ لا يقال في هذا المقام (شقّ). فبرأيه حال المفعول به تلزم اختيار الفعل الأقرب لتفاصيل الحدث البصرية والصوتية، فإن كان المفعول به شيئاً واحداً وفرق بعضه من بعض يُستخدم حينئذٍ الفعل (شقّ) ولا يقال (فتّق)¹⁸⁴.

وفي قوله عزّ شأنه: "يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِمْ شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ" (هود:105:123)، وردت كلمة شقيّ كصفة مشبهة باسم الفاعل، وقد اكتسبت معنى مجازياً مجرداً، وقُصِدَ بها من

¹⁸²- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (شقق).

¹⁸³- ابن كثير تفسير القرآن العظيم، 8/355، الطبري، أبو السعود، تفسير أبي السعود، 9/131 تفسير الطبري، 24/306، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 8/360، الزمخشري، الكشاف، 6/239.

¹⁸⁴- العسكري، الفروق اللغوية، ص150، ص160.

انشقَّ عن طاعة ربِّه في الحياة الدنيا، فاستحقَّ العذاب في الآخرة¹⁸⁵. أمّا كلمة (الشَّقَّة) في قوله تعالى: "لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ" (التوبة: 42:129)، فقد تمثلت بمعنى ماديٍّ حقيقيٍّ، هو المسافة التي يقطعها المرء في سفره، والارتحال والسفر يلزمهما جهدٌ وتعَبٌ في زمن كانت مطيَّة الإنسان فيه ما يمشي على أربع. وقد فسَّر ابن كثير هذه الآية بشكلٍ مقارن، فالله تعالى يوبِّخ المؤمنين الذين تخلَّفوا عن اللحاق بالنبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في غزوة تبوك؛ بسبب أَعْذارٍ اختلقوها؛ هرباً من مشقة السفر وعذاباته، ولو جاءهم الأمر بأن ينفروا إلى حصاد غنيمة، لهبَّوا مسرعين، لا يحول بينهم وبينها عذر أو عائق. والتفسير عينه نقرأه عند الطبري والزمخشري و الإمام الرازي في تفاسيرهم¹⁸⁶.

• 31.2.3. المقطع الثنائي البسيط: شَهْ

حكاية صوت المقطع : هو حكاية صوت الشهيق، كما هو حكاية صوت البكاء، وهو أيضاً صوت أنين يخرج من صدر المكروب .

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: شهيقاً وفعلها: شهِقَ يشهِقُ.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: شهِقَ وشهِقَ شهيقاً وشُهاقاً: ردَّد البكاء في صدره، والشهيق: الأنين الشديد المرتفع جداً، والشهيق يكون في الصدر¹⁸⁷.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

قال تعالى : "قَأْمًا الَّذِينَ شَفُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ" (هود: 106:123)، في هذه الآية الكريمة تصوير رهيب لمصير الكفار يوم الحساب، ممَّن انقطعوا عن طاعة ربِّهم في الدنيا ، وكلمة شهيق دلَّت - بما تحمله من محاكاة لأصوات الشهيق والزفير - على صورة حسيَّة سمعية، تطغى عليها صراخات أهل النار وهم يُقَلَّبون فيها. وقد فسَّر ابن كثير هذه الصورة تفسيراً دقيقاً، حاكي فيه المشهد بأبعاده الحسيَّة والنفسيَّة، فقال فيه: "الزفير في الحلق، والشهيق في الصدر أي: تنفَّسهم زفير، وأخذهم لنفس شهيق لما هم فيه من العذاب". بينما نجد كل من الطبري وأبي حيان الأندلسي والرازي قد أضافوا على ابن كثير فكرة الدلالة الصوتية للشهيق، حيث قاربوا بين صوت

¹⁸⁵-ابن كثير تفسير القرآن العظيم ، 350/4، الطبري، تفسير الطبري ، 480/15، الزمخشري، الكشاف، 237/3

¹⁸⁶-ابن كثير تفسير القرآن العظيم، 159/4، الزمخشري، الكشاف، 47/3، الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)،

59/15.

¹⁸⁷- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (شهِق).

شهيق أهل جهنم وصوت الحمار؛ لما بينهما من مدّ الصوت الذي يشبه البكاء، إضافة إلى أن الزفير يأتي أولاً وفيه قوة، ويليه الشهيق وفيه ضعف، في حين قرب السمين الحلبي صوت الشهيق من تنفس الصعداء؛ دلالة منه على أهوال النار¹⁸⁸.

وكلمة (شهيق) عينها، نراها تؤدي معنى مغايراً في الآية الآتية: " إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ " (الملك:7:30)، حيث تُسبب صوت الشهيق إلى جهنم، وقال فيها ابن كثير: " الشهيق: الصياح"، وعند الطبري الشهيق هو " الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة كصوت الحمار"، والزمخشري نسب الشهيق مرة لأهل النار، ومرة للنار تشبيهاً لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق؛ بسبب غليانها. ومثله فسّر الرازي، وعلّق على أنه استُعير صوت الحمار للنار للدلالة على فظاعة صوت لهيبها؛ والسبب عذاب جهنم وأهوالها، ومثله قال ابن عاشور الذي نسب الشهيق لها اعتماداً على الفعل (سمعوا لها)، حيث رأى في صوت النار الملتهب شهيقاً يجسد نفساً متردداً في الصدر يصعب تحوله إلى بكاء، وهذا يفسر حجم التأجج والغليان لدى النار.¹⁸⁹

فإن كان شرح كلمة شهيق بهذا المعنى فهي صورة بلاغية محبوكة، شُبّهت النار فيها بإنسان غاضب، تُسمع شهقات حنقه وغضبه، فالنار - بأمر ربها - تنتظر تلقّف أهلها، وهي تتأجج بصوت غليانها. ويمكن القول إنّ كلمة شهيق هي مجموع أصوات شهقات المُعذّبين في جهنم، كما ورد في تفسير الآية السابقة والله أدرى وأعلم.

❖ حرف الصاد

• 32.2.3. المقطع الثنائي البسيط: صرّ

حكاية صوت المقطع: هو صوت الريح شديدة الصوت، وهو حكاية الصوت الذي فيه استطالة ومدّ.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: الفعل الرباعي صرّصر، الصرّة، و الفعل الثلاثي (صرّ).

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الصّر بالكسر، و الصرّة: شدة البرد. ريح صرصر: شديدة البرد، وقيل: شديدة الصوت، وصرصر: متكرر فيها الراء. صرصر: يقال هو من صرير

¹⁸⁸- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم العظيم، 351/4-352، والطبري، تفسير الطبري، 480/15، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 263/5، الرازي، مفاتيح الغيب، 51/17، السمين الحلبي، الدر المصون، 389/6-390.

¹⁸⁹- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم العظيم، 178/8، الطبري، تفسير الطبري، 509/23، والزمخشري، الكشاف، 172/6، الرازي، مفاتيح الغيب، 57/29، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 23/30.

الباب، صرصر: صَوْتٌ وصاح أشد الصياح، الصَّرة: أشد الصياح، تكون في الطائر والإنسان وغيرهما، وهي الضجة والصياح، والصَّر: الصياح والجلبة¹⁹⁰.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

ورد الفعل (صَرَ) في سورة آل عمران: "مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ" (200:117)، وقُصد به الريح الشديدة القوية التي تحمل برداً عظيماً، تُسلط على الكفار، وببردها تحرق كل شيء، والصَّر هو صوت النار التي في الريح كما ورد في كتب التفسير¹⁹¹.

وكلمة (صَرَّة) جاءت بمعنى صرخة عظيمة ورنه، وسياقها القرآني الآتي يوضح دلالتها، يقول تعالى: "فَأُفْبِلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ" (الذاريات: 60:29)، وقد اجتمع أهل التفسير على أن الصرَّة هي الصيحة كما فسرهما ابن كثير والطبري. بينما الزمخشري ردَّ هذه الصيحة إلى صوت صرَّ الجندب و صرَّ القلم والباب. والرازي وابن عاشور ربطا بين الصرة وصراخ النساء، فهنَّ يصحنَّ صيحتهنَّ المألوفة بدافع الاستحياء والخجل والدهشة والتعجب¹⁹².

في هذه الآية الكريمة تصوير حسي لردة فعل زوجة النبي إبراهيم - عليه السلام - عندما بُشِّرَتْ بأنها ستنجب غلاماً، فأصابتها الدهشة؛ لأنها كانت عقيماً، وصدرت منها صيحة عظيمة ممتدة؛ تعبيراً عن هول ما بُشِّرَتْ به. ومدَّ الصوت الموجود في الفعل الرباعي (صرصر) يناسب استطالة صيحتها، وهذه الاستطالة رسمت ملامح ذهولها مما سمعته.

أما في سورة القمر فقد أدَّت كلمة (صرصر) معنى الريح الشديدة الباردة الشديدة، والصرصر هي صفة للريح ذات الصوت والبرد العظيمين، وهذا الصوت هو إمّا من صرير الباب، أو من صوت البرد وهو الصرّ على حدّ تفسير أهل القرآن¹⁹³، حيث قال تعالى: " إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ " (القمر: 55:19)، وهي ريح يرسلها الله تعالى على قوم عاد،

¹⁹⁰- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (صرر).

¹⁹¹- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 106/2، الطبري، تفسيره، 135/7، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 33/3، الزمخشري، الكشاف، 613/1، السمين الحلبي، الدر المصون، 360/3.

¹⁹²- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 421/7، الطبري، تفسيره، 426/22-427، الزمخشري، الكشاف، 616/5، الرازي، مفاتيح الغيب، 85/26، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 360/27.

¹⁹³- أبو السعود، تفسير أبي السعود، 170/8، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 479/7، الطبري، تفسيره، 586/22، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 172/8.

فتقتلع رؤوسهم، وتجتذّبنيانهم، والصاد واحد من الحروف الصفيحية التي تفيد مدّ الصوت واستطالته.

إن العرب القدماء تحدّوا زمانهم الذي لم يسعفهم بأجهزة متطورة للقيام ببحوثهم الصوتية، و اعتمدوا على بصيرتهم وفطرتهم، ويُلحظ هذا الأمر جلياً بيّناً في متون التفاسير، "فقد قدموا مفصلاً صوتياً مركباً من مظاهر البحث الصوتي بمثل غاية في الدقة، ابتكرته عقولهم النيرة"¹⁹⁴.

وقد أجريفاضل صالح السامرائي مقارنة صوتية دلالية للصفة (صرصر) الواردة في الآية السابقة، وعقد مقارنة شقيقة بينها وبين نظيرتها في سورة الحاقة " وأما عادٍ فأهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ"(6:52)، حيث زاد الله تعالى في وصف الريح في سورة الحاقة بكلمة عاتية؛ ممّا منحها قوة أكبر على التدمير والاقتلاع، وهذه القوة البالغة لانجدها في كلمة صرصر الواردة في سورة القمر. وهنا يفيض السامرائي في تحليل عنصر الزمن الكامن في مدة تسخير الريح الصرصر على قوم عاد لمدة ثمانية أيام، وأثره في رسم حجم العذاب والهلاك والتدمير، وفي استطالة صوتها المركب من (صر+صر) إيحاءً كذلك بالوبال الذي تحمله هذه الريح¹⁹⁵. ويُلَمَس أيضاً في هذا الصوت المركب حركة اصطكاك الاسنان، وترديد اللسان، فوقع صوت الصاد صارخ، ناهيك عن أنّ الراء مضعفة، وتكرارها يشير إلى الشدة والجلبة الحاصلة من هذه الريح التي خلقت الرعب في قوم عاد؛ فلا صريخ لهم ولا هم بناجين منها.

• 33.2.3. المقطع الثنائي البسيط: صلّ

حكاية صوت المقطع : هو حكاية النقر على المادة الصلبة، ويصدر عن هذا النقر صوت حاد.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: الصلصال، والفعل منه صلصل.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: يقال: صلّ اللجام إذا توهّمت في صوته حكاية صوت صل، فإن توهمت ترجيعاً قلت: صلصل اللجام، وكذلك كلّ يابس يصلصل. الصلصلة: صوت الحديد إذا حُرّك، والصلصال من الطين ما لم يُجعل خزفاً، وكل ما جفّ من طين أو فخار فقد صلّ صليلاً، والصلصال الطين اليابس الذي يصلّ من ييبسه أي يصوّت¹⁹⁶.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

¹⁹⁴-الصغير، محمد حسين علي، الصوت اللغوي في القرآن، ص31.

¹⁹⁵- السامرائي، فاضل صالح، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص86.

¹⁹⁶- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (صلل).

من مواضع ورود كلمة (صلصال) في الذكر الحكيم في قوله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ" (الحجر: 26:99)، وأيضاً: " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ" (الرحمن: 14:78)، في الآيتين الكريمتين أفادت كلمة صلصال معنى الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة عند نقره¹⁹⁷. ومنه يقال عند احتكاك السيوف: صليل الصوارم، وهو صوت حديد السيوف عند ضرب بعضها بعضاً.

❖ حرف الضاد

• 34.2.3. المقطع الثنائي البسيط: ضَبْ

حكاية صوت المقطع: هو حكاية صوت الضرب، كما هو حكاية الصوت الصادر من جوف الفرس السريع.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: الضَبِحَ وفعلها ضَبِحَ ومصدرها: ضَبْحاً، ضرب ومصدرها: ضرباً.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: يضبح ضباحاً: صَوَّتَ، ضبحة الليل: صيحة، ضبحت الخيل في عدوها تضبح ضباحاً: أسمع من أفواها صوتاً ليس بصهيل ولا حممة، وهو كصوت أنفاسها إذا عدوّن.

ضرب الوتد: دقّه حتى رسَب في الأرض، و الضريبة: ما ضربته بالسيف، المضروب بالسيف¹⁹⁸.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

في سورة العاديات: "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا" (11:1)، فُصِّدَ بلفظة (ضبحا) صوت أنفاس الجواد عند اشتداد جريه، وهومختلف عن الحممة والصهيل، وكأن أنفاس عدوه السريع تضرب جوف صدره؛ فتتأجج ويسمع منها هذا الصوت، وهذا التفسير ذكره كل من ابن كثير والطبري والزمخشري. بينما علق بعض من المفسرين على هذه اللفظة بأنها متأتية من المقطع: أْ حْ أْ، مثلاً ما ورد عند الزمخشري والألوسي. بينما أبو حيان الأندلسي وصف الضبح بأنه تصويت جهير يحدث عند الجري الشديد، وهو ليس بصهيل ولا رغاء ولا نباح، في حين اقتصر الضبح عند الشنقيطي على

¹⁹⁷ -ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 492/7، الطبري، تفسيره، 25-24/23، الزمخشري، الكشاف، 8/6، أبو

حيان الأندلسي، البحر المحيط، 191/8.

¹⁹⁸ -ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (ضبح)، مادة (ضرب).

أنه صوت أجواف الخيول وهي تعدو سريعة¹⁹⁹. فالضبح يكون مع العدو الشديد السريع ليخرج هذا الصوت؛ لذلك لم يُؤْت بحال غير العاديات كالماشيات مثلاً عند وصف الخيل وهي تعدو.

في سورة الأنفال قال تعالى: " إِذْ يُوجِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّثُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ "(الأنفال:75:12)، أريد بفعل الضرب هنا: جزاً الأعناق، وضرب الأطراف و المفاصل بالسيف؛ لأجل شل حركة جيش المشركين²⁰⁰.

والقطع الشديد يسمى جذماً، وضرب الرؤوس هو قطعها بشدة²⁰¹، ولا يلزم فصلها عن الرأس بل يراد إلحاق عجز تام في جسد المضروب.

❖ حرف الطاء:

• 35.2.3. المقطع الثنائي البسيط: طَقْ

سيُدرج هذا المقطع مع المواد اللغوية المشتقة منه في موضع حرف القاف وتحديدًا مع المقطع الثنائي (قَبْ)؛ وذلك للسبب نفسه الذي أُرجئ لأجله ذكر المقطع (أز) إلى موضع متقدم من هذه الدراسة الصوتية الدلالية.

❖ حرف العين:

• 36.2.3. المقطع الثنائي البسيط: عَصْ

حكاية صوت المقطع: صوت فعل العصر، و إنزال الماء وما شاكلة من جوف جسم؛ وذلك بقوة الشد و العصّ.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: المُعصرات، وفعلها عَصَرَ.

¹⁹⁹-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 465/8، الطبري، تفسيره، 557/24-558، الزمخشري، الكشاف، 471/6، الألويسي، روح المعاني، 215/30، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 502/8، الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 61/7.

²⁰⁰-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 26/4، الطبري، تفسيره، 430/13، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 471/4.

²⁰¹العسكري، الفروق اللغوية، ص60.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: **المُعَصِر**: التي بلغت شبابها و أدركت، وقيل: أول ما أدركت و حاضت، وقيل: **المُعَصِر** ساعة تظمئ أي تحيض؛ لأنها تحبس في البيت. وقيل: سُميت المعصر لانعصار دم حيضها، ونزول ماء تريبته للجماع.

عصر العنب واعتصره: استخرج ما فيه، و المعصرات: السحاب فيها المطر، وقيل هي الرياح، **أعصر** الناس: أمطروا، الإعصار: الريح تثير السحاب²⁰².

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

قال تعالى : " وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا " (النبا:14:40)، كلمة المعصرات عند المفسرين حملت معان عدة منها: الريح التي تحرك السحاب إنذاراً بهطول المطر، وهي السحاب المثقلة بالمطر على وشك أن تُمطر، فالسحاب يُعَصَّر فيخرج منه الماء. وشُبهت بالمرأة **المُعَصِر** التي اقترب حيضها، ولم تحض بعد²⁰³.

• 37.2.3. المقطع الثنائي البسيط: عَضّ

حكاية صوت المقطع : حكاية صوت العض بالأسنان، و الشدّ بها على الجسم المعضوض، وفعله يتطلب القوة و الضغط.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: عَضّ، عضد، ومصدرهما عَضّاً وعضداً، عَضَل تعضلّ.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: **العضّ**: الشدّ بالأسنان على الشيء، عَضُّوا عليها بالنواجذ لشدة - معنى مجازي- الاستمساك بأمر الدين. **العَضُوض** من الآبار: الشاقّة على الساقى بالعمل، وفلان **عَضّ** يعضّ شفّتيه بسبب الغضب، وفلان **عِضاض** عيش: أي صبور على الشدة. **العَضْد**: الشدة؛ لأنّ الإنسان إنّما يقوى بعضده؛ فسُميت القوة به، و**العَضْد**: المعين على المثل بالعضد من الأعضاء.

²⁰²- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (عصر).

²⁰³-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 302/8، الطبري، تفسيره، 153/24-154، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 412/8، الزمخشري، الكشاف، 297/6.

أصل العَضْل المنع والشدة، يُقال: أعضل بي الأمر إذا ضاقت عليك فيه الحيل، والداء العَضال: المرض الذي يُعجز الأطباء؛ فلا دواء له²⁰⁴.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

هذه المواد المختلفة جاءت بمعانٍ متباينة في سياقاتها القرآنية، منها المجازي العقلي، ومنها الحقيقي الحسي. فمثلاً الفعل (يعضُّ) في قوله تعالى: " وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا" (الفرقان: 27:77)، والفعل عضواً في قوله تعالى: " هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَفُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَتَامِلَ مِنَ الْغِظِ قُلْ مُوتُوا بِغِظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" (آل عمران: 119:200)، كلاهما يحمل بُعداً حسيّاً حقيقياً، يتمثل في عملية العضّ على الأصابع، هذا البعد الحسيّ أفضى بدوره إلى بُعدٍ مجازي يدلّ على أنّ هذا الفعل إنّما سببه الندم والحسرة. ففي الآية الأولى فسّر ابن كثير والطبري والزمخشري فعل العضّ بأن الكافر الذي سلك الضلال في الدنيا يعضّ على يديه؛ لأنّه أدرك أنّ لا مفارزة له، حيث يرى مقعده في جهنم، فيأتي بهذا الفعل تعبيراً منه عن مشاعر الحسرة والأسف والندم على ما ضيّع من فرص الهداية في الحياة الدنيا²⁰⁵. أمّا الآية الثانية ففيها فعل العضّ مجازي ناجم عن غضب الكفار من ائتلاف صفّ المسلمين ووحدتهم كما ورد عند ابن كثير والألوسي²⁰⁶.

أما الكلمتان: (عضد، تعضلوهنّ) فقد وردتا بدلالة مجازية مجردة، وسياقهما القرآني هو قوله تعالى: "قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ" (القصص: 35:88)، وقوله عزّ وجلّ: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا" (النساء: 19:176)، وقد أُريد بالعضد في الآية الأولى المؤازرة والدعم، فسيدنا موسى -عليه السلام- طلب من ربّه أن يشدّ أزره بأخيه هارون صاحب اللسان الفصيح؛ وذلك للثغة في لسانه فجاءت كلمة (عضد) لتفيد فكرة تعزيز جانب موسى بأخيه، فالعضد قوام اليد وبشدتها تشتدّ عزيمة صاحبها²⁰⁷. وفي الآية الثانية حمل الفعل (تعضلوهنّ) مجازية محبوكة، تمثّلت في طلب الله تعالى من الزوج الرجل ألاّ يضغط على

²⁰⁴- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (عضض)، مادة (عضد)، مادة (عضل).

²⁰⁵- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 108/6، الطبري، تفسيره، 235/19، الزمخشري، الكشاف، 4/346.

²⁰⁶- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 108/2، الألوسي، روح المعاني، 4/39.

²⁰⁷- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم العظيم، 236/6، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 118/7، الرازي،

زوجه، أو يشدّ عليها الخناق؛ بقصد التنازل عن مهرها، فلا هو يطلقها، ولا هو يعاشرها بالمودة والرحمة التي أمر بهما في معاملته إياها، فالعضل هنا بمعنى الحبس والتضييق²⁰⁸.

فالمقطع (عَضْ) وما نتج عنه من مفردات تحمل دلالات حقيقية ومجازية، هو مثال على تنوع الإيحاءات بحكم السياق والمقام، فهو حكاية صوت العضّ والشدّ، الفعل منه (عَضْ)، صوته يحاكي إطباق الأسنان على شيء، بغية حصره والضغط عليه؛ لكي لا يفلت، وبالإضافة على هذا المقطع تنتج مفردات جديدة بمعان جديدة، فالفعل (عضل) مثلاً تكوّن بزيادة اللام على آخر المقطع الثنائي (عَضْ)، وهذا الفعل أدّى معنى مجازياً في سياق الآية التاسعة عشرة من سورة النساء، ودلّ على الشدّة والضغط، ممّا يُمارس على الزوجة من شريكها؛ بهدف إغلاق الحلول أمامها، وحصرها في دائرة الحلول الضيقة التي تناسب الرجل، والغاية وُضّحت في تفسير الآية. وهنا تجدر الإشارة إلى أن نطق حرف الضاد يحتاج إلى وضع مقدمة اللسان بين الثنايا، والضغط عليها بدرجة معينة من الشدة؛ لكي يصدر صوته، وإذا ما نُظِرَ إلى حرف العين يُرى أنّه حرف حلقي، يحتاج إلى جهد في التحكم بالنفس الصادر قبيل إخراجها من عميق مخرجها في الحنجرة، واجتماعهما سوية في مقطع صوتي واحد يجعل النطق بهما معاً عملية فيزيولوجية مركّبة، تتطلب قوة وشدّة وضغطاً بدرجة محددة و موزونة، فإذا ما قورن بين آلية نطق (عَضْ) و دلالاته الصوتية ودلالة مشتقاته الحسية والمجردة من جهة مقابلة، تتجلى حينها فكرة المحاكاة بشكل بيّن عفوي، الأمر الذي من شأنه أن يوضّح أبعادها النظرية والتطبيقية. " فالقرآن يعرض الأشياء في صورة مشاهد حية ومتحركة، لا يتوقف أمرها عند شيء واحد مخصوص لا تتجاوزه إلى صنوّه ونظيره، بل يجعل من صنوه ونظيره ومن هو على شاكلته مما هو في عصرنا الحاضر مجالاً وحلاً للتوصيف وللرصد والتشخيص، فإذا به يلحق بصاحبه ويأتي في ركبته²⁰⁹.

فالكلمة تتطور وتكتسب معاني مختلفة بما يطرأ عليها من زيادات، أو اشتقاقات، وتتأثر بموقعها في الجملة؛ فتؤدي أغراضاً دلالية واسعة، ولكن معرفة سبب نشوئها، وأصل جذرها الأم الذي صدرت عنه تبقى مسألة مهمة عكف البحث على تناولها.

• 38.2.3. المقطع الثنائي البسيط: عَقْ

حكاية صوت المقطع: الاستعصاء و الامتناع وهو أيضا حكاية صوتي الشق و القطع.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: عاقر، وفعلها عقر، عقيم وفعلها عقم.

²⁰⁸ -الطبري، تفسيره، 111/8، الرازي، مفاتيح الغيب، 45/2.

²⁰⁹ -الفيومي، علم الأصوات اللغوية (ظاهرة علم الأصوات في القرآن الكريم)، ص264.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: العَقَّ: في الأصل الشق و القطع. عقم: عقت المرأة إذا لم تحمل فهي عقيم، ورجل عقيم و عَقَام: لا يولد له، و العقم: القطع، والاعتقام: أن يحفر البئر، وهو أيضا المضي في الحفر.

عقره أي: جرحه، عقر البعير: إذا قطع إحدى قوائمه ثم نُحِر²¹⁰.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

المواد اللغوية السابقة التي سيؤتى على شرحها، وردت بدلالات مجازية تارة، وحقيقية تارة أخرى، ففي قوله تعالى: "فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" (الأعراف: 206:77)، جاء الفعل عقر بمعنى حسي حقيقي، أريد به عملية النحر بالسيف و الضرب به على عرقوب ناقة سيدنا صالح - عليه السلام - على يد قومه الذين خالفوا أمر الله بأن عقروها بسهم على عضلة ساقها، وبعدها ذبحوها بالسيف كما ورد في بعض من كتب التفسير²¹¹.

أما المفردتان (عافر، عقيم) فقد جاءتا بمعنى مجازي ذهني، وموضعهما في القرآن على الترتيب: "وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا" (مريم: 5:98)، " وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ" (الذاريات: 60:41). في الآية الأولى يتعجب زكريا - عليه السلام - من إمكانية أن تلد زوجته وهي عافر؛ أي لم يسبق لها أن تلد، فهي مقطوعة عن أمور اللقاح والخصوبة، كما أن زوجها لم يكن قادراً على الجماع ، فهو مقطوع بدوره عن الإنجاب²¹². وجمالية النظم القرآني هنا تكمن في تقديم الفعل الماضي الناقص (كانت) الذي أفاد الاستغراق في الزمن، فزوجة سيدنا زكريا أصيبت بالعقر وهي شابة، فالعقر أمر مستحکم فيها وليس بعارض أو جديد.

و في الآية الثانية نُسبت الصفة (العقيم) إلى موصوفها الريح، فالريح العقيم هي المفسدة التي لا خير فيها، فهي مقطوعة عن الأمطار، ولا قدرة لها على تلقيح الشجر أو تحريك السحاب²¹³.

❖ حرف الغين

²¹⁰ - ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (عقق)، مادة (عقم)، مادة (عقر).

²¹¹ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/441-442، الزمخشري، الكشاف، 12/479، الطبري، تفسيره، 12/443.

²¹² - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 5/214-215، الطبري، تفسيره، 18/150، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 6/175.

²¹³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 7/423، الطبري، تفسيره، 22/434-435، الرازي، مفاتيح الغيب، 26/191.

• 39.2.3. المقطع الثنائي البسيط: غُظ

حكاية صوت المقطع: صوت الغليان والتغيظ لماء أو نار وما شابه.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: يغيظ، تغيظ.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الغيظ: الغضب، التغيظ: الاغتيال. تغيّظت الهاجرة إذا اشتد حميها، وفيه قال تعالى "تكاد تميّز من الغيظ"؛ أي من شدة الحر. وشرح الزجاج كلمة التغيّظ في قوله تعالى: "سمعوا لها تغيّظا وزفيرا" بأنها غليان نار جهنم، وصوت غليانها²¹⁴.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

"إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا" (الفرقان: 77:12)، الدلالة الحسية لكلمة (تغيّظ) تكمن في وصف نار جهنم والصورة هنا حسية، تندمج فيها حاسة البصر والسمع فيما يخص شدة الصوت الصادر عن هذه النار؛ بسبب احتدامها غضباً وحنقاً على المشركين، وهي تنتظر أن تتلففهم، فإذا ما أُعْمِلَ البصر تهيأ للقارئ حال جهنم التي تغلي وتشتيط بأمر ربها²¹⁵. وهذا التفسير ينسحب على الآية التالية: "تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ" (الملك: 8:30)، فالنار صُوِّرت وكأنها مغتظة على أهلها وهي تغلي بشدة بهم؛ لغضب الله الله عليهم²¹⁶.

وفي سورة التوبة، وردت كلمة (غيظ) بدلالة قلبية مجردة، حملت معنى الغيظ والغلّ اللذين تكفل الله بإزالتهما من قلوب عباده المؤمنين بنصره إياهم كما زعم ابن كثير²¹⁷، حيث قال تعالى: "وَيُذِهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمُ وَيُؤْتِ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (129:15)، فالله يعلم أن قلوب عباده المؤمنين تكاد تختنق غيظاً، وتتأجج فيها مشاعر الغضب و الحقد، فمنّ عليهم بنصر عظيم أطفأ به ما في نفوسهم من تلك المشاعر.

²¹⁴- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (غيظ).

²¹⁵- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 96/6، الطبري، تفسيره، 244/19، أبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، 485/6.

²¹⁶- الطبري، تفسيره، 51/23، الزمخشري، الكشاف، 172/6.

²¹⁷- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 118/4.

وحكمة الله في محكم بيانه شاعت أن يُقرن وصف النار بالغيط لا الغضب؛ لأن "الغضب ضد الرضا، والغيط هيجان"²¹⁸، فالغيط يصلح أن يكون من الإنسان على نفسه، بينما لايجوز أن يغضب عليها بل لها.

• 40.2.3. المقطع الثنائي البسيط: غَصْ

حكاية صوت المقطع : هو حكاية صوت الغصّ و الغُصّة في طعام أو ماء أو كلام، كما أنه حكاية صوت الغائص في الماء.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: يغوص (غاص)، اسم الفاعل غَوَّاص، غُصّة.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الغُصّة: الشّجاء، غصصت باللقمة و الماء، غصِصت بالماء أغصّ غصصا إذا شُرِقت به أو وقف في الحلق فلا يُستساغ.

الغوص: النزول تحت الماء، و الغَوَّاص: الذي يغوص في البحر²¹⁹.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي عند ابن كثير:

فِيالْآيَتَيْنِ الْآتِيَتَيْنِ " وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ " (الأنبياء:82:112)، وقوله تعالى: "وَالشَّيَاطِينِ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ" (ص:37:88)، حملت كلمتا (يغوصون، غَوَّاص) المعنى نفسه، وهو نزول الجان تحت الماء؛ لاستخراج ما فيها من كنوز، حيث سخرهم الله لنبيه سليمان - عليه السلام - تأتمر بأمره²²⁰.

أما قوله تعالى في سورة المزمل: " وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا " (20:13)، فقد دلت كلمة (غُصّة) وفق تأويلات أهل التفسير على طعام الكافر في جهنم، و طعامه علقم يغصّ به، ويعلق في حلقة؛ فلا يستطيع بلعه أو إخراجه مما يزيد في عذابه²²¹.

في الآيات السابقة يُلاحظ حكاية صوت المقطع (غص)، فالإنسان عند أول غوصه في الماء يصدر منه حكاية هذا الصوت، ومن يغص بطعام أو ماء يُصدر هذا الصوت عفويًا؛ نتيجة انسداد مجرى التنفس وحبس الشهيق. وقد أوضح العسكري في فروقه الخيط الفاصل بين

²¹⁸-العسكري، الفروق اللغوية، ص148.

²¹⁹- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (غصص)، مادة (غوص).

²²⁰- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 73/3، الطبري، تفسيره، 483/18، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 334/6.

²²¹-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 256/8، الطبري، تفسيره، 691/23، الرازي، مفاتيح الغيب، 160/29.

المصدرين (الغصص، الشجى)، "فالشجى يكون بالعظم واللحمة وكل مأكول جامد، والغصص يشمل ما سبق ويضاف له السوائل"²²². وعليه لم ترد كلمة الشجى؛ لأنها تضيق الاحتمالات، وتحتصر طعام الكافر بكل ما هو جامد لتتجاوز الغسلين الذي هو سائل يسيل من جلود الكفار في النار ويسقون منه والعياذ بالله..

• 41.2.3. المقطع الثنائي البسيط: غَضْ

حكاية صوت المقطع: هو حكاية صوت انحسار الماء و انغماسه ونقصانه.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: غِيضَ (فعله المبني للمعلوم غاض)، غَضَّ.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: غاض الماء: نقص أو غار و ذهب، وفي الصحاح قل فنضب، المغيض: المكان الذي يفيض فيه الماء، و يقال: أعطاه غيضاً من فيض أي قليلاً من كثير.

غَضَّ طرفه: كَفَّه وخفضه وكسره، وفي التنزيل " اغضض من صوتك": أي اخفض الصوت²²³.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

جاءت المفردات المأخوذة من المقطع الثنائي السابق في مواضع كثيرة منها: " وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (هود:44:123)، إذ دلّ الفعل (غيض الماء) على حد شرح ابن كثير والطبري والأندلسي على نقصان الماء، وكأن الأرض ذهبت به ونشفت على كثرتة²²⁴. فبعد أن نجت سفينة نوح ومن عليها من الغرق، أمر الله تعالى السماء أن تتوقف عن الإمطار، فالأمر قضي بنجاة ركب نوح، وهلاك المشركين من قومه ممن رفضوا للحاق بسيدنا نوح.

فالفعل غيض لعب في سياقه دوراً بلاغياً رائعاً في تصوير قدرة الله على خلقه جميعاً، فالماء العظيم يختفي بأمر الله ويغيض، ولو قيل نقص لما أدّت هذه الكلمة المعنى المرجو، "فالنقص هو الأخذ من المقدار كائناً ما كان"²²⁵، بينما أمر الله عظيم يجري على مياه الأرض جلّها.

²²²-العسكري، الفروق اللغوية، ص13.

²²³- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (غضض)، مادة (غيض).

²²⁴- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 324/4، الطبري، تفسيره، 335/15، أبو حيان الأندلسي، البحر المحیط،

288/5.

²²⁵-العسكري، الفروق اللغوية، ص215.

إن دقة هذه المقاسات الصوتية من شأنها أن تمنح اللفظة المختارة دلالة عميقة، وتصويراً دقيقاً، بحيث يتعذر استبدالها بسواها ولو على السبيل الترادف الدلالي²²⁶. وما هذا إلا ضرب بليغ من ضروب بلاغة القرآن وإعجاز مواده في سياقاتها.

أما في سورة الحجرات: "إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ" (18:3)، ففيها اكتسب الفعل (يغضون) دلالة مجازية، فالله تعالى أمر المؤمنين بعدم رفع أصواتهم في حضرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - و حضهم على خفضها وإنقاص درجتها؛ لأن هذا من آداب الخطاب، والمخاطب هنا ليس كباقي البشر²²⁷.

• 42.2.3. المقطع الثنائي البسيط: غرق

حكاية صوت المقطع: هو حكاية صوت الغارق في الماء، كما هو حكاية صوت بلع الماء في البلعوم.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: الغرق و فعلها (غرق)، أغرق، مُغرق.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الغرق: الرسوب في الماء، و الغرق: دخول الماء في سُمِّي الأنف حتى تمتلئ منافذه فيهلك، والشرق في الفم حتى يُغصَّ به لكثرت²²⁸.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

كثير من الألفاظ الناتجة عن هذا المقطع بعمليتي الزيادة والاشتقاق ذكرت في القرآن الكريم على دلالة واحدة، يُحاكى فيها صوت الغرق الذي يخرج الإنسان وهو يرسب في الماء، وينازع كي يبقى حياً، إذ إنه يبلع كمية من الماء تدخل بلعومه؛ فتسد عليه مجرى التنفس، فيصدر الصوت (غرق). ومن ذلك قوله تعالى " وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (يونس: 90:109)، وقال فيها المفسرون إن أمر الله نزل على موج البحر أن يضرب بني إسرائيل، فأخذت الأمواج تقلبهم، وتتراكم فوقهم، وانتهى بهم الأمر أن ماتوا غرقاً²²⁹.

²²⁶- الصغير، محمد حسين علي، الصوت اللغوي في القرآن، ص 203.

²²⁷- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 368/7، الزمخشري، الكشاف، 562/5.

²²⁸- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (غرق).

²²⁹- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 292/4، الطبري، تفسيره، 190/15، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،

الكلمات الآتية التي هي مأخوذة من الفعل الثلاثي غرق- و أصله المقطع غَقْ- تقاطعت شروحاتها ودلالاتها مع ما جاء في تفسير كلمة (الغرق) في الآية السابقة، والكلمات هي: (أُغْرِقْنَا: الأعراف: 206:64)، و(أُغْرِقُوا:نوح:28:25)، (أُغْرِقْنَاهُمْ: الفرقان:77:37)، (أُغْرِقْنَا:الصافات:182:82)، (مُغْرَقُونَ: الدخان:59:24).

❖ حرف الفاء

• 43.2.3. المقطع الثنائي البسيط: فَجْ

حكاية صوت المقطع: الانفجار والتصدع والشق، و يُنسب هذا المقطع أيضاً إلى حكاية صوت استخراج الماء من عميق مكان.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: فَجَر، الفَجَّار (جمع فاجر)، فروج، فَجَّاج.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الفجر: تقجيرك الماء، انفجر الماء والدّم ونحوهما من السيال وتَفَجَّر: انبعث سائلاً. فجره فانفجر؛ أي: بجسه فانبجس، وفَجَّره: شَدَّ للكثرة، أفرج ينبوعاً من الماء أي: أخرجه. فجر الإنسان يفجر فجوراً: انبعث في المعاصي.

والفَجَّ: الطريق: الطريق الواسع بين جبلين، وقيل هو المَضْرَبُ البعيد²³⁰.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

قال الرحمن في سورة الإسراء: " أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا"(111:91)، قُصِدَ بالفعل (تَفَجَّر) انبعث الماء من باطنٍ محبوس فيه. وهو معنى مادي محسوس، يُسمع في صدى حروف فعله صوت انفجار الماء بقوة الضغط الذي يحبسها في باطن الأرض. وحسب شروحات المفسرين أن الكفار سألوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يجري لهم عيناً غزيرة ماؤها لا تنقطع؛ وذلك كبرهان على صدق رسالته، والله قادر على ذلك، ولكن طلبهم لو أجيب فلن يزيدهم إلا كفراً وعناداً، والتفجير عندهم مبالغة في التفجير، وهو شق واسع عريض يناسب الينبوع والنهر من حيث قوة خروج الماء وتدفعه²³¹. والتفجير الذي طلبه الكفار يلزمه السرعة في ظهور الماء وشقه سطح الأرض، بينما النبع يستغرق وقتاً أطول، والغاية التي نشدها أهل

²³⁰- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (فجر)، مادة (فجج).

²³¹-ابن عاشور، التحرير والتنوير، 207/16، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 120/5، الطبري، تفسيره، 550/17، الزمخشري، الكشاف، 552/3.

الباطل هي تضيق الخناق على صدق مزاعم سيد المرسلين، وإحراجه بطلب عاجل قد يعجز عن تلبيته في أنه؛ فعاجلوه بأمر معجز ونسوا أن هناك رباً قادراً على كل مستحيل.

وفي سورة الانفطار " وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ " (19:3)، قيل فيها أكثر من شرح، فابن كثير والأندلسي اجتماعاً على أن الله قادر على تفجير البحار بعضها في بعض فلا يُبقي شيئاً من مائها. بينما الأندلسي والألوسي قالوا إن الله بتفجيره البحار قادر على خلط مياهها المالحة بالعذبة، فتتجاوز البرزخ المرتفع الذي وضعه الله؛ فتزلزل الأرض وتصدعها، وقد تتفجر مياه البحر وهي راكدة فتتفرق وتتوزع²³². والعرب تقول فُجَّتْ رأسه إذا ضُربت فانشقت ونفر منها الدم نفوراً مباشراً. وهذا مشهد من مشاهد أهوال القيامة، فيه فضاءات تخيلية تجسد رسالات الله إلى عباده.

أما في سورة (ص): " أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ " (88:28)، فقد حملت كلمة الفجار عند جمهور المفسرين بعداً مجازياً، أريد به كل إنسان مفسد انشقق عن الدين، وانتَهك حرمت الله²³³.

وقد شرح العسكري في فروقه البعد المادي ونظيره المجرد لكلمة فجور، فالفجور عنده هو الانبعاث، والتمادي في المعاصي، والاستغراق في ارتكاب الآثام. وأصل الفجور من قولنا: أفجرت الأرض إذا عُمِلَ فيها خرقاً ظاهراً، فينبعث الماء منه بقوة. فجاء بالمشتق الانفجار على دالتين، الأولى حقيقية يُراد بها انبعاث الماء، والثانية مجازية (ذهنية مجردة) يُراد بها كثرة الذنوب وتدفقها²³⁴.

وكلمة (فروج) في قوله تعالى: " أَقْلَمَ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ " (ق:46:6)، دلّت على معنى الشقوق أو الفتوق أو الصدوع، فخلق السماء لا عيب فيه، حاشى الله أن يكون عظيم خلقه إلا تاماً²³⁵.

ومن يتمعن في لفظة (فجاج) الواردة في قوله تعالى: " لِيَسْأَلُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا " (نوح:20:28)، يجدها تدل على المسالك التي يشقها الإنسان بعمل يده وهي بمنزلة الأعلام؛ ليلتمس بها وجهته في الأرض، ويسعى في رحابها²³⁶.

²³² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 341/8، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 346/8، الرازي، مفاتيح الغيب، 70/30، الألوسي، روح المعاني، 64/30.

²³³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 63-64/7، الطبري، تفسيره، 190/21، الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 344/6.

²³⁴ العسكري، الفروق اللغوية، ص156.

²³⁵ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 396/7، الزمخشري، الكشاف، 592/5.

ولو استُبدلت لفظة (الفجاج) بلفظة (الطرق) لاختل نظم السياق، ولضعفت الصورة الفنية التي أراد الله تعالى نقلها في سياق هذه الآية. " فالطريق لا يكاد يُراد به الخير إلا مقترناً بوصف"²³⁷، بينما الفجاج يقترن وصفها بالمشقة، ومقابلة المخاطر، وتحمل المشقات.

❖ حرف القاف

• 44.2.3. المقطع الثنائي البسيط: قَبْ

حكاية صوت المقطع: النقب والحفر والنقب.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: النقب، وفعله (نقب)، الناقب، نقب.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: النقب: الثقب في الشيء، والبيطار ينقب في بطن الدابة بالمنقب في سرته حتى يسيل منه ماء أصفر، النقب: اسم لما نفذ وهو الخرق²³⁸.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

في قوله تعالى: " فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا " (الكهف: 97:110)، اكتسبت كلمة (نقباً) دلالة حسية، تمثلت في عجز يأجوج ومأجوج عن حفر السد الذي بناه ذو القرنين، أو حتى ثقبه من الأسفل؛ بسبب أثر النار في رفع حرارة الزبر فضلاً عن النفخ فيه كما ورد في تأويل أبي السعود وابن كثير والطبري وغيرهما²³⁹.

رسمت لفظة (النقب) بعداً بلاغياً مُعجباً في سياقها الواردة فيه، حيث ما كان المعنى ليظهر عجز يأجوج ومأجوج في خرق صنيع ذي القرنين لولا دلالتها. فالفتح مثلاً لا يناسب السياق؛ لأنه يدل على كشف ما هو كامن بين شيئين ملتئمين²⁴⁰، وهذا ينافي الحقيقة المادية لما بناه ذو القرنين من سدّ محكم بين الجبلين وعلى الارتفاع نفسه. كما أن حذف التاء من الفعل (اسطاعوا) أمر فيه من البيان ما يلزم الوقوف عنده لتأمله بالبصر والبصيرة، إذ إنّ هذا الحذف فيه

²³⁶-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 234/8، الطبري، تفسيره، 368/23-369.

²³⁷-العسكري، الفروق اللغوية، ص118.

²³⁸-ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (نقب)، مادة (نقب).

²³⁹-أبو السعود، تفسير أبي السعود، 247/5، ابن كثير، تفسير القرآن الكريم العظيم، 197/5-198، الطبري،

تفسيره، 117/18-118، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 160/6-161.

²⁴⁰-العسكري، الفروق اللغوية، ص150.

قطع، والقطع لاعم الدلالة العامة للنقب، الأمر الذي أفضى إلى تصوير عجز يأجوج ومأجوج العضلي والنفسي في نقب السدّ، و الالتفاف عليه وتجاوزه.

فالمقام الذي وردت فيه كلمة (النقب) يستعصي عما سواها من مرادفات كالنق مثلاً؛ لأن النق بدوره هو الجذب والزعزعة والافتلاع²⁴¹، فصلاية الخليط الذي استخدمه ذو القرنين في بناء سدّه السميك أعجز كل من حاول فتح فرجة فيه. والمقارنة عينها يمكن عطفها على لفظتي (الفرق، الفلق)، حيث الفرق في مفهوم الراغب الأصفهاني (ت.502هـ) يقتضي الفصل، والفلق يقال اعتباراً بالانشقاق، فهو يبدأ بالضرب ليعقبه الفلق؛ لأن الشق يكون أولاً ثم بعد ذلك يأتي الفصل بين شيئين²⁴². وهذا التوصيف لا يتحقق إلا بكلمة (نقبا)، فالقاف حرف يوحى بالكسر العظيم الشديد، والباء حرف انفجاري، وكلاهما يحملان صورة حسية سمعية تنقل لنا جلبة الحدث.

أما كلمة (فَنَقَبُوا) فحملت معنى مجازياً خرج الى الحقيقة، في قوله تعالى: " وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ " (ق:36:45)، الله عزّ شأنه محق أقواماً كثيرة قبل كفّار قريش، الذين ضربوا البلاد طولاً وعرضاً؛ تنقيباً (بحثاً وتفتيشاً) عن مهرب من عذاب الله ومن الموت، فلم يجدوا. فالتنقيب كما فسّره ابن كثير فيه ضرب في البلاد، وسعي في أرجائها؛ لأجل طلب الرزق. فقوم قريش كدوا في البلاد، وعمّروا فيها، وهدموا فيها، ولكن ذلك لم يؤمّن لهم فرصة النجاة من وعد الله تعالى لهم بالعذاب والموت. بينما النقب عند الزمخشري والطبري مرتبط بأخفاف الإبل التي تكثر الطوف مع راكبيها في أقاصي البلاد؛ للبحث عن ملاذ دون جدوى²⁴³.

وفي قوله تعالى: " النَّجْمُ الثَّاقِبُ " (الطارق:3:17)، سُخِّرَتِ النجوم بأمر ربّها كي تنقب كل شيطان يحاول أن يعرج إلى السماء. وقد جاءت في تفاسير أهل التأويل على معنيين اثنين، الأول: هو الثقب المادي المعروف، والثاني: ثقب هذا النجم المرتفع الظلام بضوئه²⁴⁴.

في سورة الطارق عامة، وفي كلمة (الطارق) على وجه التخصيص إعجاز علمي عظيم اكتُشف مؤخراً؛ لذلك ارتأينا أن يأتي البحث على دراسة المقطع الصوتي (طَقْ) في غير موضعه،

²⁴¹- السامرائي، فاضل صالح، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص111-112.

²⁴²- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: تمّ التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، طبعة الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، 2009م، 2/ص488-498.

²⁴³- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم العظيم، 480/7، الزمخشري، الكشف، 603/5، الطبري، تفسيره، 371/22.

²⁴⁴- الطبري، تفسيره، 352/24، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 454/8، الزمخشري، الكشف، 352/6.

مع أن هذا الفصل بُوِّيت مقاطعه الصوتية تبويباً ألفبائياً لا معجمياً؛ أي توالي سرد المواد الناتجة عن كل مقطع لا يُشترط فيها بالضرورة التبويب المعجمي.

بداية نلمح في المقطع (طَقْ) حكاية صوت الطرق أو الضرب، والمواد اللغوية المتولدة عنه هي: طرق يطرق طرقاً، ومنه اسم الفاعل (الطارق) والذي هو محور الإعجاز العلمي لهذه الدراسة. وقد وردت مادة (طَرَقَ) في لسان العرب بمعانٍ عدّة منها: الطرق: الضرب بالحصى، وأصل الطرق الضرب، ومنه سُمِّيت مطرقة الصائغ والحداد؛ لأنه يطرق بها أي يضرب بها. والطارق هو النجم الذي يقال له كوكب الصبح لأن طلوعه بالليل؛ وكل ما أتى ليلاً فهو طارق، وقد فسّره الفراء فقال: النجم الثاقب²⁴⁵.

ورد اسم الفاعل (الطارق) في الآية الأولى من سورة الطارق حيث قال تعالى: "وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ" (17:1)، وقال في تفسيرها الطبري: "السماء وما يطرق فيها... والطارق يطرق بالليل.... والطارق: النجم"، وأول أبو حيان الأندلسي هذه الآية بقوله: "الطارق: الآتي ليلاً.... وقيل لأنه يطرق الجني أي يصكّه، من طرقت الباب إذا ضربته ليفتح"، بينما نجد الزمخشري في كشفه يشاكل تفسير الأندلسي بقوله: "الطارق يأتي ليلاً فيطرق الأبواب وكأنه يطرق الجني"، والأصفهاني تناول هذا النجم الطارق بقوله: "وعُبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل"، في حين قال فيه السمين الحلبي: "الطارق أصله من الضرب، والطارق بالحصى الضارب به، ثم اتسع فقيل لكل جاء ليلاً: طارق"²⁴⁶.

النجم الذي ورد وصفه في هذه السورة يحمل ميزتين، فهو قادر على الطرق، كما هو قادر على خلق ثقب في السماء. وقد تحدث المهندس (عبد الدائم الكحيل) الباحث في الإعجاز العلمي في موقعه الخاص بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة على الشبكة العنكبوتية عن مقطع فيديو لهذا النجم النُقْط بالحاسوب عن طريق الأقمار الصناعية لصعوبة رؤيته؛ وذلك لبعده وارتفاعه الشاهقين، وقد رُصد بالأمواج الراديوية، فقام العلماء بتحويل هذه الأمواج الصوتية ومعالجتها فرأوا أن هذا النجم يصدر صوتاً يشبه صوت المطرقة؛ مما جعل وكالة "ناسا" تطلق تسمية المطارق الكونية العملاقة (GIGANTIK HAMMERS) على هذه المجموعة من النجوم التي تحدث صوت الطرق المتكرر (طق، طق)؛ نتيجة دورانها الدائم والسريع، وصوت الرء سبق أن جيء على ذكره في غير موضع، ووصف بأنه يفيد التكرار. وأثبتت وكالة ناسا أن هذا النجوم يصدر

²⁴⁵ - ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (طرق).

²⁴⁶ - الطبري، تفسيره، 349/24-350، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 454/8، الزمخشري، الكشف، 352/6، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 395/2، السمين الحلبي، الدر المصون، 751/10.

إشعاعات ثابتة تُعدّ الأكثر لمعاناً في السماء، ولهذا النجم موجات جذب قادرة هي على اختراق أي شيء والنفوذ منه. فقبل أربعة عشر قرناً القرآن أخبرنا عن هذا العجب العجيب في عظيم خلق الله، وإبداعه فيما خلق، فسبحان الله الذي أوجز في وصفه فأبلغ فقال عن هذا النجم بأنه طارق ثاقب، ليأتي الإنسان بعد قرون طوال ليثبت حقيقة هذين الوصفين، فيؤكد قوله تعالى في السورة نفسها: " إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (الآية:13)، ف كلام الله واقع حاصل، لاتجري عليه أحكام الزمان والمكان²⁴⁷. فلو توفر للعرب ما توفر للغرب من أدوات الرصد والبحث العلميين لما انفكوا يكتشفون الإعجازات الكونية في كلام الله وفي حديث نبيّه المصطفى عليه السلام.

• 45.2.3. المقطع الثنائي البسيط: قَدْ

حكاية صوت المقطع: صوت القطع والشقّ.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: الفعل (قَدْ)، قَدَدَ، القَدَحَ وفعلها (قَدَحَ).

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: القَدَدُ: القطع المستأصل والشقّ طولاً، وهو قطع الجلد وشقّ الثوب، والقَدَّة: القطعة من الشيء، وهي أيضاً الفرقة والطريقة من الناس.

القَدَح: قَدْحَكَ بالزَّند وبالقَدَاح لتوري، ويُقال للذي يُضْرَب فتخرج منه النار قَدَاحَة، والقادح: الصدع في العود²⁴⁸.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

الألفاظ المأخوذة من المقطع (قَدْ) في القرآن تراوحت دلالاتها بين الحقيقة (القطع والضرب والشق)، وبين المجاز (الانفصال والاختلاف)، فمثلاً في قوله تعالى: " وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (يوسف:25:111)، دَلْ فعل (قَدْ) في تفسير أهل التأويل على تمزيق قميص سيدنا يوسف-عليه السلام- وشقّه من الخلف من قِبَل امرأة العزيز، حيث رأوا في تمزيقه في وضع الاستباق إلى الباب دليلاً على براءة سيدنا يوسف -عليه السلام-²⁴⁹، فهروبه منها باتجاه الباب وسبقه إياها؛ جعلها تمّد يدها إلى ما يمكن أن تصل إليه من بدنه، فأمسكت بقميصه وهو يهيمّ مسرعاً بالخروج فقطعته

²⁴⁷-الكحيل، م.عبد الدائم، موقع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابط الموقع على الشبكة العنكبوتية: <http://www.kaheel7.com/ar>، 05.12.2016.

²⁴⁸- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (قَدَدَ)، (قَدَحَ).

²⁴⁹- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 13/255-256، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/383، الطبري، تفسيره، 16/51، الرازي، مفاتيح الغيب، 12/98، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 2/510.

طولاً، وهذا القطع الخلفي الطولاني للقميص كان شاهداً دامغاً على براءة سيدنا يوسف من افتراءات امرأة العزيز في إفاداتها أمام عزيز مصر.

في قصة سيدنا يوسف نلمح البلاغة والدقة في اختيار المفردات بما يتناسب مع الحال التي قامت عليها أحداث القصة، فلفظة (قَدَّتْ) بصوت مقطوعها (قَدُّ) تشكل فرقاً من فروقات فعل القطع الصوتية والدلالية، فحدث (القَدُّ) لا يكون إلا طولاً، بينما (الْقَطُّ) يكون عرضاً، و(الشَقُّ) يكون على أمر كبير، و(الفتق) يكون بين شيئين ملتئمين مما لا نجده في قميص يوسف المقدود²⁵⁰.

ولفظة (قَدَّدَا) الواردة في قوله تعالى: " وَأَنَا مِّنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا " (الجن: 28:11)، جاءت ببعيد مجازي، لكنّه مأخوذ من البُعد الحقيقي للكلمة وهو القطع والشق، والذي هو بدوره مأخوذ عن حكاية صوت المقطع (قَدُّ)، وحسب تفسير الزمخشري " القَدَّة من قَدَّ، كالقطعة من قطع، ووصفت الطرائق بالقَدَد لدالاتها على معنى التقطع والتفرق ". فالشياطين كانت على طرائق متعددة وآراء شتى، منهم من نهج مذهب الصلاح، وبعضهم نهج مذهب الطلاح، وهذا ما أورده كل من ابن كثير والطبري والراغب الأصفهاني في تفاسيرهم²⁵¹. فالمجازية تحققت في انشقاق جماعة الشياطين الى فئات متباينة، وتقطع انتمائهم ما بين مسلم وكافر.

وفي سورة العاديات يقول الله تبارك مقامه وعلا: " فَالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا " (11:2)، والصورة هنا حسية بحتة، تتقاطع فيها حاستا السمع والبصر، لتقضي الى مشهد سرعة الخيل وهي تعدو في جريها، فشدة وقع حوافرها على صخور الأرض، وضربها حجارتها يصدر عنه صوت عظيم، سرعان ما تخرج نار قاذحة جزاء هذا الاحتكاك، فإذا كان جريها ليلاً توضحت الصورة البصرية بشكل أوضح. وقال في شرحها ابن كثير: "صكاك نعال الخيل للصخر فتقذح منه النار"، والتفسير نفسه نجده عند جمهور المفسرين أغلبهم²⁵².

• 46.2.3. المقطع الثنائي البسيط: قَطُّ

حكاية صوت المقطع: القطع والفصل.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: قَطَّعَ تُقَطِّعُ، قِطْعاً، قُطُوف وفعلها قَطَفَ، قاطعة وفعله قَطَعَ.

²⁵⁰ - العسكري، الفروق اللغوية، ص 150-151-152-166.

²⁵¹ - الزمخشري، الكشاف، 6/228، و ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6/242، الطبري، تفسيره، 23/659-

660، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 2/510.

²⁵² - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8/465، و الطبري، تفسيره، 24/506-507، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 8/503، الرازي، مفاتيح الغيب، 30/62، الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 9/61.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: القطع: إبانة بعض أجزاء الجسم من بعض، تقطّعوا أمرهم بينهم؛ أي تفرّقوا في أمرهم، وقال تعالى "قطّعناهم في الأرض أمماً"؛ أي مزقناهم مزقاً، وقال تعالى: "قطع دابر القوم الذين ظلموا"، قال ثعلب: معناه استئصلوا من آخرهم. و قطع الشيء يعني قطعه وفصله عن موضعه²⁵³.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

وردت مشتقات المقطع (قَطَّ) في مواضع كثيرة، منها ما أفاد دلالة حقيقية حسية، ومنها ما أدى غرضاً مجازياً، فمثلاً في قوله تعالى: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (المائدة: 33: 120)، جاءت الفعل (تُقَطَّع) ليوحي بالمعنى الحقيقي للقطع، وللقارئ أن يتخيّل حجم أصوات قطع الأيدي الذي يخالف قطع الأرجل كما ورد في بعض من كتب التفسير²⁵⁴، حيث أريد بفعل القطع استئصال أوصال أعداء الله والإسلام في المعركة.

أمّا الفعل (تَقَطَّعُوا)، فقد لعب دوراً واضحاً في نقل صورة ذهنية مجازية في سياقه القرآني الآتي: "وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ" (الأنبياء: 93: 112)، قال ابن كثير فيها: "اختلفت الأمم على رُسُلها، فمن بينهم مصدق لهم ومكذّب"، وقال فيها كل من الزمخشري والأندلسي: "وجعلوا أمر دينهم بينهم قطعاً"²⁵⁵.

فالقطيعة هنا معنوية مجردة، مجازيتها توحى بانشقاق الرأي، وانقطاع القوم عن الاتفاق، والمقصود هنا: طوائف اليهود والناس الذين اختلفوا على رسلهم؛ فانقسموا إلى جماعات وطوائف.

ومن عظيم كرم الله تعالى ومنّه على المؤمنين في الجنة أن جعل لهم قطوف الأشجار دانية بإتقال أغصانها؛ فتميل نحو الأسفل، فيسهل قطعها وقطفها²⁵⁶، وفي ذلك قال الرحمن: "قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ" (الحاقة: 23: 52)، فالقائم، والقاعد، والمتكى، والمضجع يصل الى جني هذه النعم دون أدنى جهد. وقد تقدّم في مقام سابق شرح للفروق الصوتية والدلالية الموجودة في معاني القطع، والفلق، والشقّ، والفصل.

²⁵³- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (قطع).

²⁵⁴- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 99/3، الطبري، تفسيره، 268/10-269، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 470/3.

²⁵⁵- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 372/5 الزمخشري، الكشاف، 165/4، الرازي، مفاتيح الغيب، 190/22.

²⁵⁶- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 214/8.

• 47.2.3. المقطع الثنائي البسيط: قَصْ

حكاية صوت المقطع: القَصّ والكسر والقطع والفصل.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: قاصِف وفعله قَصَفَ، القَصم وفعله قَصَمَ.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: القصف: الكسر، قصف الشيء: كسره، وريح قاصفة، شديدة تكسر ما مرّت به من الشجر وغيره. والقصم: دقّ الشيء، وهو كسر الشيء الشديد حتى يبين، وقصمه: كسره²⁵⁷.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

قال تعالى في سورة الإسراء: " أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا " (111:69)، شرح ابن كثير لفظة القاصف بأنها " ريح البحار التي تكسر المراكب وتغرقها "، وعلّق عليها الطبري بقوله: " هي الريح التي تقصف ما مرّت به فتحطمه وتدقّه...وهي التي تغرق "، فيما تناول الزمخشري صوت هذه الريح بقوله: " هي التي لها قصيف، وهو الصوت الشديد كأنها تتقصّف أي: تتكسر "258.

فالرياح تجري بأمر ربّها، وهي لطيفة على المؤمنين، ولكنها شديدة على الكفّار إذا سلّطت عليهم؛ لأنهم خضعوا لله وهم وفي البحر، ثمّ ما لبثوا أن أنكروه بعد خروجهم للبرّ، ولو شاء الجبار لقطع صواري سفنهم وحطّمها وهم في البحر، فلن يجدوا حينئذٍ منقذاً. وأوّل ما يُكسر من المركب هو ساريته، والسارية خشب شديد صلب، يُسمّع له صوت كسرٍ متأتّ من الشدّة الكامنة في حرف القاف، إضافة إلى الصفير الموجود في حرف الصاد الذي هو حرف صفيريّ صائت، والصوت الناتج يحاكي صوت المقطع (قَصْ).

²⁵⁷ ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (قصف)، (قصم).

²⁵⁸ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 97/5، الطبري، تفسيره، 500/17، الزمخشري، الكشاف، 533/3-534.

أَمَّا الْفَعْلُ (قَصَمَ) فَقَدْ جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ" (الأنبياء: 11:112)، وَعَلَّقَ عَلَيْهَا الرَّازِي بِقَوْلِهِ: "أَهْلَكْنَا... أَيَّ بِالسَّيْفِ أَهْلَكُوا"، وَتَنَاولَهَا الْبِيضَاوِيُّ بِقَوْلِهِ: "الْقَصَمُ كَسْرٌ عَظِيمٌ يَبِينُ تَلَاوُمَ الْأَجْزَاءِ بِخِلَافِ الْفَصَمِ"²⁵⁹.

يُمْكِنُ لِدَلَالَةِ (قَصَمَ) أَنْ تَأْتِيَ عَلَى وَجْهَيْنِ، حَقِيقِيٍّ يَتِمُّلُّ فِي إِهْلَاكِ اللَّهِ ذِي الْقُوَّةِ قَرَى الْكَفْرِ بِتَحْطِيمِهَا عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهَا، بِرِيَّاحٍ عَاتِيَةٍ، وَحِجَارَةٍ مَسْلُطَةٍ، تَقْطَعُ بِنَاءَهُمْ، وَتَكْسِرُ عِمَارَهُمْ، وَمَجَازِيٍّ يَتَحَقَّقُ فِي عَذَابِ الْفَقْرِ وَالذَّلِّ، وَقَصَمَ ظَهَرَ الْكَفَّارِ بِالتَّعَبِ وَالْهَمِّ وَالْجَزَعِ وَالْخَوْفِ.

فِي فُرُوقِ الْعَسْكَرِيِّ وَرَدَ أَنَّ "الْقَصَمَ هُوَ الْكَسْرُ مَعَ الْإِبَانَةِ، وَالْفَصَمُ هُوَ الْكَسْرُ مِنْ غَيْرِ إِبَانَةٍ"²⁶⁰؛ لِذَلِكَ ذَكَرَ اللَّهُ (قَصَمَ) دُونَ (فَصَمَ) لِأَنَّ الشَّيْءَ إِذَا انْفَصَمَ يَنْصَدِعُ وَلَكِنْ لَا يَنْكَسِرُ. فَالْقَصَمُ يَخْتَلِفُ عَنِ الْفَصَمِ فِي الْبَيْنُونَةِ الْحَاصِلَةِ مَعَهُ، وَمَوَاضِعِ اسْتِعْمَالِهِ تَكُونُ فِي دَقِّ الشَّيْءِ وَتَحْطِيمِهِ، وَهَذَا مَا لَانْجَدَهُ فِي فَعْلِ الْفَصَمِ، فَالْقَصَمُ أَبْلَغُ وَأَقْوَى وَيَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْفَصَمِ، وَبَيْنُونَتُهُ تَقْضِي إِلَى إِظْهَارِ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، كَمَا تَكْشِفُ بَوْضُوحَ نَتَائِجِ غَضَبِ اللَّهِ إِذَا مَاسَّ لَطِ عَلَى الْخَلْقِ، وَقَدْ نَاسَبَ هَذَا الْفَعْلُ الْأَحْدَاثَ الْوَارِدَةَ فِي سِيَاقِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

• 48.2.3. المقطع الثنائي البسيط: قَضَ

حِكَايَةُ صَوْتِ الْمَقْطَعِ: الْقَضَمُ وَالصَّدْعُ وَالْكَسْرُ، كَمَا هُوَ حِكَايَةُ صَوْتِ التَّحْطِيمِ وَسُقُوطِ الشَّيْءِ مِنْ أَعْلَى.

الْمَوَادُّ اللَّغَوِيَّةُ الْمَتَوَلِّدَةُ عَنِ الْمَقْطَعِ: نَقَضَ، الْقَاضِيَةُ وَفَعْلُهُ قَضَى، قَضَ، أَنْقَضَ.

مَعَانِي هَذِهِ الْمَوَادِّ فِي مَعْجَمِ لِسَانِ الْعَرَبِ: انْقَضَ الْجِدَارُ: تَصَدَّعَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْقُطَ، وَقِيلَ: انْقَضَ بِمَعْنَى سَقَطَ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ "فَوَجَدُوا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ"، يَنْقُضُ: يَنْكَسِرُ، قَضَيْتُ الشَّيْءَ إِذَا دَقَّقْتُهُ. تَقِيضَتِ الْبَيْضَةُ تَقِيضًا إِذَا انْكَسَرَتْ فَصَارَتْ خَلْقًا، وَقِيلَ: قُيِضَتِ هَذِهِ السَّمَاءُ عَنْ أَهْلِهَا أَيِ شَقَّتْ، وَقَاضَ الْبُئْرُ: جَابَهَا (نَقَبَهَا)، انْقَاضَ: تَهَدَّمَتْ وَانْهَالَتْ، وَالنَّقْضُ: اسْمُ الْبِنَاءِ الْمَنْقُوضِ إِذَا هُدِمَ، تَنْقُضَتِ الْغُرْفَةُ أَيِ تَشَقَّقَتْ وَجَاءَ صَوْتُهَا، وَالْإِنْقَاضُ صَوِيْتُ مِثْلِ النِّقْرِ²⁶¹.

مَوَاضِعُ وَرُودِ الْمَادَّةِ اللَّغَوِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَعَ تَفْسِيرِهَا الْقُرْآنِيِّ السِّيَاقِيِّ:

²⁵⁹-الرازِي، مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ، 416/18-417، الْبِيضَاوِيُّ، تَفْسِيرُ الْبِيضَاوِيِّ، 48/4.

²⁶⁰-الْعَسْكَرِيُّ، الْفُرُوقُ اللَّغَوِيَّةُ، ص 167.

²⁶¹-ابن مَنْظُور، لِسَانُ الْعَرَبِ، وَمَوْقِعُ الْبَاحِثِ الْعَرَبِيِّ، مَادَّةُ (قَضَضَ)، مَادَّةُ (قِيضَ)، مَادَّةُ (نَقَضَ).

جاء في محكم تنزيله عزّ شأنه في سورة النحل " وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (91) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ " (128:92)، بتتبع دلالة الفعلين (تنقضوا، نقضت) يُلْحَظُ أَنَّ الأول جاء مجازياً، يفيد هدم الوعود والمواثيق المؤكدة، فالدلالة عقلية مجردة، توحى بقطع الوعد، ونقض الحلفان بعد إبراء ذمة أدائه. بينما الفعل الثاني جاء بمعنى حسي حقيقي، حيث شُبِّهَ من ينقض أيمانه بامرأة كانت بمكة، عُرِفَتْ بأنها كانت تنقض ما تقوم به من غزل بيديها؛ فيذهب عملها هباء، والأولى أن تبقي عليه²⁶².

جمالية المقارنة بين دلالتى الفعلين الحقيقية والمجازية تمثلت باحتواء التشبيه التمثيلي لهما، حيث شُبِّهَتْ صورة ذهنية مجردة بصورة حسية ملموسة؛ لتوضيح المعنى، وتقريب الفكرة إلى الأذهان.

وفي سورة الانشراح " الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ " (8:3)، نلاحظ مجازية الفعل أنقض جاءت معبرة عن رحمة الله تعالى بنبيه المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فالهم أثقل ظهره فكاد يتصدّع من ثقل ما حمله من همّ الدعوة، ولكن رحمة الله شاعت ألا تحمله ما لاطاقة له به. وصوت التصدع هنا صورة حسية تُدرك من الدلالة المجردة للفعل أنقض، وكأنّ بثقل أمور الأمة - التي أُرْسِلَ إليها - تصدر صوت تصدّع الظهر وتحطم عظامه، ولا غرابة أن يقول ابن كثير في تفسيره: " الإنقاض: الصوت"، وقد نحا نحوه أبو حيان الأندلسي في تفسيره الآتي " قال أهل اللغة: أنقض الحمل ظهر الناقة، إذا سمعت له صريراً من شدة الحمل، أو سمعت نقيض المِرْجَل أي صريره"²⁶³.

وغالباً ما يفتقر الفعل (أنقض) بالوزر؛ لأنه يضيق على صاحبه، ويتثقل ظهره على المستويين الحقيقي والمجازي²⁶⁴، فيُسمع له صرير تحرك فقرات ظهره المثقلة بالأحمال.

• 49.2.3. المقطع الثنائي البسيط: قَرَّ

حكاية صوت المقطع: حكاية صوت النقر والضرب والتصويت.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: الفعل نَقَرَ، واسم الآلة منه الناقور.

²⁶²-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 598/4-599، الطبري، تفسيره، 283/17-284، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 529/5، الزمخشري، الكشاف، 468/3.

²⁶³-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 429/8، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 488/8.

²⁶⁴-العسكري، الفروق اللغوية، ص 223.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: النقر: ضرب الرحي والحجر وغيره بالمنقار، والمنقار: حديدة كالفأس يُنْقَرُ بها. النُقْرة: حفرة في الأرض، والنقْر: الكتاب في الأرض، كما هو صُوِّيت يُسمع من قرع الإبهام على الوسطى، والناقور: الصور الذي ينقر فيه الملك²⁶⁵.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

قال تعالى: "فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ" (المدثر: 8: 56)، قال ابن كثير: "النقور: الصور"، ومثله قال الطبري، وفيه قال البيضاوي: "النقر هو التصويت وأصله القرع الذي هو سبب الصوت". وشرح أبو السعود هذه المادة الصوتية بقوله: "هو نفخ في الصور، وهو فاعل من النقر بمعنى التصويت، وأصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية". بينما فصل صوت النقر الراغب الأصفهاني بقوله: "نقرت الرجل إذا صوت له بلسانك؛ وذلك أن تلصق لسانك بنقرة حنكك"²⁶⁶.

فمن أهوال قيام الساعة تلك النفخة الأولى التي تؤذن ببداية يوم الحساب، ولها أثر كبير ومخيف في نفوس أحياء البشر، وكذلك الأموات ممن يقومون من الأجداث.

❖ حرف الكاف

• 50.2.3. المقطع الثنائي البسيط: كَبْ

حكاية صوت المقطع: القلب والسقوط والكَبْ.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: مَكَبَّ وفعله كَبَّ، كَبَّكَ.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: كَبَّ الشيء يَكْبَهُ: قلبه، كَبَّهُ لوجهه فانكَبَّ أي صرعه، والفارس يَكْبُ الوحش إذا خطفها وألقاها على وجهها، أَكَبَّ الرجل إذا ما نكسَ، رجل مكَبَّ: كثير النظر إلى الأرض، والكبكة: الرمي في الهوة، وكبكب الشيء: قلب بعضه على بعض²⁶⁷.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

قال تعالى في الذكر الكريم: "فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ" (الشعراء: 94: 227)، تكرار حرف الكاف في هذا الفعل الرباعي المضاعف يوحي بتكرار الفعل، وأصل (كُبْكِبُوا) هو (كُبيبوا)، ولكن

²⁶⁵ ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (نقر).

²⁶⁶ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 264/8، الطبري، تفسيره، 494/24، البيضاوي، تفسيره، 261/5، أبو

السعود، تفسير أبي السعود، 55/9، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 652/2.

²⁶⁷ ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (كبب).

الكاف كُزِّرت مرتين لتكرير حدث الكبّ بما يحمله من معاني الإذلال ودلالات العذاب. وهذا التكرار موجود في وصف الريح بلفظة (صَرَصَر) والمقصود بها (صَرَ)، وقد شُرِحت في موضع سابق. هذه الرؤية التأويلية اجتمع عليها المفسرون أكثرهم كابن كثير والطبري والبيضاوي والزمخشري والراغب الأصفهاني، فالمجرمون يُلقَوْنَ جماعاتٍ بعضهم على بعض في جهنم، ويُقَدِّفون فيها على وجوههم منكَسِّين؛ جزاء بما عملوا من قبائح الأمور في الدنيا. بينما نجد السمين الحلبي وابن عاشور قد زادا على شرح سابقهم فكرة نسب الفعل ككبب إلى أصنام الكفار، إذ تُلقَى مع عابديها في جهنم، وتكرار المقطع كب يوحي بتكرار المعنى²⁶⁸.

وفي سورة الملوك قال تعالى: " أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " (30:22)، نُسِبَت الحال (مكِبًّا) إلى الكافر، فهو يمشي ناظرًا إلى الأرض، يكاد ينكس ويقع على وجهه من الضلال والنتيه، ويقَارَن بمن يمشي سَوِيًّا واثقًا راکزًا على الصراط المستقيم برحمة الله، وفي الجهة المقابلة يُحشَر الكافر مع زمرة، يهيمُ ماشياً على وجهه يتخبَّط وبالكد يقف، ويسير منتهكراً في طريقه إلى جهنم، وهمزة المعادلة في أول الآية أفادت في تقريب الصورتين²⁶⁹. والصورة هنا مركبة تعتمد على إشراك الحس البصري والعقل، وإعمال الخيال فيها، وكأننا نسمع أصداء المقطع (كَبْ) حين تتهاوى هامات الكفار على وجوهها.

ولتقريب صوت المقطع (كَبْ) ومحاكاة حدثه للقارئ تُستحضر صورة كأس زجاجي فارغ، ويُقلب وجهه المفتوح على سطح صلب مستوٍ؛ فيُسمع منه الصوت السابق، وهنا الصورة بصرية سمعية، من شأنها أن تقرب للأذهان فضاءات المعنى الذي يمكن أن تؤديه مشتقات هذا المقطع في السياقات التي ترد فيها.

الله عزَّ شأنه اختار هذه المادة اللغوية لهذا المقام، ولم يقل مثلاً: فطُرحوا، فنبذوا؛ لأن النبذ هو إلقاء الشيء مع نية التخلّي عنه، والطرح كذلك، وفق ما ورد في فروق العسكري²⁷⁰. بينما نجد في الفعل (ككبب) دلالة صوتية تعكس أصواتاً جماعية لارتطام وجوه الكفار بالأرض بشكل متكرر مرة بعد مرة حتى يستقر الواحد منهم في قعر جهنم.

²⁶⁸-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 150/6، الطبري، تفسيره، 368/19، البيضاوي، تفسير البيضاوي، 142/4، الزمخشري، الكشاف، 400/4، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 543/2، السمين الحلبي، الدر المصون، 535/8، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 151/20.

²⁶⁹-أبو السعود، تفسير أبي السعود، 10/9-11، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 181/8، الطبري، تفسيره، 516-517/23، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 303/8.

²⁷⁰-العسكري، الفروق اللغوية، ص 206-207.

حلّ محمد حسين الصغير هذا المشهد المخيف بشكل منطقي ومتوازن، اعتمد في تحليله على الدلالة الصوتية لتكرار المقطع (كب) فقال: "الوجه أشرف مواضع الجسد وهو يهوي بشدة، فكيف بباقي البدن؛ لذلك استعملت (كب) وليس (سقط)، وهذه الصيغة قد حملت اللفظ في تكرار صوتها زيادة معنى التدهور"²⁷¹.

• 51.2.3. المقطع الثنائي البسيط: كَدَّ

حكاية صوت المقطع : التكسّر والقطع والخدش.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: الفعل كدَح، اسم الفاعل كادِح، والمصدر هو كدَحاً، كَدَّ ومصدره: الكدّ.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الكدح: العمل والسعي والكسب والخدش، والكدح عمل الإنسان لنفسه من خير أو شرّ، كدح كدحاً: اكتسابه بمشقة لأهله، والقَدح: قشر الجلد يكون بالحجر والحافر، والتكديح: التخديش، وقع من السطح فتكَدَح؛ أي فتكسّر.

و الكدّ: الشدة في العمل، وطلب الرزق، والإلحاح في محاولة الشيء، والكديد: ما غلظ من الأرض، وهو أيضاً صوت الملح الجريش إذا صُبَّ بعضه على بعض، والكِدّة: الأرض الغليظة؛ لأنها تكدّ الماشي فيها. وكدّد الرجل: إذا ألقى الكديد بعضه على بعض وهو الجريش من الملح، والكُدّد: المجاهدون في سبيل الله²⁷².

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

في سورة الانشقاق ورد اسم الفاعل والمصدر من الفعل كدح "يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ" (25:6)، وهاتان اللفظتان عُبرَ بهما عن مجموع أعمال الإنسان في حياته، وبها سوف يلاقى ربّه²⁷³. فالكدح هنا ارتبط بصورة حسية ذهنية معاً، فالإنسان يكدح وبشقى في حياته ظناً منه أنه يسعى ويكسب، وكأن به يقطع في صروف الحياة، وأبواب الرزق ولكنه قد يقدح فيما لا يرضي الله، فأراد الله أن يربط الكدح والمشقة بمرضاته.

²⁷¹-الصغير، محمد حسين علي، الصوت اللغوي في القرآن، ص 167-168.

²⁷²- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (كدد)، مادة (قدح)، مادة (كدح).

²⁷³-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8/355، الطبري، تفسيره، 24/313، الزمخشري، الكشاف، 6/342.

تحدث العسكري عن هذه الآية بكلمات قليلة أوجز فيها المقصد الإلهي من استعمال الفعل (كدح) دون غيره فقال: "الكدح: الكسب المؤثر في الخلال كتأثير الكدح الذي هو الخدش في الجلد"²⁷⁴. فالفعل (كدح) أدى دلالات مستوحاة من أصوات القطع والخدش والتي انعطفت إلى دلالات مجردة تمثلت بشدة اجتهاد الإنسان في حياته، وسعي خلف الأرزاق، وهذا ما لاتؤديه كلمات أخرى من مثل: يعمل، يسعى.

• 52.2.3. المقطع الثنائي البسيط: كَس

حكاية صوت المقطع : القطع والكسر والفصل والفرق.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: كَسَفَ وفعّلها كَسَفَ.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: التكسيف: التقطيع، كسف الشيء: قطعه، الكِسَفَ والكِسْفَةُ والكسيفة: القطعة ممّا قُطِعَتْ²⁷⁵.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

ذُكِرَتْ كلمة (كِسَفًا) في آيات كثيرة، أفادت فيها معنى واحداً هو: القِطْع الناتجة عن كسر أو قطع أو فصل، منها قوله تعالى: "أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِلَهُ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا" (الإسراء:92:111)، حيث أريد بها "قطع السماء المتساقطة" في تفسير ابن كثير والطبري، بينما هي عند البيضاوي ككلمة "قطع لفظاً ومعنى"، وفسرها الرازي بقوله: "أكسفه كسفاً إذا قطعه قطعاً"²⁷⁶.

والخلاصة من شروحات المفسرين تؤول إلى أن (كسفاً) هي القِطْع التي تهوي من عليائها بعد أن تنقَطِر السماء وتتشفّق، فتغدو قريبة من الأرض. وقد أراد الكافرون هذا الأمر كدليل على صدق الرُّسُل، فقد كانوا يُعْجِزُونَ كل نبيّ بأن يأتي بمعجزة يثبت فيها صدق قوله ورسالته. والمعنى المُفسَّر سابقاً يمكن تتبّعه في الآيات الآتية: (الشعراء:187:227، الروم:48:60، سبأ:9:54، الطور:44:49)، إذ أدّت كلمة (كسفاً) الدلالة المُبيّنة أعلاه في سياق هذه الآيات الكريمة والله أعلم.

❖ حرف اللام

²⁷⁴—العسكري، الفروق اللغوية، ص174.

²⁷⁵— ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (كسف).

²⁷⁶— ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 118/5، الطبري، تفسيره، 551/17، البيضاوي، تفسيره، 267/3، الرازي، مفاتيح الغيب، 48/15.

• 53.2.3. المقطع الثنائي البسيط: لَغْ

حكاية صوت المقطع: صوت خليط الكلام الذي لا يُفهم منه شيء.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: اللغو و فعله (لغا).

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: اللغو و اللغا: السقط و ما لا يُعتدّ به من كلام وغيره، و لا يُحصل منه على فائدة ولا على نفع، و في التنزيل: "لا تُسمع فيها لاغية"؛ هو على النسب أي كلمات ذات لغو، وقيل: أي كلمة قبيحة وفاحشة. وفي التنزيل: "و إذا مرّوا باللغو؛ أي الباطل²⁷⁷."

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

كلمة اللغوجاءت في آيات عدة منها: "وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا" (الفرقان: 72:77)، فسّر كل من أبي السعود والطبري وأبي حيان الأندلسي مفردة (اللغو) في هذه الآية بالرفث، وسماع القبيح، واللغو والغناء من الكلام المطروح الذي لا خير فيه. فاللغو عندهم حمل معنى الكلام التافه الذي لا يُعتدّ به²⁷⁸. وفي موضع آخر قال تعالى: "وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنَعِي الْجَاهِلِينَ" (القصص: 55:88)، اللغو هنا دلّت على باطل الكلام وسقطه، وقيل هو السبّ والأذى²⁷⁹.

وكلمة (الغوا) جاءت في قوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ" (فصلت: 26:54)، وفي تفسير كلمة (الغوا) في الآية الأخيرة شرح وافٍ يمكن عطفه على الآيات السابقة، حيث قال فيها ابن كثير: "أي بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - إذا قرأ القرآن"، ودلّل عليه الطبري بقوله: "اللغو هو التحدث والصياح"، ومثله قال الزمخشري "رفع الأصوات بالخرافات"، والراغب الأصفهاني لم يبتعد في تفسيره كذلك عما ورد في تفسيرات الآخرين²⁸⁰.

²⁷⁷- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (لغو).

²⁷⁸- أبو السعود، تفسير أبي السعود، 230/6، الطبري، تفسيره، 314/19-315، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 516/6.

²⁷⁹- الطبري، تفسيره، 598/19، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 125/7، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 582/2.

²⁸⁰- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 174/7، الطبري، تفسيره، 461/21، الزمخشري، الكشاف، 381/5، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 582/2.

فلفظة (اللغو) تجسدت بصورة سمعية مؤثرة، وضُحِت معها أساليب المشركين في التشويش على قارئ القرآن و دارسيه من المؤمنين، فقد عمدوا إلى إصدار كلام غير مفهوم، و صياح غوغائي؛ بقصد منع تدارس القرآن بين أهله، و دون ذلك كلمة اللغو تدل على القول الباطل و الكلام الذي يُراد فيه طمس الحقيقة و تنفيذها. وهذه المفردة بما تحمله من غوغاء الكلام، وخليط الأصوات أسهمت في نقل الدلالة الحسية الصوتية، والتي وضعتنا بدورها في صورة الحدث الجاري، فلو قيل بدل اللغو مفردات أخرى كالهذيان أو الهذر لما تحققت المقاصد المرومة من حيث دلالة التشويش والصياح على أهل القرآن وهم يتدارسون. ووفق المنظور الدلالي للعسكري يأتي الهذيان بمعنى "كلام مستعمل أُخرج على وجه لا تتعقّد به فائدة، والهذر الإسقاط في الكلام"²⁸¹.

❖ حرف النون

• 54.2.3. المقطع الثنائي البسيط: نَفْ

حكاية صوت المقطع: صوت النفخ في الفم، وهو أيضا حكاية صوت زفير الأنف.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: الفعل نفخ، النفاثات وفعلها نفث، النفس وفعلها نفس.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: النفث: النفث أقل من الثقل، لأن الثقل لا يكون معه شيء من الريق، والنفث شبيه بالنفخ، النوافث: هنّ السواحر حين ينفثن في العقد بلا ريق.

النفخ: نفخ فيه فانتفخ، نفخ بفمه إذا أخرج منه الريح، و يكون ذلك في الاستراحة والمعالجة، و في الخبر: فإذا هو مغتاظ ينفخ، و نفخ النار وغيرها بالمنفاخ، النفخة: نفخة يوم القيامة، وفي التنزيل: "إذا نُفخ في الصور".

النفس: وسُميت النفس نفسا لتولّد النفس منها واتصاله بها، كما سمّوا الروح روحا لأن الرّوح موجود به، قال الزجاج: لكل إنسان نفسان: إحداهما نفس النّمّ، و النفس: الجسد²⁸².

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

²⁸¹-العسكري، الفروق اللغوية، ص203.

²⁸²- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (نَفَث)، مادة (نَفَخ)، مادة (نَفَس).

وردت المواد المأخوذة من المقطع (نَفَ) في آيات كثيرة، و أفادت معاني مختلفة، فمثلاً كلمة (انفخوا) في سورة الكهف: " أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا " (96:110)، دلت على النفخ المادي الحسي، وقال فيها ابن عاشور: " انفخوا في الكيران المصفوفة على طول مابين الصدفين من زبر الحديد"، وتناول ابن كثير الفعل (انفخوا) بقوله: " انفخوا: أي أجج عليه النار حتى صار كله ناراً"، و الطبري بدوره ذكر أن المقصود هو النفخ على الحديد، بينما الرازي ذكر مع فعل النفخ آله حينما وضعوا المنافخ على الحديد²⁸³.

إن حدث النفخ يكون على كل ما هو حارّ غير مشتعلة فيه النار بقصد إنقاص حرارته، وهذا جوهر طلب ذي القرنين من قوله (فانفخوا). بينما لانقع على هذا المعنى في مرادفات أخرى يُظنّ أنها تؤدي الغرض السياقي كالإطفاء أو الإخماد؛ لأنهما يلازمان النار²⁸⁴.

أما كلمة (نفخنا) في قوله تعالى: " وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا ذِكْرٌ وَإِسْمٌ عَظِيمٌ " (التحریم:12:12)، فقد جاءت مجازية، بمعنى ذهني مجرد، أريد منها تأكيد حقيقة ثابتة مفادها: " قدرة الله فوق كل مستحيل عند البشر" كما شرحها ابن كثير، في حين تناول الطبري هذه الآية بقوله: " نفخنا في جيب درعها، وذلك فرجها من روحنا جبريل"، ومثله قال أبو حيان الأندلسي، بينما وقف عندها الراغب الأصفهاني في قولين، أولهما عام وُسِمَ بالصبغة المادية الحسية هو " النفخ: هو نفخ الريح في الشيء"، وثانيهما خاص وُسِمَ بالمجازية هو " نفخ الروح"²⁸⁵.

فالله تعالى شاء أن يهب مريم السيد المسيح بدون أن تتزوج؛ بعد أن نفخ في فرجها الذي أحصنته، فحملت بسيدنا عيسى - عليه السلام- بتدبير الله العظيم. والنفخة هنا ذات دلالة سمعية حسية، لكن أثرها جاء مجازياً، أفاد معنىً ذهنياً مجرداً يوحي بعظمة قدرة الله، إذ لا رادّ لأمره الذي هو كائن بين الكاف والنون، فهو إذا شاء أمراً قال له كن فيكون.

وبالنسبة لكلمة (النفاثات) في الآية الآتية: " وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ " (الفلق:4:5)، فقد رسم الله بها صورة السواحر اللواتي ينشئن سحرهن بوسائل خبيثة مختلفة، منها النفخ والنفث على

²⁸³- ابن عاشور: التحرير والتنوير، 38/17، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 196/5، يُنظر: الطبري، تفسيره، 117/18، الرازي، مفاتيح الغيب، 146/15.

²⁸⁴- العسكري، الفروق اللغوية، ص12.

²⁸⁵- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 173/8، الطبري، تفسيره، 501/23، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 295/8، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 646/2.

الخيوط المعقود للعمل المسحور بلا ريق كما قال ابن كثير والشنقيطي، بينما أبو حيان الأندلسي والزمخشري شرحا النفث بأنه يشبه النفخ ولكن لا يصاحب هواءه الصادر ثقلٌ بريق، والراغب الأصفهاني كان أكثرهم دقة في تحديد ماهية النفث عندما ربطه بقذف الريق بحجم قليل، والنفث عنده أقل من الثقل، ومثله قال السمين الحلبي مع زيادة بلاغية بيانية في مسألة تعريف كلمة النفثات التي جاءت للعهد أو للمبالغة في الشر والأذى على حسب تأويله²⁸⁶.

فلا غرابة إن قلنا إن تسمية الطائرة النفثة بهذا الاسم ما هو إلا محاكاة للأصوات الصادرة من محركاتها، حيث تنفث محركاتها القوية المحروقات؛ لدفع الطائرة في الاتجاه المعاكس. ووزن لفظة هذه المادة الاشتقاقية هو (فعالة)، يصلح أن يكون اسم آلة وهذا جلي في آلية عملها، كما يصلح أن يكون مبالغة اسم فاعل؛ لأن الطائرة النفثة تنفث المحروقات بشكل قوي مبالغ فيه؛ نظراً لحجم محركاتها.

أما كلمة (نفس) وما يؤخذ منها من مفردات فإنها كثيرة الورد في آيات الكتاب المبين، و كما وُضِّح في معجم لسان العرب سبب التسمية التي تتفق و حكاية صوت المقطع (نَفْ)، يمكن أن يُمثَّل لها بالآيتين الآتيتين، الأولى قوله تعالى: "وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ" (التكوير: 18:29)، قال الزمخشري في شرح بلاغة هذه الآية: "جُعِلَ للصُّبْحِ نفساً على المجاز إذا أقبل"، وعلَّق كل من ابن كثير والطبري والراغب الأصفهاني على دلالة الفعل (تَنَفَّسَ) بأنه إضاءة الصبح وتوسعه وامتداده، وعودة الحياة إليه بعد زوال الليل²⁸⁷. فالصورة بلاغية تشبيهية فيها استعارة تمثيلية، حيث جُعِلَ الصبح على هيئة إنسان يُولد و يتنفس مع بزوغ شمسهِ.

والآية الثانية هي: "وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا" (الفرقان: 68:77)، يمكن القول هنا إن المقصود بالنفس هو الحياة المتمثلة بالجسد المادي الذي تنبض فيه الروح²⁸⁸. و هي كلمة مأخوذة من صوت أنفاس صاحبها، تقوم على أساس عمليتي الشهيق و الزفير، كدليل على استمرار الحياة، و بتوقفها يتحقق الموت.

²⁸⁶ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 536/8، الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 161/9، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 530/8، الزمخشري، الكشاف، 465/6، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 646/2، السمين الحلبي، الدر المصون، 160/11.

²⁸⁷الزمخشري، الكشاف، 325/6، وينظر أيضاً: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 337/8، الطبري، تفسيره، 258/24، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 649/2.

²⁸⁸ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 126/6، الطبري، تفسيره، 303/19، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 515/6.

❖ حرف الهاء

• 55.2.3. المقطع الثنائي البسيط: ها

حكاية صوت المقطع : التنبيه والإشارة و الزجر والنهي، و مثله المقطع (هَه) الذي هو حكاية صوت الأنفاس أو اللهاث لتعب أو عطش.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: يلهث، هيهات (اسم فعل ماضٍ)، هلمّ، هاؤم، هاؤنا.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: ها: (هاء) بفخامة الألف: تنبيه، تفتتح العرب بها الكلام بلا معنى سوى الافتتاح، و هاء: زجرٌ للإبل، وهي كلمة إجابة و تلبية.

هلمّ: بمعنى أقبلْ، وهذه الكلمة تركيبية من (ها) التي هي للتنبيه، ومن (أَمْ) وهي كلمة دعوة لشيء واحد أو أكثر، وبذلك نزل القرآن: هلمّ إلينا وهلمّ شهداءكم؛ أي هاتوا شهداءهم، قربوا شهداءهم.

هنا: ظرف مكان، يُراد به الإشارة إلى موضع قريب.

أما الفعل (لهث) فمصدره (اللهاث، اللهث) يدل على حر العطش في الجو، لهث الكلب: دلع لسانه من شدة العطش والحرّ، لهث الرجل و لهث يلهث لهثاً فهو لهثان: أعيا، اللّهثة: التعب.

هيهيت: التصويت بالإبل والزجر، هيهات: البعد، كلمة للتبعيد²⁸⁹.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

"وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" (الأعراف: 176: 206)، هي لوحة بلاغة رائعة، اعتمد فيها على جمالية التشبيه التمثيلي في الربط بين صورتين، صورة قلب الإنسان الكافر الضالّ، وصورة الكلب، فالثاني يلهث في حالة التعب وعدمه، والعطش وعدمه، كما أنه يلهث سواء حُمِلَ عليه أم لم يُحْمَلْ، وذلك بالزجر والطرْد، وكذلك الأول (الكافر) يبقى منافقاً لا ينتفع بالموعظة، والدعوة إلى الهدى، وسواء اجتهد في دعوته للحق أم أهمل النتيجة واحدة، وهذا التأويل نجده عند ابن كثير والطبري. ولكن البيضاوي فسّر الفعل (يلهث) منطلقاً من الصورة السمعية ليفضي بعدها إلى الصورة البصرية ومنها إلى القصد الإلهي، فاللهث

²⁸⁹ ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (ها: هاء)، مادة (هلمّ)، مادة (هنا)، مادة (هيه).

عنده إدلاج اللسان من الفم بسبب التنفس الشديد، ومثله قال الراغب الأصفهاني²⁹⁰. فالهدف تجسيد صورة هذا الكافر لاهناً ذليلاً، لا يُرجى منه تجاوب أو حتى اقتناع بما يُلقى إليه من نصيح وإرشاد، ولتقريب الصورة استُعين بلهات الكلب، فهو بالحمل عليه زجراً يلهث، وبتركه إهمالاً يلهث كذلك. وصوت أنفاسه اللاهثة بلا نفع، مع حركة لسانه المتدلّي، أُريد بها الانتقال من مادية الصورة إلى ذهنية المعنى المراد.

تجدر الإشارة إلى أنّ لفظة (ها) تُستعمل كجواب تهكمي ساخر في سياقات التنفيد، والبأس الحق ثوب الباطل، والاستهزاء بما لا يتفق وعقل قائلها. فمثلاً كلمة (هيهات) في قوله تعالى: "هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ" (المؤمنون: 118:36)، قال فيها البيضاوي: "كأنهم لما صوّتوا بكلمة الاستبعاد قبل: فما له هذا الاستبعاد... فهيهات بمعنى البُعد". وهي عند ابن كثير والطبري والراغب الأصفهاني كلمة باطل أراد بها الكفار التكذيب بلقاء الله تعالى يوم القيامة، وتحويل هذا اللقاء إلى أمر مستحيل مستبعد وكأن لسان حالهم يقول: بعيد بعيد هو يوم البعث، وما هو بواقع²⁹¹.

كُرِّرت (هيهات) مرتين دلالة على زيادة في تنفيذ مقولة يوم البعث والحساب، و رفضاً لرسالة الرسول البشري. وتكرار صوت حرف الهاء في كلمة هيهات المكررة بدورها مرتين، أوضح الحالة النفسية المرافقة لموقف الكفار المكذبين يوم النشور، حيث أرادوا تبعيد ذلك اليوم ونفيه، وهنا الصورة الحسيّة السمعية أدّت المعنى المجرد الموجود في الآية.

وفي قوله تعالى: " قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ النَّبَأَ إِلَّا قَلِيلًا" (الأحزاب: 73:18)، تحفيز سلبي واضح على دعوة باطل، جاءت من قبل بعض مثبطي همم المسلمين؛ بهدف ثنيهم عن شهود الحرب وخوضها، وقد استخدموا فعل الدعوة (هلمّ) الذي يفيد الدعوة للتقرب المادي والمعنوي، وهو صوت أُريد به الفعل منه بمعنى تعالوا واقتربوا. وقد وُجّه هذا الفعل إلى ساكني المدينة الذين كانوا يخرجون مع المؤمنين في حرب الأحزاب، ولكنهم كانوا لا يقاتلون؛ بسبب طمعهم بالحياة كما ورد عند بعض من المفسرين²⁹². فقد ألحوا على المؤمنين

²⁹⁰—ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 509/3، الطبري، تفسيره، 273/13-274، البيضاوي، تفسير البيضاوي، 42-41/3، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 586/2.

²⁹¹—البيضاوي، تفسير البيضاوي، 86/4، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 474/5، الطبري، تفسيره، 30/19، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 711/2.

²⁹²—ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 390/6، 390/6، الزمخشري، الكشاف، 57/5، البيضاوي، تفسير البيضاوي، 228-227/4.

بشأن الإقبال إليهم، ومشاركتهم نعيم الحياة، وكأن لسان حال ضعفهم يقول: ما لكم من أمر الحرب إلا الموت والهلاك، وجانبنا أكثر أماناً، فأقبلوا إلينا تحظوا بسلام ونعيمين على حدّ زعمهم الباطل.

كلمة (هَلَمْ) مركبة في أصلها من: (ها) التي هي للتنبيه على أمر مهمّ، و(أَمْ) التي تفيد دعوة الإقبال على ما سيليها من طلب، فظنّهم أنّهم يدعون إلى خير مقام وحال، والله تعالى ينهى عباده عن مخالطة هذه الزمرة من الناس، والانصياع لفتنة قولهم.

وإذا ما نُظِرَ إلى سياق ورود كلمة (هاؤم) في قوله عزّ وجلّ: "فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ" (الحاقة: 52:19)، يتوضّح للقارئ البعد الجمالي لدلالاتها، حيث قال عنها ابن كثير: "والظاهر أنها بمعنى هاكم"، وهي عند الطبري بمعنى "تعالوا"، وعند أبي حيان الأندلسي بمعنى "خذوا كناية عن الاستبشار"²⁹³.

إنّ لفظة (هاؤم) مركبة من (ها) وموضعها في أول الكلمة يوحي بالتنبيه على شيء مهمّ قادم، سواء كان قولاً أم فعلاً، والجزء (ؤم) زائد، والغرض منها مجتمعة لفَتْ حواسلُ الْمُخَاطَبِ إلى أهمية ما سيعقبها. وما أجملها من لفظة حين يباهي المسلم بصحيفته الطاهرة، هذه الصحيفة ستأخذ بيده إلى جنة الخلد والنعيم، بعد أن استلمها بيمينه، وما كلمة (بيمينه) إلا صورة رمزية رائعة، فيها كناية عن ظفر العبد برحمة الله وعبوره إلى المآل المنشود، وعند تيقّنه من مصيره يخاطب أهل الحساب ممن معه منبّهاً إياهم إلى عظيم حاله، مقدّماً خطابه بكلمة (هاؤم)، فيقول: خذوا كتابي فاقرؤوه، يقيناً منه بطهارة مافيه من صالح العمل والأجر.

وفي سورة (الحاقة) أيضاً وردت كلمة (هاؤنا)، التي لا تقلّ في جمالية مجازيتها وبلاغتها عن سابقتها (هاؤم)، إذ يقول الملك العزيز: "فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ" (52:35)، فالجزء (ها) أفاد التنبيه، و(هنا) اسم إشارة يفيد الظرفية المكانية، والمكان هو: أرض الحساب كما أولّها أهل التفسير²⁹⁴. وأرض الحساب عند الكافر مصير أسود يتملّ بجحهم، وأتّى له من شفيح ينجيّه. فالأمر فُضِي، وحُقّ الحقّ، وخصوصية المكان المُشار إليه بلفظة (هاؤنا) كفيلة أن تبين للكافر مقامه الذي وصل إليه بذنوبه التي ارتكبها في الدنيا، وهيهات أن يعود الزمن به كي يعمل صالحاً.

• 56.2.3. المقطع الثنائي البسيط: هَمْ ومثله: هَسْ. ويُدرج معهما المقطع (أَزْ).

²⁹³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 214/8، الطبري، تفسيره، 585/23، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 325/8.

²⁹⁴ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 217/8، الطبري، تفسيره، 590/23، الرازي، مفاتيح الغيب، 102/29.

حكاية صوت هذه المقاطع: الهمهمة، والكلام الخفي، وهَسْ: حكاية صوت الهمس والإسرار. وحكاية صوت المقطع (أز): هو الصوت الشديد المصحوب بإزعاج وضغط شديدين.

المواد اللغوية المتولدة عن المقاطع: الهمس وفعله (هَمَسَ)، همزات (جمع همزة) وفعلها (هَمَزَ)، ومن (أَز) الفعل أَزَّ يُوَزُّ والمصدر أَزًّا.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الهمْهَمَة: الصوت الخفي، وقيل: هو صوتٌ معه بَحْخٌ، والهمهمة: ترديد الصوت في الصدر.

هَسَّ يَهْسُ هَسًّا: حَدَّثَ نفسه، هَسَّ الكلام: أخفاه، والهسيس والهَسْهَس: الكلام الذي لا يُفْهَم، والهسَاهِس: الوسواس، أو حديث النفس ووسوستها.

هَمَزَ الشيطان الإنسان هَمَزًا: هَمَسَ في قلبه وسواسًا، وهمزات الشياطين: خطراته التي يُخْطِرُها بقلب الإنسان.

الأزّة: الصوت، والأزيز: التشيش، والأزيز: صوت غليان القدر. والأزّ: التهيج والتحريك والإغراء والإزعاج، ومنه أَزَّ الشياطين الكفار والإغوائهم بهم صوب الضلال²⁹⁵.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

بدايةً إنّ (همس) تعادل (همز) في المعنى؛ فالسين والزاي متقاربتان في مخرجيهما، والجذر واحد هو (هَمَ)، والزيادة اللاحقة في آخره نوّعت البعد الدلالي للمادة المتولدة عنه.

قال تعالى في محكم تنزيله: "يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا" (طه:108:135)، الهمس هنا عند السمين الحلبي "الصوت الخفي، وقيل هو تحريك الشفتين دون نطق"، وعند ابن كثير هو "الصوت الخفي"، وعند الطبري هو "صوت الأقدام إلى أرض المحشر، وهو الصوت الخفي المهموس بالسرّ، والهمس صوت أخفاف الإبل"، بينما جاء الهمس عند الزمخشري بمعنى "الذكر الخفي، ومنه الحروف المهموسة، وهو من همس أخفاف

²⁹⁵ ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (هَمَمَ)، مادة (هَسَسَ)، مادة (همس)، مادة (همز)، مادة (أَزَز).

الإبل"، ومثله قال الرازي، بينما قال فيه الراغب الأصفهاني: "الهمس الصوت الخفي وهمس الأقدام أخفى ما يكون من صوتها" ²⁹⁶.

فمن هول مشهد القيامة عند الحشر لايجرؤ إنسان على الحديث جهرة في حضرة الخالق الجبار، فالنفس تحدّث ذاتها سرّاً، والمُساقون إلى حسابهم يتهايمسون، والخوف من المجهول هو سيّد الموقف وعنوان الحال. فكأنّ ما يُسمع هو فقط أصوات قريبة وبعيدة، يجمعها تكرار صوتي المقطعين (هم، هَس)، كناية عن الإسرار في القول والتكهن، وما يرافقه من حذر وخوف وذهول.

وإذا زيد على المقطع الهمّ (هم) حرف الزاي تأتت لفظة (همز)، ومنها همزات، قال تعالى: " وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ " (المؤمنون: 97: 118)، وفي تفسيرها قال ابن كثير: "أمرهأن يستعيذ من الشياطين"، والطبري وردّ الهمز عنده بمعنى "الغمز في الكلام"، وعند أبي حيان الأندلسي ذكر الهمز على أنه من الشيطان، "فهو عبارة عن حثّه الإنسان على العصيان والإغراء به كما يهزم الرائض الدابة لتسرع"، بينما قال البيضاوي إنّ "همزات الشياطين هي وسوسهم"، ومثله قال الراغب الأصفهاني. وهذا التفسير نجد أنه لا ينطبق صوتياً على التركيب (تَوَزَّهُمْ أَزًّا) الوارد في قوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزَّهُمْ أَزًّا " (مريم: 93: 98)، وقال الزمخشري في شرحها: "الأز، والهزّ، والاستفزاز أخوات، ومعناها التهيج وشدة الإزعاج، أي: تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوسوس والتسويلات" ²⁹⁷.

أريد بالهمزات وسوس الشيطان وخطراته التي يحاول إلقاءها في قلب الإنسان المؤمن؛ بغية إضعافه وتحبيده عن اتباع طريق الحق والهداية. فإذا تُخيل المشهد بصورة حسية، تجتمع فيها حاستا البصر والسمع، يتجلّى الشيطان جاثماً على عاتق العبد المؤمن، يحدثه في أذنه بوسوس مغلوطه، فيها أصوات همس وأسرار مما لا نجده في كلمة (أزّا) التي يرافقها صخب وإزعاج وإصرار جهري من قبل الشياطين في بثّ تسويلات الضلال. إذ يحاول الشيطان زعزعة همة المؤمن، وإضلاله، وأخذّه بعيداً عن سبيل الرشاد بشكل مهموس خفيّ. والله تعالى أمر عباده في مثل هذه اللحظات أن يستعيذوا فوراً من همزات الشياطين؛ درءاً للمهالك التي يمكن أن تقع بالإنسان إن تبع ما يلقيه الشيطان في قلبه وصدره.

²⁹⁶ - السمين الحلبي، الدر المصون، 107/8، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 317/5، الطبري، تفسيره، 375/18، الزمخشري، الكشاف، 109/4-110، الرازي، مفاتيح الغيب، 103/16، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 710/2.

²⁹⁷ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 492/5، الطبري، تفسيره، 68/19، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 240/6، البيضاوي، تفسير البيضاوي، 96/4، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 710-709/2، الزمخشري، الكشاف، (تفسير الآية: 83 من سورة مريم)، 55/4.

ورب العالمين لم يقل لمزات أو أَرَّات؛ "لأن مكايده الشيطان خفية، واللمز أجهر من الهمز"²⁹⁸ ومثله الأَرَّ. وقد أورد العسكري هذا الفرق الدقيق في فروقه اللغوية؛ لذلك استعمل في نزغ الشيطان لفظ (همز) طلباً للخفية التي بداخله، ناهيك عن أنَّ الهاء فيها صفة الهمس والخفاء، على نقيض الهمزة في (أَرَّ) التي مخرجها أقصى الحلق، وتقيد الجهر والشدة والانفتاح، ويرافقها ضغط على مخرجها، وهذا الضغط نلمسه صوتياً ودلالياً في عمل الشياطين وهي تضغط على الإنسان بقصد إضلاله، وهذا ما سماه محمد حسين الصغير " بمصاقبة الشدة الصوتية للشدة الدلالية بين الصوت والمعنى الحقيقي"²⁹⁹.

• 57.2.3. المقطع الثنائي البسيط: هَدَّ

حكاية صوت المقطع: الهدّ والهدم والكسر والتحطيم.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: الفعل (هدّ) ومصدره هَدًّا.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الهدّ: صوت شديد تسمعه من سقوط ركن، أو حائط، أو ناحية جبل، والهدّ والتهدّد: الصوت الغليظ، هَدَّ الشَّيْءُ من علة إلى سفل: حَذَرُهُ³⁰⁰.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

قال تعالى في محكم بيانه: "تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطِرُنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا"^(مريم: 90: 98)، شرح ابن كثير كلمة (هدًّا) بقوله: " ينكسر بعضها على بعض متتابعات"، والهدّ عند الراغب الأصفهاني " هَدْمٌ له وَقَعُ سَقُوطُ شَيْءٍ ثَقِيلٍ، وَالْهَدَّةُ صَوْتُ وَقْعِهِ". وقسم من أهل التفسير رأوا في ادعاءات الكفار بأن الله ولداً سبباً كفيلاً بإثارة غضبه عليهم، ومن عظيم قدرته تتهدّم الجبال بعضها على بعض بشكل متعاقب لتتطبق عليهم بعد ذلك؛ لأنها لم تتحمل ما قيل بحق الرحمن فتتفتّت³⁰¹.

²⁹⁸-العسكري، الفروق اللغوية، ص218.

²⁹⁹-الصغير، محمد حسين علي، الصوت اللغوي في القرآن، ص169.

³⁰⁰- ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (هدد).

³⁰¹-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 267/5، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 699/2، و الطبري، تفسيره، 259/18، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 219/6، البيضاوي، تفسير البيضاوي، 22-21/4، الزمخشري، الكشاف، 58-57/4.

وجمال هذه الكلمة يتجلى في صورتين: سمعية فيها محاكاة صوت حدث الهدّ، وبصرية تمكن في استحضار مشهد انهيار الجبال الشاهقة الضخمة إلى الأسفل، وللقارئ أن يتخيل الصوت الناجم عن عملية السقوط هذه. فمادية فعل الهدّ تحتّ الذهن على استشعار غضب الله تعالى إذا ما سلّطه على خلقه جميعاً، فالجبال بجبروتها وصلابتها تتفتّت في ثوانٍ معدودة. وهذا خطاب تنبيهي للإنسان كي يتعظّ، ويتدبّر قدرة الله عليه.

وما قيل في فعل الهدّ يقال كذلك في فعل الهدم، حيث ورد كلمة الهدم في سورة الحج إذ قال تعالى: "وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْجَمْتَ صَوَامِعُ وَبِيعَ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ" (الحج:40:78)، حيث شرح الراغب الأصفهاني الهدم بإسقاط البناء، وتضعيف الفعل يدل على التكرير³⁰². وهنا لم يقل الله تعالى كلمات تفيد التدمير والإسقاط من مثل: هَدَّ أو دَمَر؛ لأن "الهدم يكون بعد البناء"³⁰³. فتعاور فعلي الهدّ والهدم في الآيتين السابقتين يمثل نفحة من نفحات الإعجاز البلاغي والدلالي للقرآن، فلو نهض أحدهما بأن يؤدي دلالة الآخر لما تحصّل الإعجاز السياقي القرآني. فحين نقارن صوتياً ودلالياً بين صوتي هذين الفعلين نجد المقطع الصوتي المنطوق واحد، ويتمثل في الجذر (هَدَّ)، والمعاني متقاربة في الإفادة، ولكن لا يمكن لصوت الهدّ أن يحتلّ صوت الهدم للإفادة التي قدمناها سابقاً. فصوت الهدّ أقوى وفيه التضعيف معادل موضوعي للشدة والإنقضا، ولا يشترط فيه أن يقع على ما بُني سابقاً، في حين الهدم صوته أخف بسبب فيزيولوجية نطق حرف الميم، ويقع على كل بناء رُفِع صرحه في زمن مضى.

• 58.2.3. المقطع الثنائي البسيط: هَشْ

حكاية صوت المقطع: هو حكاية صوت الزجر والنهر للمواشي، كما هو حكاية صوت تحريك أوراق الشجر وهزّه بعصاً أو ماشابه.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: هَشْ يهشّ ومصدره هَشّاً، هَشَمَ ومنه هشيم.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: هَشْ يهشّ: تكسّر وكبر، وهَشَشْتُ أَهْشُ هَشّاً إذا خبط الشجر اليابس بعصاً ليتحاتّ فيسقط ورقها فألقاه لغنمه.

³⁰² - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 699/2-700.

³⁰³ - العسكري، الفروق اللغوية، ص92.

والهشيم هو الكلاً أو الشجر اليابس، وهو جمع ومفرده هشيمة، ورجل هشيم: ضعيف البدن³⁰⁴.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

قال تعالى في سورة طه: "قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى" (135:14)، شرح الراغب الأصفهاني الفعل أهش بأنه خبط الورق بالعصا؛ لتحريكه وهزّه ومن ثم إسقاطه لتأكله غنمه، ومثله قال ابن كثير والطبري³⁰⁵.

فصوت ضرب الورق اليابس بالعصا يتمثل بالمقطع (هش)، والتضعيف في الفعل (أهش) جاء للتكثير والمبالغة، فأعداد الغنم التي كان يرعاها سيدنا موسى كثيرة، ويلزمها هش متواصل ومستمر. كما أن ضرب الشجر اليابس بالعصا يلزمه هذا الفعل؛ لأنه يختص بمضروب يابس لا لبن بنية الإسقاط، على عكس بعض المرادفات من مثل أسقط أو هز، فالثاني منهما مثلاً يجري على تحريك كل محسوس مادي من الشجرة، سواء كان ليناً أم يابساً من مثل جذعها وساقها أوراقها، ولكن لا يجرى معه الإسقاط بالضرورة.

في سورة الكهف جاءت لفظة (هشيم) في قوله تعالى: "وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا" (110:45)، قال الراغب الأصفهاني في تعريف الهشم: "هو كسر الشيء الرخو كالنبات"، وقال الطبري في شرح كلمة هشيم بأنها لفظة تدلّ على حال من نبات الأرض المتفتت اليابس تطيره الرياح. وهو مثلّ أراد الله به فناء الحياة الدنيا، وإظهار رخصها، وسرعة خرابها، ومثله قال الألوسي³⁰⁶.

❖ حرف الواو

• 59.2.3. المقطع الثنائي البسيط: وس

حكاية صوت المقطع : الصوت الخفيّ المهموس، كما أنه صوت حديث النفس.

³⁰⁴ ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (هشش)، مادة (هشم).

³⁰⁵ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 706/2، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 280-279/5، الطبري، تفسيره، 293/18.

³⁰⁶ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 706/2، و الطبري، تفسيره، 30/18، الألوسي، روح المعاني، 286/15.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: الفعل الرباعي المضاعف (وَسَّسَ)، والمصدر منه: الوَسَّاس والوسواس والوسوسة.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: الوَسَّاسَة والوسواس: الصوت الخفي من ريح، وهي حديث النفس، والوسواس: بالفتح: الشيطان³⁰⁷.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

يمكن تلخيص تفسير هذه المواد المتولدة عن المقطع الصوتي (وَسَّ) بأفعال الشيطان، فمثلاً في سورة (الناس) قال تعالى: "مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (6:4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (6:5)"، وفيها جاءت المادتان اللغويتان (الوسواس، يوسوس) مشروحتان عند ابن كثير بشكل دقيق رائع، إذ لخص معناهما بقوله وهو يصف عمل الشيطان في بثّ الشكوك في نفس الإنسان: "جاثم على قلب بني آدم، فإذا سها وغفل وسوس"، ويتفسير يعتمد على استقراء صوتي للفعل وسوس قال كل من الزمخشري والرازي: "الوسوسة هو الصوت الخفي كوسوسة الحلي"، وقال الراغب الأصفهاني في الوسوسة: "هي الخطرة الرديئة وأصله من الوسواس وهو صوت الحلي والهمس الخفي". بينما نجد الوسوسة عند الطبري مفسرة بقوله: "الشيطان ينفث في قلب ابن آدم". ونجد أبو السعود قدنحنا نحو هؤلاء المفسرين في شرحهم هذه المفردة، إلا أنه زاد عليهم بقوله: "الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة، والمصدر بالكسر الوسواس هو الشيطان، سُمّي بفعله مبالغة كأنه نفسه الوسوسة الخناس..."³⁰⁸.

فالشيطان يلقن الإنسان كلمات منفوثة؛ كي يبعده بها عن ذكر ربّه ويضلّه، ولصوت حرف السين المهموس في المقطع (وس) أثر واضح في تقريب الصورة إلى الذهن؛ فيسهل إدراكها. فالهمس الخفي في الأذن أو النفس يتمثل بتكرار حرف السين في الفعل المركب أصلاً من تكرار المقطع (وَسَّ)، فلا يُسمع إلا صدها يتردد، وهنا يتأمل القارئ أبعاد المعنى التي تضع الإنسان بين موقفين، الأول: اتباع وسوسة الشيطان، والثاني: تجاوزها بالاستعاذة.

وللوقوف على فضاءات جمالية أكثر لهذه المفردة اللغوية في سياقها القرآني، نعقد مقارنة صوتية دلالية بين الوسوسة والنزع، فالنزع عند العسكري هو عملية إغواء الإنسان بالوسوسة، إلا

³⁰⁷ ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (وَسَّسَ).

³⁰⁸ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 539/8، الزمخشري، الكشاف، 650/6، الرازي، مفاتيح الغيب، 180/30، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 677/2، الطبري، تفسيره، 710/24، أبو السعود، تفسير أبي السعود، 210/9.

أنه يقترب بالغضب، بينما الوسوسة هو ذاك الصوت الخفي المهموس الذي لا يفهم معناه، ولا يُوقَع على فحواه، ويقع في النفس خفيًا³⁰⁹.

• 60.2.3. المقطع الثنائي البسيط: وَي

حكاية صوت المقطع: الندبة والعذاب والتفجع، كما هو حكاية صوت مقاربة الهلاك، واستحضار خوف أو عار أو مصيبة.

المواد اللغوية المتولدة عن المقطع: الويل، وفعلها: (ويل)، وقد تلحق بعض الضمائر بآخر الاسم (ويل) من مثل: ويلك، ويلتي وويلي وماشابه.

معاني هذه المواد في معجم لسان العرب: ويلّ كلمة مثل (ويح) إلا أنها كلمة عذاب، والويلة: الفضيحة والبلية، وقيل هو تفجع. وإذا قال القائل: واويلتاه فإنما يعني: وا فضيحتاه، وكذلك تفسير قوله تعالى: "ياويلتنا مال هذا الكتاب".

ويل: دعا بالويل، ويلاً له أي قبحاً. الويل: الحزن والهلاك والمشقة من العذاب، وكل من وقع في هلكة دعا بالويل، ومعنى النداء فيه: يا حزني ويا هلاكي ويا عذابي احضر، فهذا وقتك وأوانك، فكأنه نادى الويل أن يحضره لما عرض له من الأمر الفظيع وهو الندم على عدم طاعة أمر الله تعالى.

قد يرد ويل بمعنى التعجب، و ويلّ: وادّ في جهنم يهوي الكافر فيه أربعين خريفاً³¹⁰.

مواضع ورود المادة اللغوية في القرآن الكريم مع تفسيرها القرآني السياقي:

ورد المقطع (وي) وقد لحقت اللام آخره في مواضع كثيرة في القرآن، منها على سبيل التمثيل لا الحصر قوله تعالى في سورة الكهف: "وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا" (110:49)، وقال فيها ابن كثير: "يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمارنا"، بينما تتقاطع تفاسير كل من الطبري وأبي حيان الأندلسي والشنقيطي حول فكرة مناداة المجرمين على أنفسهم بالهلاك؛ حيث يدركون أن العذاب الذي وعدوا به في الدنيا إنما هو واقع. وقال هؤلاء

³⁰⁹ العسكري، الفروق اللغوية، ص210.

³¹⁰ ابن منظور، لسان العرب، وموقع الباحث العربي، مادة (ويل).

المفسرون أن الكافر قد ينادي الآخرين ليشهدوا عذابه، وقد ينادي هلاكه طالباً منه الحضور؛ وذلك من أهوال عذاب القيامة التي يلقاها، وقد كان يكذبها في الدنيا³¹¹.

إن كلمة (ويل) يقولها الكافر ندماً وحسرة عند قراءته كتابه، هذا الكتاب الذي لم يغادر مثقال ذرة من أعماله، فما استهان به من صغائر الأعمال وجدها مكتوبة في صحيفته؛ فيطلق هذا الصوت (ياويلتنا)؛ شعوراً منه بهلاك قريب لا مفرّ منه، وإذناً بعذاب واقع ينتظره.

وفي سورة (الجاثية) وردت كلمة (ويل) في قوله تعالى: "وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ" (37:7)، فحسب تفسير ابن عاشور جاء الافتتاح بذكر كلمة ويل تعجيلاً لإنذار ذاك الأفَّاك وتهديداً له قبل توصيف حاله، وأصل الويل الشرّ ووقوعه، وفي الآية استعملت للكافر المتكبر المعرض عن سماع آيات الله. ومثله شرحها ابن كثير؛ إذ جاءت بمعنى الهلاك والشقاء لكل إنسان كفر بآيات ربّه، وجعل الكذب سيّد كلامه، بينما اقترنت عند الطبري باسم وادٍ في جهنم قوامه صديد أهلها، والويل هو التوعّد بهلاك المجرمين كما أورد الشنقيطي، أما عند الراغب الأصفهاني فويل هي كلمة يراد بها التحسر والتندّم والتعجب، كما هي اسم وادٍ في جهنم³¹².

وحسب شرح العسكري فإنّ الويل لفظة تجمع في أصل معناها الخسران والهلاك والندم وما شابهها من معاني الندبة والتفجع والعذاب؛ لذلك لم يُقل يا هلاكي ويا خسراني، و أصلُ الخسران في العربية هو الهلاك³¹³. فالدلالات المرجوة لا تتحقّ مجتمعة إلاّ بلفظة ويل.

ولا يُستغرب قول العامة: (يا ويلك من الله)، حيث تُقال لكل ظالم ومعتدٍ، وكذلك قولهم: (وَيْ وَي وَي)، وفي اللغة التركية (vay vay)؛ كناية عن التعجب من أمر ما، أو استحضار لمصيبة آتية.

وقد يُقصد بلفظة (ويل) وادٍ في جهنم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً، جعله الله تعالى لأصحاب الكبائر، ويُقال هذا الوادي تدوب فيه صخور الجبال وحجارتها إذا ما ألقيت فيه من تأجّج ناره واستعارها.

³¹¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 166/5، الطبري، تفسيره، 38/18، أبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، 134/6، الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 288/3.

³¹² ابن عاشور، التحرير والتنوير، 332/26، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 265/7، الطبري، تفسيره، 63/22، الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 188/7، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 695/2.

³¹³ العسكري، الفروق اللغوية، ص225.

فالمرء يقول: (وي وي)، و(ياويلي) في حياته الدنيا؛ بقصد محاكاة ألم أو هلاك أو فاجعة مما يحلّ به، فعندما يستشعر أهوال لفظة (ويل) وهو يتدبّر القرآن سيشفق على نفسه التي لهتْ وطغتْ وعصتْ أمر بارئها، فقد يكون ذلك متعمداً من قبل الله تعالى؛ كي يذكر عبده بما يؤول إليه مآل الكافر يوم الحساب، فعساه يتبع مسالك الهدى والحقّ.

3.3. خلاصة الدراسة التطبيقية:

بتأمل مضمون هذه الدراسة التطبيقية يُتوصّل إلى حقيقة لا يمكن تجاوزها أو إنكارها، بل لا بدّ من الوقوف عندها، ومفادها يتلخّص بالعلاقة القائمة بين الصوت والدلالة من جهة، والموضع والسياق من جهة موازية. فالقرآن الكريم استخدم رصيذاً لغوياً ضخماً من مواد اللغة العربية، التي جاءت في نظمٍ وسبكٍ محكمين، دلّلاً على إعجاز الله تعالى في بيانه، هذا البيان راعى - من جملة ما راعاه - الارتباط الوثيق بين الصوت واللفظ معاً، وتعاونهما الذي يُفضي إلى وجود فكرة المحاكاة لكلّ من ينقصّها ويتتبعها، فمُخرجاتها أدّت وطّرها على المستوى الوظيفي للصوت والدلالة، وآثارها لعبت دوراً فعّالاً في ردّ المعنى إلى حكاية صوت حروفه؛ ممّا أسهم في تقريب الصورة الدلالية للصوت المدروس، وإخراج أبعاده الإيحائية التعبيرية بشكل عفوي يدخل إلى الذهن فينتقله، ويفنّع به القلب كذلك؛ فيرتاح له.

فالأداء القرآني نهض ليكشف الدلالات المُرّامة لآياته، وتوضيحها للسامع؛ بغية توليد التأثير النفسي المناسب عنده، فجاءت الأجراس الصوتية المختارة لكل لفظة لتتلاءم والمعنى الحسي الملموس، أو المعنى الذهني المجرّد، وأحياناً تتأوبهما سويّة على جعل القارئ يعيش دقائق الأحداث وتفاصيلها، وكأنّه ابن زمانها ومكانها.

والألفاظ القرآنية وردت بأنماط صوتية اختلفت باختلاف مواضعها، وسياقاتها، ودلالاتها، وجاءت ملنيّة لما أراد الله تعالى من مقاصد وإيعازات وتوجيهات، ممّا أوكل نبيّه الكريم - صلى الله عليه وسلم - أن يبلغها إلى أمّته. فالقرآن استخدم تشكيلات صوتية مختلفة لموادّه؛ بهدف تنويع الدلالات، ولُوحي مناسبة قسم غير قليل منها لحكاية أجراس حروفه، التي حاكت بدورها ألفاظها، وولّدت أثراً في نفوس سامعيها، فأحياناً الحقيقة تُفضي إلى المجاز، والعكس صحيح، وأحياناً يتقاسمان الدلالة، ويعملان على إحداث مصطلحي الأثر والتأثير في النص القرآني.

والحروف العربية ثابتة منذ القدم، وتتوّع درجات أصواتها يتولّد عنه بالضرورة تنوّع في درجات أفعالها، ولعل من أبرز خواص الأصوات العربية أن القيمة الصوتية تتجلّى بوضوح بصدر الاسم، فمثلاً نلاحظ في لفظة الاسم (الكاف) يعبر صدره المتمثّل بالرمز (ك) عن الصوت (ك)

وهكذا³¹⁴. فالصوت (الضرب) مثلاً درجات عدّة، تتفق وقوّة الضارب، و ماهيّة المضروب، وأداة الضرب، وألفاظها أغلبها تبدأ بحروف الشدة كالکاف والقاف، وقسّ على ذلك من أصوات الأفعال، والأحداث الطبيعية منها والنفسية والشعورية. مع الإشارة إلى أن الصوت يؤدي دلالات جديدة بتقدم الزمان، وتطور الإنسان، واختلاف الوسائل،" فالصوت لاقيمة له إلا بوصفه جزءاً من نظام معيّن، وفيه تظهر قيمته ويبرز معناه الصوتي"³¹⁵.

ولحاسة النظر دورٌ كبيرٌ في عملية المحاكاة والتقليد اللغوي كما أوضح (د.علي وافي) في كتابه علم اللغة، ومثّل لهذه الفكرة بصورة الطفل الذي يقلد حركات شَفَقَي المتكلم ويعمل على محاكاتها، بقصد إخراج الصوت الذي يتناسب معها، وهذا من شأنه أن يعزّر قدرة الطفل على دعم عملية المحاكاة الصوتية بالمحاكاة البصرية³¹⁶.

إنّ فكرة ردّ المواد اللغوية إلى مقاطعها الثنائية- جرياً على قانون المحاكاة الصوتية- بدت طيّعة إحدائياتها عندما طُبِّقَت على مواد القرآن الكريم، حيث عُدَّت فترة نزوله وتدوينه مرحلة البدايات لتأريخ الدراسات اللغوية التي ارتبط بها ظهور الدرس الصوتي عند العرب على حدّ تعبير (د.غانم قدوري الحمد) في مؤلفه (المدخل إلى علم أصوات العربية)³¹⁷. ولا يُنسى أنّ عملية رصد هذه المواد اللغوية كاملة مسألة تحتاج إلى بحوث واسعة معمقة، ودراسات مستقلة منفردة تحيط بجدوى هذه المحاكاة، وتجعل منها وسيلة ناجعة في توليد الكلمات، سواء كانت وليدة المجتمع العربي أم مُصدّرة إليه من مجتمعات خارجية، فتتضمّن بدورها إلى طرائق النحت والتعريب وسواها في إغناء المعاجم العربية بكل جديد يأتيها، ممّا يحتاج إلى إلباسه ثوب التقعيد العربي. وقد صرّح الباحث (عبد الرحمن البوريني) في مؤلفه (اللغة العربية أصل اللغات كلها) إلى أن الظروف التي تعتور الأمم تحتمّ عليها التواصل والاتصال والاحتكاك على المستوى اللغوي؛ الأمر الذي يسمح بدخول كلمات من لغة إلى أخرى فيما يخصّ على وجه التحديد مفردات المصنوعات والأمراض والعلوم³¹⁸.

³¹⁴- بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص20.

³¹⁵-بشر، كمال دراسات في علم اللغة، ص83.

³¹⁶- وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، ط9، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م، ص154.

³¹⁷- الحمد، غانم قدوري، المدخل إلى علم أصوات العربية، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، 2004م، ص9.

³¹⁸- البوريني، عبد الرحمن أحمد، اللغة العربية أصل اللغات كلّها، ط1، دار الحسن للنشر، عمّان، 1998م، ص9-10.

وما أحوج العرب اليوم إلى مواكبة عصر التطور والعلوم الذي يفرض عليهم استيراد كلمات أعجمية لا بدّ لها من ولوج مصافي اللغة العربية قبل استقرارها في المعاجم، لذلك يمكن أن تكون المحاكاة واحدة من هذه المصافي فيما يخصّ عملية التنقية الصوتية والدلالية.

4-الخاتمة:

في نهاية هذا البحث يمكن القول اعتماداً على ما تقدم من آراء ودراسات وتحليلات: إن لغتنا العربية مؤلفة أصلاً من أصول قليلة، أحادية المقطع، وثنائية الأحرف، وفي أغلب الظن مأخوذة عن تقليد الأصوات الخارجية، ومحاكاة بعض المقاطع الصوتية الطبيعية التي ينطق بها الإنسان غريزياً، فمن هذه الأصول القليلة نشأت اللغة، وارتقت بارتقاء أفكار المتكلمين، فتعددت ألفاظها تبعاً لحاجات الإنسان المتزايدة إلى كلمات جديدة يواكب بها ما يطرأ على حياته من تطورات، أو ماتفرزه حضارته من نتائج. وقد تنوعت طرق التعبير بتنوع الألفاظ وتطور دلالاتها، وذلك كله قد جرى على طرق عدّة أهمّها: النحت، والإبدال، والقلب، والاستعارة. ولعلّ معظم هذا التنوّع قد حصل للغة العربية وهي في حجر أمّها، وبعبارة أخرى قبل افتراقها عن أخواتها الساميات؛ إذا كانت هي وهنّ لغة واحدة.

وقد يُستغرب من أنّ لغة مثل اللغة العربية بما فيها من الأدوات، والحروف، والصيغ الاشتقاقية، والتصاريف المختلفة، وغازرة الألفاظ، وكمية المادة اللغوية المحتواة في معاجمها، يُستغرب أن يكون أصلها عبارة عن مقاطع قليلة هي حكايات أصوات الطبيعة، وأصوات الحيوان، والأصوات الانفعالية والهجائية والايمائية، وأصوات الأفعال والأحداث.

إنّ هذا الاستغراب قد يزول رويداً رويداً إذا ما أُمعِن النظر في نشأة اللغات، وروّج تاريخ الألفاظ بالعودة إلى اللفظة الأمّ التي تطور مدلولها عبر الزمن وصولاً إلى ما هي عليه الآن، كما يزول هذا الاستغراب أكثر فأكثر إذا ما فهم ناموس الارتقاء العام للفكر الإنساني، والتطور الدلالي للغات؛ فمن لفظة ثنائية أحادية المقطع تكوّنت أسماء وأفعال وصيغ اشتقاقية متنوعة تتفوق الآلاف. قد لا يصعب الاقتناع بذلك بعد إدراك أنّه من حكاية صوت واحد تولّدت أصوات تتفوق المئة بل الآلاف من الأصول الثلاثية، ومن كلّ صوت تولّدت تنوّعات واشتقاقات لفظية ومعنوية تبلغ المئة في بعض الأحيان وأحياناً أكثر.

ومع ذلك يجب ألاّ يُطمع باستطاعة القدرة على تطبيق الأصول اللغوية جميعها على أصوات تحاكيها في الخارج، فنشأة اللغات السامية قد يكون غامضاً بعض الشيء، ولكن من جهة أخرى يمكن اعتماد هذه النظرية كواحدة من الوسائل التي من شأنها أن تسعف في بناء أسماء جديدة لمسميات جديدة، واستصدار ألفاظ حديثة يفرضها نظام التطور الحياتي الذي يعيشه إنسان القرن الراهن، في ظلّ تعاقب الابتكارات والاختراعات المتلاحقة.

وبناء على ما سبق؛ يمكن طرح مجموعة من التوصيات والمقترحات، وجدها البحث مناسبة لمثل هذا النوع من الدراسات، هي كالاتي:

- ❖ تصنيف معاجم خاصّة ترجع أصول موادها إلى مقاطع أحادية مؤلفة من حرفين تحاكي أصواتها.
 - ❖ دعوة الباحثين من علماء اللغة وتشجيعهم على أن يخوضوا غمار مثل هذه الدراسات الصوتية الدلالية؛ نظراً للفائدة التي تقدمها للقارئ في تعريفه بأصل لغته ومنشئها.
 - ❖ أن يقيم مجمع اللغة العربية مؤتمرات دورية، وندوات خاصّة، تعرّف المختصين والمهتمين بأهمية هذه الأبحاث؛ من حيث هي إغناء اللغة العربية، وسبيل إلى زيادة ثروتها اللغوية.
 - ❖ يجب ألاّ تقف هذه الدراسات عند حدود الجانب النظري، بل يجب أن تتعدّاه إلى حيّز الدراسات التطبيقية؛ لأنّ الفائدة إنّما تكون في إسقاط الإحداثيات النظرية ومعطياتها على الواقع التجريبي والعملية.
 - ❖ ضرورة إنشاء مخابر صوتية تدرس اللغة بمقاطعها وأصواتها دراسة منهجية دقيقة، تُعنى بالعلاقة القائمة بين الصوت ومدلوله، وطريقة النطق به، وما ينسحب على ذلك من معانٍ وإيحاءات سمعية أو بصرية أو حدسية.
 - ❖ وجوب دعم حركة التأليف والنشر والطباعة لهذه الدراسات.
- و يمكن أن نجمل النتائج التي توصل إليها البحث كالاتي:

- بدت نظرية المحاكاة فكرة متقبّلة في الدرس الصوتي القديم والحديث، و إليها أرجعت نشأة اللغة.

- تجلت المحاكاة كوسيلة ناجحة في رد كثير من أصول الكلمات العربية إلى مقطع أحادي بسيط يحاكي صوته، و بتطوره لاحقا تكونت كلمات جديدة تحمل دلالة المقطع الأم.
- كثير من أسماء الآلات والأدوات - قديما وحديثا- سُميت على أساس محاكاة أصواتها.
- دخلت المحاكاة حقل طرق توليد المفردات وإنشاء بنيتها الصوتية والدلالية، فهي كالنحت والتعريب وغيرها من طرق إنشاء الكلمة العربية.
- لم تخلُ ألفاظ القرآن الكريم من صبغة المحاكاة التي كانت صورتها الصوتية سبيلا في تكوين المفردة، كما وجدنا في الفصل الثاني.

5-المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت.392هـ)، الخصائص، عدد الأجزاء:3، تحقيق: محمد علي النجار، ط2، دار الهدى للطباعة و النشر،بيروت، بدون تاريخ طبع.
- 3- ابن عاشور، محمد الطاهر (ت.1393هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد والمعروف ب: (التحرير والتنوير)، عدد الأجزاء:30، بدون رقم طبعة، دار سحنون، تونس العاصمة، بدون تاريخ نشر.
- 4- ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت.395هـ)، معجم مقاييس اللغة، عدد الأجزاء:6، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1366هـ.
- 5- ابن كثير، اسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ)، كتاب تفسير القرآن العظيم المعروف ب: تفسير ابن كثير، عدد الأجزاء: 8، بدون رقم طبعة، دار طيبة، الرياض، 1422 هـ/ 2002 م.
- 6- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت714هـ)، لسان العرب، عدد الأجزاء:15، ط1، دار صادر، بيروت، 2000م.
- 7- أبو حيان الأندلسي، أبو حيان بن محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت. 745هـ)، التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، عدد الأجزاء: 8، بدون رقم طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ طبع.

- 8- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت. 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (المعروف بتفسير أبي السعود)، عدد الأجزاء: 9، بدون رقم طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ نشر أو طبع.
- 9- أحمد، خليل، دور اللسان في بناء الإنسان عند زكي الأرسوزي، بدون رقم طبعة، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، بدون تاريخ طبع.
- 10- الإربلي، علاء الدين بن علي، جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، صنعة إميل يعقوب، ط1، دار النفائس، بيروت، 1991 م.
- 11- الألوسي، شهاب الدين السيد محمود (ت. 1854م)، تفسير الألوسي المعروف بروح المعاني، عدد الأجزاء: 30، بدون رقم طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ طبع.
- 12- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط1، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1366 هـ.
- 13- بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، بدون رقم طبعة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998 م.
- 14- البوريني، عبد الرحمن أحمد، اللغة العربية أصل اللغات كلها، ط1، دار الحسن للنشر، عمان، 1998 م.
- 15- البيضاوي، ناصر الدين أبي الخير عبدالله بن عمر بن علي (ت. 685 هـ)، تفسير البيضاوي، عدد الأجزاء: 5، بدون رقم طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ طبع.
- 16- التهانوي، محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف فريق العجم، تحقيق علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية عبدالله الخالدي، الترجمة الأجنبية جورج زيناتي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996 م.
- 17- الثعالبي، الإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، أبي زيد الثعالبي المالكي (ت. 875هـ)، تفسير الثعالبي المعروف بـ (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، عدد الأجزاء: 5، حقق أصوله على أربع نسخ خطية وعلق عليه وأخرج أحاديثه: الشيخ علي محمد معوض - والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وشارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997 م.
- 18- الجرجاني، الإمام عبد القاهر (ت. 471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، صحح أصله الشيخ محمد عبده، أ. محمد التركي الشميطي، علق حواشيه: محمد رشيد رضا، ط1، منشورات جامعة تشرين، اللاذقية سورية، بدون تاريخ طبع.
- 19- الحاج، كمال يوسف في فلسفة اللغة، ط2، دار النهار، بيروت، 1978.
- 20- حازم القرطاجني، أبو الحسن، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، 2008 م.

- 21- الحمد، غانم قدوري، المدخل إلى علم أصوات العربية، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 2004م.
- 22- الراجحي، عبده، فقه اللغة في الكتب العربية، بدون رقم طبعة، دار النهضة، بيروت، 1979م.
- 23- الرازي، الإمام فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل (ت. 606 هـ)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، عدد الأجزاء: 16، بدون رقم طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425 هـ / 2004 م.
- 24- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين محمد (ت. 502 هـ)، المفردات في غريب القرآن، عدد الأجزاء: 2، تحقيق: تمّ التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، طبعة الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، 2009م.
- 25- الزمخشري، محمد بن عمر الزمخشري أبو القاسم جاب الله (ت. 538 هـ)، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، عدد الأجزاء: 4، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1430 هـ / 2009 م.
- 26- زيدان، جرجي، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، راجعها: مراد كامل، طبعة جديدة، دار الهلال، القاهرة، 1969 م.
- 27- زيدان، جرجي، اللغة العربية كائن حي، بدون رقم طبعة، دار الهلال، القاهرة، بدون تاريخ طبع.
- 28- السامرائي، فاضل صالح، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط2، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، 2006م.
- 29- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت. 756 هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، عدد الأجزاء: 11، بدون رقم طبعة، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ طبع.
- 30- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1182 م.
- 31- السيوطي، عبد الرحمن جابر الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق: محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البيجاوي، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون تاريخ طبع.
- 32- الشايع، محمد بن عبد الرحمن بن صالح، الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1993م.
- 33- الشدياق، أحمد فارس، معجم سر الليال في القلب والإبدال، بدون رقم طبعة، المطبعة العامرية السلطانية (الآستانة)، إسطنبول، 1284 هـ.
- 34- الشريف الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الإبياري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994 م.

- 35- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي (ت. 1393 هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، عدد الأجزاء: 9، بدون رقم طبعة، دار الفكر، بيروت، 1415 هـ / 1995 م.
- 36- الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1970 م.
- 37- الصغير، محمد حسين علي، الصوت اللغوي في القرآن، ط1، دار المؤرخ العربي، بيروت، 2000 م.
- 38- الطبري، محمد بن جرير (ت. 310 هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، عدد الأجزاء: 24، بدون رقم طبعة، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ طبع.
- 39- عباس، أحمد حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، بدون رقم طبعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1988 م.
- 40- عبد الباقي، ضاحي، المصطلحات العلمية قبل النهضة الحديثة، ط1، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1979 م.
- 41- عبد الجليل، منصور، علم الدلالة، بدون رقم طبعة، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001 م.
- 42- العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت. 395 هـ)، الفروق اللغوية، بدون رقم طبعة، دار العلم والثقافة، القاهرة، بدون تاريخ طبع.
- 43- علي إبراهيم علي، حبيب الله، نظرية المحاكاة عند حازم القرطاجني من خلال كتابه: منهاج البلغاء و سراج الأدباء، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد (13)، مارس، 2012.
- 44- علي، أسعد، تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، ط1، دار النعمان، بيروت، 1968 م.
- 45- الفاخري، صالح سليم عبد القادر، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، بدون رقم طبعة، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، بدون تاريخ طبع.
- 46- فاضل، عبد الحق، مغامرات لغوية، بدون رقم طبعة، دار العلم للملايين، بيروت، بدون تاريخ طبع.
- 47- الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت. 174 هـ)، العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، عدد الأجزاء: 8، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 م.
- 48- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط2، دار الريان للتراث، بيروت، 1987 م.
- 49- الفيومي، أحمد عبد التواب، علم الأصوات اللغوية (ظواهر علم الأصوات في القرآن الكريم)، بدون رقم طبعة، المكتبة الأزهرية للتراث، الإسكندرية، 2009 م.
- 50- قاسم، رياض، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي (لبنان في القرن التاسع عشر)، ط1، مؤسسة نوفل، بيروت، 1984 م.

- 51- قنّور، محمد أحمد، مدخل إلى فقه اللغة، ط1، دار الفكر، دمشق، 1993م.
- 52- كارا، عمر ، الفروق اللغوية في مفردات راغب الأصفهاني (مقالات):
Kara, Dr Ömer, Rağıb'ın müftredat'ında 'furuk' malzemeleri:
sunuş şekilleri ve tespit metotları, uluslararası sosyal araştırmalar dergisi,
cilt:5, sayı:23, güz:2012
- 53- كارا، عمر، الفروق اللغوية في مفردات راغب الأصفهاني، (مقالات)، (مدخل 1-2-3): kara,
Dr. Ömer, *El-furuk'ı Luğaviyye' ye giriş* (III-II-I), EKEV akademi dergisi,
sayı: 14, kış 2003.
- 54- كجّو، سمير، روائع التراث العربي، بدون رقم طبعة، دار الكتاب، دمشق، 1990 م.
- 55- الوافي، عبد الرحمن، فقه اللغة، ط4، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1956م.
- 56- وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، ط9، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،
2004م.
- 57- الوعر، مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث (مدخل)، بدون رقم طبعة، دار طلاس،
مطبعة العجلوني، دمشق، بدون تاريخ طبع.

المجلات والدوريات:

مجلة الموقف الأدبي، تصدر عن دار اتحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد (181-182-183)،
حزيران - تموز، 1986 م.

المواقع الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية:

- 1- موقع الباحث العربي على الشبكة العنكبوتية: www.baheth.info
- 2- الكحيل، م. عبد الدائم، موقع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابط الموقع على الشبكة العنكبوتية: <http://www.kaheel7.com/ar>

6- الملخص

عندما يتحسّس الإنسان العربي العلاقة الصوتية بين اللفظ ومدلوله، ممّا يُعرّض عليه من مواد لغته، فإنه يقنع عفويّاً بفطرته الطبيعية وجبّلته الداخلية الشعورية بأنّ الأصل الأوّل للغة العربية يحوم حول فكرة محاكاة صوتية تربط الاسم بالمسمّى على أساس من التناغم الصوتي الدلالي بينهما؛ ممّا يجعله يميل إلى كل مسمّى يشاكل صوته دلّالته، ويقف متأملاً متمحصّاً تجاه كل مسمّى لا مناسبة طبيعية قد تُلحظ بينه وبين صدى حروفه.

فالمحاكاة بهذه المقاربة النظرية تُعدّ خطوة الانطلاق الأولى نحو صناعة الإنسان لغته تماشياً مع تطور الزمان والمكان والإنسان. فهي ببساطة عبارة عن مجموعة معطيات تنهض بتفسير النشأة الأولى للعربية تزامناً مع سبر أغوار الإنسان البدائي، وذلك في غياهب التاريخ البشري الذي تكاد تكون معالمه ضبابية.

وما يشفع لهذه النظرية هو أنها مأخذ مُتقبّل، وطرح ناجع في عملية البحث عن أصل اللغة العربية وتطورها بعد ذلك، ففي البدء كانت العربية وأخواتها الساميات مطيّة ذاك الإنسان المتواضع الساعي إلى مجارة طبيعته، وبيئته المحيطة، ومكونات نفسه الداخلية، وجهازه النطقي الذي لم يكن قد بلغ مبلغه اليوم. فالعربية بعد الهجران الحاصل بينها وبين شقيقاتها من اللغات تفرّدت بجملة واسعة من السمات، فحروفها غنية بالخصائص الصوتية، وكلماتها زاخرة بالدلالات الحقيقية والمجازية ممّا لا نجده عند غيرها؛ فهي لذلك خير حقل لغوي تجريبي للبحوث العاكفة على دراسة أصل اللغة الإنسانية. ويزيدها قيمة وقداًسة أنّ القرآن الكريم هو مستودعها الذي حافظ عليها طوال

قرون طوال من الزوال والاندثار، ولعظيم مافيه من إعجاز البيان، وسحر النظم اللغوي والدلالي، والرصف البلاغي، ناهيك عن الإعجاز العلمي ما يغري الباحثين في شتى مجالاتهم واختصاصاتهم على أن يجعلوا منه حجة دراساتهم ومعرض تطبيق نظرياتهم؛ وعليه فقد لجأ بحثنا هذا إلى إجراء دراسة صوتية دلالية لنظرية المحاكاة على المفردة اللغوية القرآنية التي تحاكي أصوات حروفها دلالاتها استناداً إلى أن المفردة المدروسة تعود في أصلها إلى الجذر الأم، وهو عبارة عن مقطع ثنائي بسيط يتكون من متحرك فساكن، وعنه نشأت المفردة لتتطور بعد ذلك وتكون لنفسها فضاءات من الدلالات الحسية والمجازية. وقد خلص البحث إلى نتائج طيبة ومرضية لم تخذل توجهات هذه النظرية؛ الأمر الذي يمكن عدّه انتصاراً لها.



Yüzüncü Yıl University
Institute Of Social Sciences
Rhetoric And Arabic Department

The Effect of Imitation Theory
on The Emergence of Arabic Language

(Phonetic and Semantic Study of The Holly Kuran)

MA. Thesis

Prepared by
Murad Hasan Kafi

Supervised by
Prof. Dr.Mohamad Shireen Chekar

2017–Van

Abstract

Researches has suffered from being unable to determine how languages started and developed. They have tried to overcome their disability and find a correct method to study the roots from which languages emerged; however, there have been many theories that studied the origin and the development of languages through ages.

This study deals with one of those theories which is the theory of imitation. My paper consists of an introduction, three chapters and a conclusion. The first chapter discusses the theories which explained the emergence of languages especially the theory of imitation explaining the thoughts of previous linguistics, the relationship between this theory and the primary life of human being through the two periods that man lived in, the classical and the oral which represents the period that followed the imitation one.

The second chapter discusses the bilateral historic theory and its relationship with the natural situation. In my research, I am trying to examine the logical link between the additional structure and its bilateral origin, and there will be significant ideas of Arab linguistics that related to the theory of imitation. In this chapter there will also be a practical study about some phonetic sounds in which letters imitate meanings.

The third chapter will explain a practical sample of the theory of imitation that is related to The Holy Quran according to the inductive and indicative study of phonetic sounds. This chapter will also show some pronunciations in which the idea of imitation is clear in addition to classifying them into linguistic families, and each family has a group of pronunciations that have a clear relationship between the words and their pronunciations. There will also be a discussion of sound, meaning, indication and context and a study of the significant value of some words in The Holy Quran.

Imitation in comparative study is considered as an important step by which man made his language during the changes that happened to time and place. Imitation, simply, is also considered as a base on which the first emergence of Arabic Language depended since the primitive man started to speak in the ancient ages that are very ambiguous in the full meaning of the word.

T.C.
YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
ARAP VE BELAĞATI BİLİM DALI

SİMÜLASYON TEORİSİ VE ARAPÇA DİLİ OLUŞUM VE
ZENGİNLEŞMESİNDEKİ ETKİSİ
(KURAN- I KERİMDE AKUSTİK VE SEMANTİK BİR ÇALIŞMA)

YÜKSEK LİSANS TEZİ

MURAD KAFİ

VAN- 2017

T.C.
YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
ARAP VE BELAĞATI BİLİM DALI

**SİMÜLASYON TEORİSİ VE ARAPÇA DİLİ OLUŞUM
VE ZENGİNLEŞMESİNDEKİ ETKİSİ**
(KURAN- İ KERİMDE AKUSTİK VE SEMANTİK BİR ÇALIŞMA)

YÜKSEK LİSANS TEZİ

HAZIRLAYAN
MURAD KAFİ

DANIŞMAN
PROF.DR. MEHEMET ŞİRİN ÇIKAR

VAN- 2017

İÇİNDEKİLER

İÇİNDEKİLER

ÖNSÖZ

1.GİRİŞ:DİL ASLI VE MENŞEİ

1.1. DİLİN DOĞIŞU VE KAYNAĞIYLA İLGİLİ TEORİLER

1.1.1. TEVKÎFİYE (VAHİY VE İLHAM) TEORİSİ

1.1.2. ISTILÂH (UZLAŞMA VE ANLAŞMA) TEORİSİ

1.1.3. TEVFÎKİYE (ARA BULUCU) TEORİSİ

1.1.4.FİTRÎ/FİTRAT TEORİSİ

1.1.5. DİL VE İÇGÜDÜ ARASINDA BAĞLANTI KURMA TEORİSİ

1.1.6. SİMÜLASYON/VOKALİK TEORİSİ

1.1.6. 1. ARAPÇA İLE DİĞER DİLLER ARASINDA SİMÜLASYON

1.1.6.2. İNSAN VE SİMÜLASYON

1.1.6.3. ETMOLOJİ VE TERSİS (KELİMENİN ANA KÖKÜNÜ BULMAK VE GELİŞİMİNİ TAKİP ETME) BİLİMLERİNİN SİMÜLASYON SONRASI AŞAMADAKİ ETKİLERİ (TELAFUZ EVRESİ)

2. ARAP DİLİ VE SİMÜLASYON TEORİSİ

2.1. TARİHİ İKİLEMENİN DOĞAYLA İLİŞKİSİ.

2.2. KLASİK ARAP DİLİ ARAŞTIRMALARI

2.3. MODERN ARAP DİLİ ARAŞTIRMALARI

2.4. TARİHİ İKİLEMDEN SÖZLÜK İKİLEMİNE

2.5. MODERN SES MAHREÇLERİYLE İLGİLİ PRATİKLER

3.KURAN- İ KERİMDE AKUSTİK VE SEMATİK ÇALIŞMADAN

UYGULAMALI OLARAK ÖRNEK GETİRME

3.1. BİR DEĞERLENDİRME

3.2. PRATİK ÖRNEKLER

3.2.1. المقطع أف

3.2.2. المقطع أس

3.2.3. المقطع أز

3.2.4. المقطع آه

3.2.5. المقطع بت

3.2.6. المقطع بج

3.2.7. المقطع بع

المقطع بق. 3.2.8.
المقطع به. 3.2.9.
المقطع تب. 3.2.10.
المقطع تف. 3.2.11.
المقطع جب. 3.2.12.
المقطع جذ. 3.2.13.
المقطع جر. 3.2.14.
المقطع حت. 3.2.15.
المقطع حس. 3.2.16.
المقطع حش. 3.2.17.
المقطع حص. 3.2.18.
المقطع حف. 3.2.19.
المقطع خر. 3.2.20.
المقطع حق. 3.2.21.
المقطع دب. 3.2.22.
المقطع دك. 3.2.23.
المقطع دم. 3.2.24.
المقطع ذب. 3.2.25.
المقطع رج. 3.2.26.
المقطع رع. 3.2.27.
المقطع زل. 3.2.28.
المقطع زم. 3.2.29.
المقطع شق. 3.2.30.
المقطع شه. 3.2.31.
المقطع صر. 3.2.32.
المقطع صل. 3.2.33.
المقطع ضب. 3.2.34.
المقطع طق. 3.2.35.
المقطع عص. 3.2.36.
المقطع عض. 3.2.37.
المقطع عق. 3.2.38.
المقطع غظ. 3.2.39.
المقطع غص. 3.2.40.
المقطع غض. 3.2.41.

3.2.42. المقطع غق

3.2.43. المقطع فج

3.2.44. المقطع قب

3.2.45. المقطع قد

3.2.46. المقطع قط

3.2.47. المقطع قص

3.2.48. المقطع قض

3.2.49. المقطع قر

3.2.50. المقطع كب

3.2.51. المقطع كد

3.2.52. المقطع كس

3.2.53. المقطع لغ

3.2.54. المقطع نف

3.2.55. المقطع ها

3.2.56. المقاطع هم، هس، أز

3.2.57. المقطع هد

3.2.58. المقطع هش

3.2.59. المقطع وس

3.2.60. المقطع وي

SONUÇ VE ÖNERİLER

KAYNAKLAR

EKLER

ÖZGEÇMİŞ

ÖZET: TÜRKÇE VE İNGİLİZCE

ÖZET

Genel olarak kelime yapısının gelişmesi temelinde tüm dillerde, konu ve üslup olarak gizem ve kararsızlık hâkim olmuştur. Zaten araştırmacılar da dil doğuş ve gelişimi konusundaki çalışmalara yol gösterici bir başlangıç noktasının gösterilmesinin zor olduğunu

söylemekten kaçınmamışlardır. Bu konudaki teoriler çoktur. Bu teorilerde en çok izlenim ve tahmini düşünce tarzı belirgin olarak baskın gelmiştir, bu tarzın en büyük eleştiri noktası ise tahmin ve sezgilere dayalı olmasıdır.

Ele alınan araştırmada yukarda bahsi geçen teorilerin birisi (simülasyon) ele alınmıştır. Zaman faktörü ve bilimsel çalışmaların boşluğu da dikkate alındığında Fasih Arapçada kelimeler üzerindeki simülasyon teorisi sadece yüzeysel bir şekilde ele alınıp dil araştırmalarında ve semantik çalışmalarda hak ettiği yeri bulmamıştır. Zira bu konuda araştırmacılar, sadece kendi mezheplerini ispatlamaya çalışıp, elde ettikleri sonuçları desteklemek adına az sayıda ve tatmin edici olmayan örnekleri göstermişler ve Arapça sözlüğünden sadece kendi teorilerini destekleyecek ve uyum gösterecek içerikleri kullanmışlar. Halbuki hiç biri Arapça sözlüğündeki içerikleri ve kelimeleri kapsayacak geniş ve araştırmacı bir çalışma yapmamıştır. Bu neden onların fikirlerini, seçici ve yönlendirici olmakla eleştirisine maruz bırakmıştır. Bu yüzden -simülasyon ve ikileme olarak- iki düşünceye dayalı bilimsel çalışmayı yaparak, bilimsel araştırmaya uygun olmayan ve objektif olmayı gerektiren bilim ruhundan uzak olan bu keyfi ve seçici çalışmaları telafi etmek istedim. Ayrıca simülasyonu ilk insanın kullandığı dili anlatmak için ikna edici bir yol olarak bulmaktayım.

Bu çalışma her insanın aklına gelebilecek ilk insanın çevresindeki sesleri ve içindeki duyguları (korku, sevinç, heyecan) anlatmak için kullandığı dilin yapısıyla ilgili soruları yanıtlamaya çalışacaktır.

Dilin –özellikle Arapça- doğanın ve insanın iç dünyasındaki seslerden alınmış az sayıdaki ikili köklerden oluştuğu kanısı, dilimizin hareketli sonrasında bir hareketsiz iki harften oluşmuş insanın dışındaki ve içindekileri basit bir şekilde anlatan ikili köklerden oluştuğu konusunda ikna edici bir yol olduğunu söyleyebiliriz. Bu çalışma simülasyon teorisini Arapçaya uygulamayı amaçlamıştır, bu da Arapça harflerinin en önemli iki özelliği olan; heyecan ve hayal olması bu teoriyi destekler.

Çalışma önsöz, üç bölüm ve sonuç olarak planlanmıştır. Birinci bölümde dilin oluşma konusu farklı teoriler çerçevesinde ele alınmıştır. Bu teorilerden birisi dilin, mahlûkatlar arasında Allah'ın yeryüzündeki halifesi konumunda olan insana tadviki yani bir vahiy ve ilham kaynağı sonucu verdiğini belirten görüştür. Aynı şekilde bu kısımda istilahi teori yani dilin tamamen bir uzlaş sonucunda konulduğunu kabul edenlerin görüşü de işlenmiştir. Söz konusu her iki teorinin arasında kalmayı tercih eden tevfiikiye teorisi de bu bölümde incelenmiştir.

Bundan sonra fitrî/fitrat teorisi ele alınmıştır ki bu teoriye göre dil çeşitli benzetme ve taklit etme yollarıyla tamamıyla doğa ve tabiattan bir alıntı şeklinde oluşmuştur. Dil ve içgüdü ilişkisinden hareket eden teori de bu bölümde irdelenmeye çalışılmıştır.

İnsanoğlunun dilinin oluşumu noktasında doğa seslerinin birer taklidi şeklinde oluşan dil teorisini başlangıç noktası seçtim. Başka bir ifadeyle insanı çevreleyen doğasından hareketle çeşitli hayvan veya rüzgâr, şimşek, ağaç gibi doğa tezahürlerinin; vurmak, bilemek, kesmek, kırmak, yarmak gibi insan eylemlerinden kaynaklı olarak dilin oluşumunu araştırma konusunun öncelikli bir kısmı olarak belirledik.

Ayrıca bu kısımda simülasyon teorisinin ilk insan ile olan bağlantısından ve geleneksel dönem içerisindeki evrelerinden bahsedilmiştir. Örneğin konuşamayan birisi at ve onun özelliklerini anlatmaya kalkıştığında ilk önce elleri ve ayakları üzerine çöküvererek onu taklit etmeye kalkışmış daha sonra da atın çıkardığı kişneme ve diğer bağırma şekillerini bizzat çıkartarak muhatabına bir şeyler aktarmaya çalışmıştır.

İkinci bölümde simülasyona ve onun tarihi ikilem ile olan münasebetine değinilmiştir ki insan dilinin ortaya çıkması temelinde bu teoriyi destekleyenlerden birçok kişi es-Sünâiyye/ikilem ilkesine dayanmıştır. Çalışmada lafız, ses ve mana üçlüsü çemberinde bu olguya açık bir şekilde değinmeye çalışan İbnCinnî, İbbâd es-Sâmirî, İbnFâris, AhmedFaris eş-Şidyâk, Corci Zeydan ve Suyûtî gibi eski ve yeni dil bilimcilerinin bu konudaki düşüncelerine de yer verilmiştir

Araştırmanın iskeletini oluşturan üçüncü bölümde ise Kuran-i kerimden simülasyon teorisinin sesli hecelerin anlam ve göstergelerini temel alarak istatistiksel çalışmaya yakın bir şekilde uygulamalı olarak ele alınmıştır. Ayrıca bu bölümde simülasyon fenomeninin belirgin olduğu sözcükleri araştırılmıştır. Ek olarak simülasyon teorisine uyan bu sözcükleri gruplara ayırıp her grupta aynı ikili kökten gelen birbirine anlam olarak yakın sözcüklere ayrılıp, bu kök de ana kök olarak adlandırılmıştır. Son olarak Lisan- ül Arap sözlüğünde tekli hece (ikili kök) den gelmiş sözcük araştırılıp, ardından Kur'an-i Kerimin tefsirlerine dayanarak her sözcük estetik açıdan ele alınmıştır. Bu arada kurandaki estetik ve sanatsal değerler ve gerçek duyguları ile zihinsel mecazi anlamı açıklamak için ses, anlam, gösterge, bağlam gibi birçok faktör kullanılmaya çalışılmıştır.

Aynı şekilde üçüncü bölümde uygulamalı olarak bazı örnekler verilmeye çalışılmıştır. Örneğin, Enbiya süresinde geçen أفت; Tekvir süresinde geçen النفس ve Nas süresinde geçen الوسواس kelimesi maddesel olarak irdelenmiştir. Zira bu kelimelerden ilki Hz. İbrahim'in

ağzından, Allah c.c. dışında putlara yapılan ibadete yönelik bir ret ve tahkir amaçlı çıkmıştır. Binaenaleyh bu kelime ve buna benzer diğer sözcükler insanoğlunun hoş karşılamadığı eylemler karşısında tamamıyla doğal ve ani bir şekilde söylenir.

İkilem olarak kökü نف sözcüğüne dayanan النفس kelimesi de nefes alıp verme manasında olduğu gibi üfürme ve nefes alış esnasında burun kanallarında meydana gelen ses anlamında gelir. Dolayısıyla النفس ten kastedilen şey, içinde ruh olan ve maddi bedenle bütünleşen hayattır ki onun durmasıyla hayat son bulur. الوسواس kelimesi ise çok kısık ve gizli ses anlamındadır. Ayrıca kelimeye var olan sin harfinin tekrarından doğan gizlilik ve kısıklık burada ön plana çıkmaktadır ki şeytan bu gibi seslerle kişiyi Rabbini anmaktan alıkoymaya çalışır. Bundan dolayı söz konusu kelimenin duyulmasından itibaren okuyucu, şeytan vesvesesine uyma ya da istiaze ile ondan vazgeçme yolları arasında bireyi bir ikileme sürükleyen anlamı düşünmeye çalışır.

Aslında simülasyon teorisiyle alakalı yukarıda söz edilen bu uygulamalı şekli okuyucuya, bin dört yüz küsur yıl önce açıklanmış, bilimsel ve betimsel olarak da somutlaşmış olan Kur'an-ı Kerim'in mucizevi boyutlarını da ortaya çıkartmaktadır. Fakat modern bilim bunu yeni keşfetmeye başlamıştır. Örneğin طق kelimesi, Kur'an'da da geçtiği üzere vurma veya kapı vs. yi çalma anlamındadır ve sürekli bu manayı çağırır. والسماء والطارق şeklinde et-Târik süresinde ifade edilen yıldızın/gezegenin vurma ve (göğü) delme gibi iki özelliğinden söz edilmektedir. Zira NASA gibi gelişmiş ve uzayı bir takım uydu araçlarıyla görüntüleyip fotoğraflayan video ve resimler söz konusu bu yıldız teyit etmiştir. Bilim adamları ise onun ses hareketini incelemeye çalıştıklarında tıpkı kapı tokmaktama ve vurmada sonra ortaya çıkan ses gibi bir sesi duymuşlardır ki NASA hızlı bir şekilde uzayda dönen ve buna benzer mükerrrer (طقق) gibi ses çıkartan dev gezegen topluluklarına GIGANTİK HİMMERS adını vermiştir ki zaten R harfinin aslı tekrarı gerektirmektedir. Ayrıca NASA, söz konusu yıldızın uzayın karanlığını delercesine çok fazla bir ışık dalgası yaydığını da belirtmektedir. İşte yüce Kur'an-ın on dört asır önce bize söylemeye çalıştığı o muazzam gerçek budur.

Üçüncü kısımda uygulamalı olarak ele alınan bu tür araştırmalarda varılan sonucu ise şöyle açıklayabiliriz: Kesinlikle inkâr edilemeyecek ve üzerinde ciddi durulması gereken bir gerçeğin, hem bir yönüyle ses ve onun ifade ettiği anlamın hem de birbirine denk bir şekilde konu ve sıyak arasında çok ciddi bir bağlantının olduğudur. Bu tür bir dil birikimini son derece sağlam, düzenli ve mucizevi bir şekilde Kur'an-ı Kerim de kullanmıştır ki bu da yüce Allah'ın beyanındaki icazı ortaya koymaktadır. Ayrıca bu beyan, ses ve anlam ilişkisi

düzleminde simülasyon teorisine kapı araladığı gibi bu yönde bir fikrin gelişmesine de yardımcı olmaktadır.

Bu doğrultuda Arap asıllı bir bireyin lafız ve mana arasında bu denli bir ses-mana ilişkisinin olduğunu hissettikten sonra kendiliğinden ve doğal olarak Arap dilinin gerçektende ismi müsemmaya sıkı bir şekilde bağlayan bu simülasyon teorisi etrafında varlığını sürdürdüğüne de ikna olacaktır.

